دراسات في

علم الاجتماع العائلي

تأليف

دكتور حسن أحمد الخولي — دكتورة سعاد عثمان

دكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله — دكتور فوزي عبد الرحمن

إشراف

دكتورة علياء شكري

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير الأزاريطة
الإسكندرية

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. أحمد أبو زيد

أنثروبولوجي

دراسات فى
علم الاجتماع العائلى

علم الاجتماع العائلي

تأليف

دكتور حسن أحمد الخولي
دكتورة سعاد عثمان

دكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله
دكتور فوزي عبد الرحمن

إشراف

دكتورة علياء شكري

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الاسكندرية

مقـــدمة الكتـــاب

بقـــلم

دكتورة علياء شكري

انقضت الآن نحو عشرون عاما منذ نشرت لأول مرة دراستى المعنونة «مشكلات أساسية حول الأسرة والتصنيع» والتى طرحت فيها للبحث قضية علاقة الأشكال الاسرية الكبيرة بالأشكال الاسرية الأصغر ، أو علاقة الاسرة الممتدة بالاسرة النووية . كمـا تطرقت فى تلك الدراســة الى تأمل علاقة الأشكال الصغيرة من الأسرة بالتصنيع ، خاصة وان الارقام توضـح زيادة نسبة الأسرة النووية فى ظل المجتمع الصناعى .

وتحولت تلك الدراسة التى اجتهدت فى البحث عن اطار مرجعى جديد لدراسات الأسرة ، تحولت الى برنامج عمل لى شخصيا ، وبالتالى لعديد من أخوتى وأخواتى وبناتى ممن عملوا معى فى الانشطة البحثية العديدة التى تلاحقت منذ ذلك التاريخ البعيد ، أو ممن اجتهدوا فى ابداع اعمال بحثية علمية فى رسائل تقدموا بها لنيل الماجستير أو الدكتوراه فى علم الاجتماع .

وتحول قسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس الى خلية نشطة يعمل اغلب افرادها فى بحوث الأسرة ، وان كان بعض هذا النشاط لابد أن يرجع بطبيعـة الحال الى كون اغلب طلاب الدراسات العليـا وهيئة التدريس من الآنسات والسيدات ، فكان أمر الاهتمام بالأسرة والمرأة امرا طبيعيا . ولكن أى عمل يحتاج بالقطع الى اطار وتوجيه ومناخ معين ، يرجع بعضه ولا شك الى المحاولات السابقة لاجلاء الغموض عن اتجاهات

تطور الأسرة ومشكلاتها فى المجتمع العربى المعاصر · وخرجت من هذا القسم مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية الممتازة التى تناولت جوانب شتى من حياة الأسرة ومشكلاتها ·

ثم بدأ العمل فى مشروع بحث المرأة الكبير الذى أجرى بالاشتراك بين منظمة العمل الدولية بجنيف ومركز التنمية والتخطيط التكنولوجى بجامعة القاهرة تحت اشراف كاتبة هذه السطور · واستطاع هذا البحث أن يحشد ضمن فريق عمل واحد أكبر عدد من المهتمين بدراسات الأسرة والمرأة · وظهرت بعض الدراسات والتقارير التى تشرح سير العمل ، ومشكلة البحث ، وأبرز النتائج ، ربما كان أهمها الكتاب الضخم الذى صدر عن : المرأة فى الريف والحضر · دراسة لحياتها فى البيت والعمل ، من تأليف علياء شكرى وأحمد زايد وحسن الخولى ·

وأثمرت هذه الخبرة العريضة التى امتدت أكثر من خمس سنوات انتفاع بعض الباحثين والزملاء من الشباب باختيار موضوعات لبحوثهم للماجستير والدكتوراه من بعض النقاط البحثية التى مسها البحث مسا خفيفا ولم يتوقف عندها ، أو لفت النظر الى أهميتها ومر بها ، أو درسها دراسة مونوجرافية ، ثم احتاجت الى دراسات مقارنة أشمل ... الخ ·

وخلاصة الأمر أن بحوث الأسرة والمرأة شهدت نوعا من الازدهار والنشاط ــ الكمى على الأقل ــ طوال العقدين الماضيين ، وقد تتابعت جهود نشر متواضعة للتعريف بالجهود العلمية المبذولة ، وربما نذكر فى هذا الصدد دراسات علياء شكرى المنشورة فى كتب دراسات فى التغير الاجتماعى ، وعلم الاجتماع الريفى والحضرى ، وبعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى ، والاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة ، وعادات الطعام ودليل دراستها ... الخ ونشير كذلك الى مؤلفات دكتورة سناء الخولى فى جامعة الاسكندرية ، ودكتورة سامية الخشاب فى جامعة القاهرة ، والدكتور محمد سلامة آدم بجامعة القاهرة (فرع الفيوم) ، وغيرها مما لا يتسع له هذا الحيز المحدود ·

وكان عدد الرسائل الجامعية التى أولت اهتمامها لدراسة الأسرة وبحوث المرأة أكبر من المؤلفات المنشورة فى صورة كتب أو تقارير بحوث ، وهذا أمر طبيعى · وطبيعى أيضا ـ للأسف فى ظل الظروف المصرية ـ الا تجد اغلب تلك الرسائل طريقا الى النشر ليعرفها جمهور الباحثين ودوائر المسئولين عن التخطيط الاجتماعى ورسم السياسة الاجتماعية ·

ويحاول الكتاب الذى نقدمه اليوم بين يدى القارىء الكريم ان يسد هذه الفجوة ويقوم هذا النقص ، فيستعرض جانبا من بعض البحوث التى احتوتها بعض الرسائل الجامعية ، كما ننشر فيه تقارير بحوث علمية جديدة · وربما يأذن لى القارىء فى تقديم محتويات هذا المجلد الجديد عن الأسرة ·

أشرت من قبل الى أن مشكلات تطور الأسرة العربية ، والمصرية على وجه الخصوص ، من حيث الحجم والشكل والوظائف ·· الخ ، قد أصبحت محور اهتمام عدد من الرسائل العلمية ·

والحقيقة أن موضوع تطور أشكال الأسرة وتقلصها بنائيا ووظيفيا قد استحوذ على اهتمام اغلب علماء الاجتماع المتخصصين بدراسة الأسرة·وكان من أبرز هؤلاء العالم الفرنسى الكبير أميل دوركايم الذى اعتقد أن الأسرة تتطور من أشكالها الكبيرة الممتدة الى أشكال أصغر فاصغر باستمرار · أى أنها تتقلص تدريجيا من دوائر قرابية أوسع الى دوائر أضيق فاضيق ، بحيث نصل فى نهاية المطاف الى الأسرة الزواجية · كما اعتقد البعض ان هذا التقلص نتيجة تأثير عاملى التحضر والتصنيع ·

وقد أوضحت فى دراستى عن الأسرة والتصنيع أن هذا الاعتقاد لا يصمد أمام الشواهد الميدانية ، فما زالت الأسرة الممتدة موجودة جنبا الى جنب مع الأسرة النووية · لذا لا يمكن القول بحدوث تطور خطى مستقيم من أشكال أسرية كبيرة الى أشكال أسرية صغيرة · ولعل الصواب القول بأن هذا التطور اتخذ شكلا ايقاعيا معينا ، بل ودائريا فى بعض

الاحيان ، يخضع لظروف معينة خاصة بكل مجتمع ، وهى ظروف يجب الوقوف عليها وتحديدها فى كل حالة .

وقد اتجهت طائفة من الزميلات فى قسم الاجتماع بكلية البنات الى تحقيق هذه القضية فى عدد من رسائل الماجستير ، حيث اختصت كل واحدة منهن بالقاء الضوء على زاوية معينة من زوايا الموضوع . ويقدم الفصل الأول من هذا الكتاب عرضا لرسالة السيدة آمال عبد الحميد محمد المعنونة : بعض أشكال الأسرة الممتدة فى الحضر ، محدداتها ومصاحباتها الاجتماعية ، دراسة ميدانية على بعض الأسر المصرية . وواضح من العنوان أن البحث يستهدف الكشف عن مدى انتشار الأسرة الممتدة فى الحضر (على عكس اتجاه التطور الذى تفترضه نظرية التقلص) ، والكشف عن عوامل النشأة ، ودراسة الوظائف التى تضطلع بها . كما تسعى الدراسة الى الكشف عن محددات ومصاحبات هذا النمط من انماط الأسرة من حيث تنظيمه الداخلى ، مثل بناء القوة ، والانفاق ، وتقسيم العمل ، وكذلك فهم دينامية العلاقات بين أفرادها من الأجيال المختلفة سواء كانت علاقة ايجابية أو سلبية . وفى نظرة مستقبلية ، تستند الى حقائق البحث ، تحاول السيدة الباحثة الكشف عن مدى استمرار الأسرة الممتدة فى المستقبل .

ويقدم الفصل الثانى عرضا لرسالة السيدة عالية حلمى عبد العزيز حبيب بعنوان:بعض ملامح التغير فى شكل الأسرة الممتدة فى الريف المصرى التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير من قسم الاجتماع بكلية البنات . وكما سعت الدراسة السابقة الى التنقيب عن الأسرة الممتدة فى الحضر ، تسعى هذه الدراسة الى البحث عن الأسرة النووية فى الريف . فالسيدة عالية تريد الكشف عن العوامل والأسباب الأخرى البعيدة عن التصنيع والتحضر التى أدت الى انقسام الأسرة الممتدة التقليدية فى الريف ، وظهور نمط جديد هو الأسرة النووية . ولقد أسهم هذا البحث فى تحديد أنماط وملامح هذا الشكل الجديد وخصائصه والوظائف التى يؤديها .

واعتقــادى أن هاتين الدراســتين تقــدمان اسهاما أصيلا فى النظرية الاجتماعيــة فى ميــدان الأسرة ، وذلك من خلال اثبات وجود أنماط من الأسرة الممتدة فى بيئة حضرية ، وأنماط من الأسرة النووية فى بيئة ريفية ، ووجه الأهمية فى هذا الكشف هو اثبات وابراز الملامح المميزة لكل نمط من هذه الانماط الأسرية فى البيئة المصرية المعــاصرة • وهو تميز راجع الى خصوصية المجتمع المصرى ، وخصوصية المرحلة التطورية التى يمر بها •

وحول نفس الموضوع وداخل نفس الدائرة يدور البحث الثالث الذى نقدمه فى الفصل الثالث من هذا الكتاب وهو ملخص للرسالة التى تقدمت بها السيدة فاتن أحمد على لنيل درجة الماجســتير فى الاجتماع فى كليــة البنات بجامعة عين شمس وعنوانها : «التصنيع والقيم الأسرية • دراسة ميدانية فى أبو قير بمحافظة الاسكندرية» • فهذه الدراسة تنطلق من آراء بعض المفكرين الاجتماعيين لتفسير التغييرات التى لحقت بالأسرة فى المجتمع الصناعى الحديث • وتذهب تلك الآراء الى أن التصنيع يصاحبه فى العادة تغير فى القيم والعرف والعــادات التى تؤثر على بناء الأسرة ووظائفها •

وتكمن أهمية هذه الرسالة وخطورتها فى مخالفتها لتيار الفكر الأجنبى فى علم الاجتماع حول هذه النقطة • فعلى الرغم مما انتهت اليه نتــائج البحوث التى اهتمت بالأسرة والتصنيع من حدوث تغيرات شاملة فى أنساق القيم التقليدية تحت وطاة التصنيع والتحضر ، وانعكاس هذه التغيرات على بناء الأسرة ووظائفها مما أدى الى تقلص هذا البناء شكلا وحجما ، فضــلا عن اتجــاه الأسرة نحو العــزلة عن الجماعات الأولية كالجماعات القرابية وجماعات الجوار ، فضلا عن التغــيرات التى طرات على بنــاء العلاقات الداخلية • على الرغم من رواج تلك النتائج والآراء فقد انتهت رسالة السيدة فاتن الى تاكيد خصوصية المجتمع المصرى ، التى جعلت تلك النتــائج تتم على نطــاق محدود ، متاثرة فى حدوثها ببعض الخصائص الاجتماعيــة والثقافيــة والاقتصــادية المميزة للأسرة كالانتمــاء الريفى أو الحضرى والانتماء الطبقى • ونتيجة لهذا التغير البطىء ــ تؤكد فاتن ــ

أن نسق القيم التقليدية يظل محتفظا ببعض خصائصه ومقوماته الأساسية ، ومن ثم تظهـر الأنماط المتغـيرة وتستمر جنبـا الى جنب مع الأنمـاط التقليدية .

أما الدراسة التى نقدم عرضا لها فى الفصل الرابع فهى رسالة الماجستير التى قدمتها دكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله الى قسم الاجتماع بكلية البنات عين شمس عن : «نظـام القرابة عنـد بعض الجماعات السكانية المتمـيزة فى منطقة اسـوان» . وتمثـل هذه الدراسة اسهاما فى دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعيـة المصرية والافريقية على السـواء . اذ تصدت لدراسة أهم نسق اجتماعى ـ وهو نسق القرابة ـ لدى ثلاثة مجتمعات اثنية متميزة فى منطقة أسوان : المجتمع الأول مجتمع حضرى مستقر وقديم هو مجتمع مدينة أسوان . والمجتمع الثانى مجتمع اثنى متميز من النواحى السلالية والاجتماعية والثقافية هو مجتمع النوبة .والمجتمع الثالث مجتمع بدوى متميز أيضا من كافة النواحى ، خاصة النواحى السلالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . والجماعات الاثنية المتميزة رغم اختلافها الكبير تتجاور فى منطقة واحدة ، وتختلط ببعضها ، وتتبادل العلاقات فيما بينها احيـانا . وهى قبل هذا وبعد هذا مجتمعات مصرية تعيش عـلى أرض مصر . وبذلك تدعم هذه الدراسة الجهد العلمى المكثف الموجه نحو ابراز خصوصية المجتمع المصرى فى بنائه وتركيبه ووظائفه وتطوره .

ونقدم فى الفصلين الخامس والسادس من هذا الكتاب عرضا لرسـالة الدكتورة سعاد عثمان احمد المدرس بقسم الاجتماع ، بكلية بنات عين شمس عن : «الجيرة . دراسة انثروبولوجيـة لأنماط العـلاقات الاجتماعيـة ، والتفاعل الاجتماعى فى مجتمع محلى حضرى» . فيقدم الفصل الخامس ملخصا للرسالة بكافة فصولها ، على حين يقدم الفصل السادس مادة باب كامل من أبواب تلك الرسـالة هو الباب الثالث الذى يتناول «العـلاقات داخل الأسرة» .

وتعـد الرسالة التى أعدتها دكتورة سعاد تتويجا للتعـاون بين فروع

الاجتماع والانثروبولوجيا والفولكلور . فهى نفسها كطالبة بمرحلة الليسانس ، ثم بالماجستير وبعدها الدكتوراه تدربت تدريبا عاليا على نظريات ومناهج تلك النظم العلمية الثلاثة ، وأظهرت فى كل ما أجرته من رسائل وبحوث كفاءة عالية وقدرة متميزة على هضمها والافادة منها ، بل وتطويرها .

أما الفصل السابع فهو بحث ميدانى يدرس «الآثار الايجابية والسلبية لهجرة الأزواج فى الأسر الريفية . دراسة انثروبولوجية على عينة من أسر المستوى الطبقى الأدنى» ، من تاليف الدكتورة نجوى عبد الحميد سعد الله والدكتور فوزى عبد الرحمن المدرسان بقسم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس . وهى دراسة مفيدة تحاول أن تتأمل موضوع هجرة الأزواج بالبحث والدراسة لما أحدثته من آثار فى المجتمع بشكل عام ، وعلى الأسرة بوجه خاص . وهو حلقة أولى من تقرير مفصل عن بحث كبير ، نرجو أن تتلوه حلقات .

ويتجه الفصل الثامن والأخير الذى كتبه الزميل الأستاذ الدكتور حسن احمد الخولى الى محاولة القاء الضوء على بعض مشكلات الأسرة فى المجتمع العربى المعاصر . ويركز فى معالجته على ثلاثة مجالات هى : الزواج ، وأدوار المرأة ، والتنشئة الاجتماعية . وينظر اليها من زاوية الصراع بين المثل الأعلى والواقع ، وهى محاولة طيبة ومفيدة تحتوى على مادة غزيرة من المجتمع العربى السعودى .

تلك لمحة سريعة عن محتويات هذا الكتاب الجديد أرجو أن يجد فيها القارىء شيئا من الفائدة .

علياء شكرى

الفصل الأول

بعض أشكال الاسرة الممتدة فى الحضر
محدداتها ومصاحباتها الاجتماعية

دراسة ميدانية على بعض الاسر المصرية(*)

مقدمة (تعريف بالدراسة) :

تعد الأسرة أهم الجماعات الانسانية ، وأعظمها تاثيرا فى حياة الفرد والجماعات . لذا فقد نالت اهتمام أغلب الباحثين ، خاصة دراسة تطور أشكالها أو تقلصها البنائى والوظيفى ، حيث اعتقد البعض أنها تتقلص من أشكالها الكبيرة الممتدة الى أشكال أصغر فاصغر باستمرار حتى تصل الى الأسرة النووية ، والتى تمثل ذروة التطور . وبموجب ذلك تنحسر الأسرة الممتدة فى المجتمع الحديث . ولكن هذا الاعتقاد لا يصمد أمام الشواهد التى تخالف ذلك ، فمازالت توجد بعض أشكال الأسرة الممتدة فى المجتمعات الحضرية والريفية على حد سواء . ومن ثم جاءت أهمية هذه الدراسة التى تقوم على دراسة بعض أشكال الأسرة الممتدة فى الحضر ، وذلك بهدف القاء الضوء على بعض القضايا النظرية فى دراسة الأسرة الممتدة ، وكذلك التعرف على مدى انتشار الظاهرة ، والكشف عن عوامل النشأة ودراسة الوظائف التى تضطلع بها . كما تسعى الدراسة الى الكشف عن محددات ومصاحبات هذا النمط من حيث تنظيمه الداخلى (بناء قوة ـ انفاق ـ تقسيم العمل) . وكذلك فهم دينامية العلاقات بين افرادها

(*) عرض لرسالة الماجستير التى تقدمت بها السيدة آمال عبد الحميد محمد المدرس المساعد بقسم الاجتماع بكلية البنات ، جامعة عين شمس تحت اشراف الأستاذة الدكتورة علياء شكرى ، وأجيزت عام ١٩٨٦ .

من الأجيال المختلفة سواء كانت علاقات ايجابية أو سلبية • وأخيرا تسعى الدراسة ـ فى ضوء ما سبق ـ الى محاولة الكشف عن مدى استمرارية الأسرة الممتدة فى المستقبل •

وتكمن **الأهمية النظرية** للبحث فى انطلاقة من تحليل المادة الميدانية فى ضوء بعض القضايا التى كانت موضع اهتمام الاتجاه التطورى والبنائى الوظيفى ، فيما يتعلق بدراسة الأسرة الممتدة ، باعتبارهما من أكثر النظريات التى اهتمت بدراسة الأسرة • ولا يعنى الانطلاق من هاتين النظريتين أن الدراسة قد سلمت بداهة بصدقها الامبريقى ، لقد حاولت الدراسة ، أن تقدم شواهد من المجتمع المصرى يمكن فى ضوئها نقد هاتين النظريتين وتعديل بعض المسلمات النظرية التى تنطلق منها •

وتكمن**الأهمية التطبيقية** فى كونها خطوة على طريق فهم واقع الأسرة الممتدة ـ مجال الدراسة ـ بصفة خاصة ، والأسرة الممتدة الحضرية بصفة عامة ، حيث يمكن أن تنسحب بعض النتائج الى أسر ممتدة مشابهة لها فى المجتمع • كما يسهم البحث فى فهم الظروف والعوامل الخاصة بالمجتمع والتى تؤدى الى نشأة هذا النمط دون سواه من الأنماط الأخرى ، خاصة مشكلة الاسكان التى تفاقمت بصورة واضحة فى الآونة الأخيرة والتى أدت الى تكدس الأسر فى مسكن واحد ، وخاصة مشاركة الأسر النووية المتكونة الجديدة فى مسكن والدى أحد طرفيها مما يترتب عليه ظهور الأسرة الممتدة ، فضلا عن مشكلة الاسكان توجد ايضا متغيرات أخرى بواقع المجتمع المصرى سوف توضحها الدراسة الميدانية •

وقد تمت معالجة الموضوع بتقسيمه الى احدى عشر فصلا مقسمة على النحو التالى :

يتناول **الفصل الأول** : مشكلة البحث وذلك من حيث اسهامات بعض علماء الاتجاه التطورى والبنائى الوظيفى فى دراسة الأسرة الممتدة ، وكيف وجهت العديد من الانتقادات لهذين الاتجاهين • ثم يتناول الفصل تغير الأسرة الحضرية : مشكلة البحث ، وينتهى بعرض تساؤلات البحث •

أما **الفصل الثانى :** فيعـرض للاجراءات المنهجية بدءا بالمفاهيم التى سوف يرد استخدامها فى الدراسة ، وأسس اختيار مجتمع الدراسة ، وأسس اختيـار العينة ، ومصـادر البيانات ، وأساليب جمع البيـانات ، ومدة الدراسة الميدانية ، وأخيرا أساليب التحليل والتفسير .

ويدور **الفصل الثالث :** حول وصف الحالات من حيث التقسيم الطبقى ، والانتماء الطبقى للحـالات والموطن الأصلى ، وحجم الأسرة ، والسن ، والمسـتوى التعليمى والمسـتوى المهنى ، والدخل ، والحـالة السكنية ، وأخيرا وصف الأفراد .

ويعرض **الفصل الرابع :** لوصف المجتمع المحلى من حيث الخلفيـة التاريخيـة ، والنطـاق الايكولوجى ، والخـدمات التى يقدمهـا الحى وخصائص السكان وأخيرا تعريفا بحى عرب المحمدى .

ويتناول **الفصل الخامس :** عرضا نقديا لبعض الدراسات السابقة التى أجريت حول موضوع البحث سواء كانت دراسات على المستوى العـالمى أو المحلى .

أما **الفصل السادس :** فيتناول الأسرة الممتـدة من حيث الانتشـار ، وعوامل النشأة وأخيرا الوظائف .

أما **الفصل السابع : فيعرض** للتنظيم الداخلى للأسرة الممتدة من حيث بناء القوة ، والانفاق وتقسيم العمل .

ويقدم **الفصل الثامن :** العلاقات الداخلية والخارجية للأسرة الممتـدة من حيث طبيعة العلاقات وكثافتها ، ومضمون العلاقات من حيث علاقة الاحترام والتجنب أو التحاشى وأخيرا العلاقة مع الأسرة الموجهة .

ويتناول **الفصل التاسع :** الصراع وديناميه العلاقة داخل الأسرة الممتدة وذلك من حيث موضـوعاته وعوامله وأسسه ومظـاهره وأخيرا اساليب حل النزاع .

ويدور **الفصل العاشر :** حول نظرة مستقبلية عن الأسرة الممتدة ، ويتعرض لمشكلة الاسكان من حيث حجمها وأسبابها ، والمظاهر المصاحبة لها ٠

وأخيرا يتناول **الفصل الحادى عشر :** مناقشة نتائج الدراسة ٠

ونقدم فيما يلى عرضا مختصرا للدراسة ٠



أولا : مشـــكلة البحث

تبلورت مشـكلة البحث من خلال تفاعل جدلى بين مستويين ، الأول نظرى والثانى امبريقى .

بالنسبة للمستوى الأول يتعلق بالنظريات التى ناقشت قضايا تتصـل بالأسرة وتغيرها من حيث البناء والوظيفة . وهنا تم الاستعانة بالاتجـاه التطورى والاتجـاه البنائى الوظيفى ، حيث يؤكد الأول على أن الأسرة تتطور من أشكالها الكبيرة الممتدة الى أشكال أصغر فأصغر باستمرار حتى تصل الى الأسرة النووية التى تمثل ذروة التطور . ويؤكد الاتجاه الثانى أيضـا على التقلص البنـائي للاسرة وتحوله من ممتـدة الى نووى ، الى جانب وظائف الأسرة .

وبالرغم من الاسـتعانة بهـذين الاتجـاهين الا أن الدراسـة لا تأخذ بالقضـايا التى توصـلا اليهـا ، وتطبيقها تطبيقا ميكانيكيا على الواقع المصرى . وذلك لأن هذه القضايا ظهرت فى ظروف مغايرة ، كمـا أنهـا تتعرض لكثير من الانتقادات سواء فى المجتمعات التى نشأت فيهـا ، أو فى مجتمعنا المصرى . ومن ثم ليس من المنطقى أن نسلم بها ونطبقها علـى مجتمعنا الذى له خصوصية يتميز بها ، ولكن تم الاستعانة بها من اجل بلورة قضايا تخضع للاختبار الامبيريقى .

وهذا هو المستوى الثانى الذى يتصل بواقع المجتمع المصرى وما يشهده من تغيرات قد تتفق أو تختلف مع التحليـلات النظرية . فبمراجعة هذه القضايا مع الواقع توافرت شواهد أولية ماخوذة من المجتمع المصرى تؤكد على أن التحضر الذى يحدث فى مصر الآن ، لا يصاحبه بالضرورة تبـدل نمط الأسرة بحيث يتحول من ممتد الى نووى .

كما أكدت الشواهد على وجود وظائف للأسرة . فشكل الأسرة نوويا كان أو ممتـدا يمثـل انعكاسا لمؤثرات ومتطلبـات اقتصادية واجتماعية وثقافية بالمجتمع الكبير . كما أفرزت هذه الظروف شكلا جديدا من الأسرة

الممتدة فى الحضر . وأن هذا الشكل يفرض وظائف وعلاقات جديدة وأشكالا جديدة من الصراع ، ومن ثم فان هذه الدراسة تسعى الى الكشف عن مدى وجود وانتشار هذا الشكل المتميز من الأسرة الممتدة فى الحضر ، كذلك معرفة عوامل النشأة وشكل التنظيم الداخلى والدينامية الداخلية لها ، محاولين أن نربط بين هذه العناصر والظروف المتغيرة للتحضر داخل المدينة المصرية .

وفى ضوء ما سبق تسعى الدراسة الى تقديم اجابة على سؤال محورى هو : الى أى مدى تتشكل بنية الأسرة الممتدة فى الحضر ، ووظائفها ، وديناميتها الداخلية ، فى ضوء الظروف البنائية العامة للمدينة المصرية ، وفى ضوء ظروف التغير الاجتماعى الذى يشهده المجتمع المصرى .

ويمكن فى ضوء هذه الصياغة العامة أن نشتق بعض التساؤلات التى تسعى الدراسة الى الكشف عنها :

١ ـ الى أى مدى تنتشر الأسرة الممتدة فى الحضر ؟ وفى أى الطبقات ؟ وما هى أكثر أشكالها انتشارا ؟

٢ ـ ما هى العوامل التى تؤدى الى نشأتها ؟ بمعنى :

ـ هل تساعد العوامل الاقتصادية مثل وجود مشكلة الاسكان ـ تجانس المهنة ـ المساعدة فى المعيشة على نشأة الأسرة الممتدة .

٣ ـ اذا كان الشكل الجديد للأسرة الممتدة ينتشر ويزداد وجوده ، فما هى الوظائف التى يضطلع بها ؟

بمعنى :

(أ) هل تؤدى الأسرة الممتدة وظائف اقتصادية ؟

(ب) هل تؤدى الأسرة الممتدة وظائف اجتماعية وثقافية ؟

٤ ـ ما هى طبيعة البناء الداخلى للأسرة الممتدة ؟

وذلك من حيث :

(أ) ما هى أشكال التنظيم الداخلى للأسرة الممتدة ؟

بمعنى :

هل توجد قوة صارمة ، وما هى علاقة القوة باتخاذ القرار ؟

ما هى سياسة الانفاق وأنماطها داخل الأسرة الممتدة ؟

ما هى الأنشطة التى تؤدى داخل الأسرة الممتـــدة ؟ وما هى أسس تقسيم العمل ؟

(ب) ما هى طبيعة العلاقات داخل الأسرة الممتدة ؟ وما هو مضمون هذه العلاقات ؟ بمعنى :

ـ هل توجد مصطلحات نداء وعلاقة احترام ومشورة ومزاح وتجنب وصراع بين أفراد الأسرة الممتدة ؟

وما هى مؤشرات الامتـداد القرابى بين الزوجين وأسرهما الموجهة ؟

●★●

ثانيا : الاجراءات المنهجية

يعد المنهج سلسلة من الحلقات المترابطة ترابطا منطقيا ، بحيث تؤدى كل حلقة الى الحلقة التالية ، بدءا من التصـور النظـرى وحتى تفســير النتــائج مرورا بالاجراءات المنهجية . ونعرض فيما يلى للخطوات التى استخدمت فى هذه الدراسة بدءا بالتعريف الاجرائى وانتهــاءا بالتحليــل والتفســير .

١ ـ التعريف الاجرائى للأسرة الممتدة :

يقصد بالأسرة الممتدة فى هذا البحث : جماعة قرابية تتكون من ثلاثة اجيال ، جيل الآباء والأبناء والأحفاد ، ويعيشون معا فى شقة واحدة .

٢ ـ المجـال الجغـــرافى :

روعى فى اختيار مجتمع البحث أن يتسم بالعـراقة والقـدم نسبيا ، خاصـة من الناحية العمرانية ، وذلك لأن المناطق الجديدة أو المستحدثة تستقطب فى الغالب أسرا نووية • كمـا روعى وجود تنوع طبقى داخله ، حيث يضم الطبقات الثلاث : عليا ، وسطى ، دنيـا •

ومن خلال الزيارات التى أجرتها الباحثة على عديد من المناطق مثل : شبرا الخيمة ، مصر الجديدة ، المطرية ، العباسية ، الدقى ، وقع الاختيار على حى العباسية لتوافر الأسس السابقة فيه •

٣ ـ المجـال البشرى :

وحيث أن المجال البشرى للدراسة هو الأسرة الممتدة ، فقد تم اختيار عشرون حالة أجريت عليهـا دراسـة متعمقة • وعن كيفيـة اختيـار هذه الحالات فقد أجرت الباحثة مسحا على بعض المدارس فى حى العباسية ، فى شياختى السرايات وبين الجناين • حيث تمثل الأولى الطرف الشمالى الشرقى للحى ، والثانيـة الطـرف الجنوبى الغربى • وكان الهدف من ذلك الحصول على تنوع جغـرافى للحالات فى أكثر من شياخة • وقد سئل التلاميـذ فى كل فصـل ، من فصول هذه المدارس ، عن معيشتهم فى أسرة ممتدة • وقد تم اختيار العشرون حالة وفقا للشروط التالية :

(أ) أن تشتمل على المستويات الطبقية الثـلاث : عليا ، وسطى ، دنيا وذلك لمعرفة مدى انتشار الظـاهرة بين الطبقات ، ومعـرفة عوامل النشأة وطبيعة البناء ••• الخ باختلاف الطبقات • وفى هذا الصدد قامت الباحثة بتصميم مقياس طبقى لتصنيف الحالات ، اعتمـد على جانبين : جانب كمى وآخر كيفى • حيث تم الاستعانة بالكيفى بجانب الكمى لأنه لم تعد المحكات الكمية وحدها كافية لتصنيف الطبقة ، بسبب التغـيرات التى طرأت على المجتمع ، خاصة للتغيرات الاقتصادية ، خصوصا فى فترة الانفتاح ، والتى أدت الى ارتفاع الدخول وبالتالى الى حدوث حراك مهنى

واجتماعى بين بعض الفئات مثل الحرفيين · ولا يعنى ارتفاع الدخول فى هذه الفئة حراكهم من طبقة الى أخرى بناء على محك الدخل ، لأننا قد نجدها من الناحية الثقافية مازالت تنتمى الى نفس الطبقة · لذا جاء تاكيد المقياس على أهمية المحكات الكيفية (الثقافية) الى جانب الكمية ·

وقد تم تقسيم المقياس الكمى والكيفى الى أربع محكات داخل كل منها وهى كما يلى :

المقياس الكمى : التعليم ـ المهنة ـ الدخل ـ الملكية ·

المقياس الكيفى : وصف المنزل ـ طريقة التحدث ـ الأزياء ـ طريقة تناول الطعام ·

وقد تم تقسيم كل محك من المحكات الثمانية الى ثلاث مجموعات تأخذ كل منها درجة ، وبذلك نحصل على ٢٤ درجة · وأخيرا تم تقسيم جميع الدرجات (٢٤) الى ثلاث ، بحيث تحصل على ثلاث فئات تمثل الثلاث طبقات(*) وهى :

٨ ـ ١٣ الطبقة الدنيا ، ١٤ ـ ١٩ الطبقة الوسطى ، ٢٠ ـ ٢٤ الطبقة العليا ·

(ب) أن تتنوع أشكال الأسرة الممتدة من حيث ، الشكل الأبوى ، والأمومى ، الثنائى · وذلك لمعرفة عوامل النشاة وطبيعة البناء باختلاف أشكال الأسرة الممتدة ·

(جـ) أن تتنوع فى عمر تكوينها من حيث حداثة التكوين أو قدمه ، وذلك للكشف عن التغيرات التى طرأت على البناء وطبيعته ·

(*) حيث ان مجمــوع الدرجات ينحصر ما بين ٨ الى ٢٤ (أى ١٧ درجة) فانه من الاستحالة تقسيمها الى ثلاث فئات متساوية ، لذا تم التقسيم كما يلى : ٦ درجات للطبقة الدنيا ، ٦ درجات للطبقة الوسطى ، ٥ درجات للطبقة العليا ·

(د) من منطلق الاهتمام ببعد عمالة الزوجة روعى فى الاختيار تنوع الحالات ما بين زوجات ربات بيوت وعاملات ٠

٤ ـ مصادر جمع البيانات :

لما كانت الدراسة تهدف الى فهم واقع الأسرة الممتدة فى الحضر ، فكان لازما أن تتعدد مصادر البيانات التى يتم من خلالها جمع المادة وتحليلها وفقا لذلك ٠ وهذه المصادر هى :

(أ) البيانات الاحصائية :

تمت الاستعانة بالبيانات الاحصائية للوصول الى مزيد من فهم واقع الظاهرة وقد تم الاعتماد على مصدرين : الاحصاءات الرسمية وهى الصادرة من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاءات ٠

والاحصاءات التى قامت بها الباحثة من خلال : حساب النسب المئوية ، والمتوسط الحسابى لمعرفة حجم الأسرة ، الدخل ، معدل التزاحم ٠٠الخ ٠

وبالاضافة الى ما سبق ، قامت الباحثة بقياس كثافة العلاقات داخل الأسرة الممتدة ، هذا فضلا عن الاستعانة بشبكة العلاقات السوسيومترية وبعض الرسوم البيانية على شكل منحنيات وأعمدة ٠

(ب) بيانات كمية ومسحية :

لما كانت الدراسة تهدف الى معرفة مدى انتشار الأسرة الممتدة فى الحضر ، فقد تم اجراء دراسة مسحية على بعض المدارس فى بعض الأقسام وهى مصر الجديدة ، قصر النيل ، المطرية ، الوايلى بمحافظة القاهرة ، وامبابة فى محافظة الجيزة ، وذلك بهدف معرفة مدى انتشار الظاهرة سواء أكانت وفقا للتعريف الاجرائى أو كانت أحادية الجيل الأول أو ممتدة معدلة فى نفس المنزل ٠ وكان الهدف من المسح أيضا الحصول على بيانات أحدث من بيانات تعداد ١٩٧٦ ٠

(جـ) البيانات الكيفية :

من المعروف أن البيانات الاحصائية المسحية لا تقدم سوى صورة سطحية عن الظاهرة ، من حيث أنها تركز على النطاق دون العمق . لذا كان من الضرورى أن تكتمل بالبيانات والأدوات الكيفية مع التركيز على عدد محدود من الحالات . ولذلك فقد عولت هذه الدراسة كثيرا على البيانات الكيفية التى جمعت من خلال الملاحظة والمقابلة المتعمقة .

٥ ـ أساليب جمع البيانات :

وفقا لتنوع مصادر المادة ، اقتضت الدراسة الاستعانة بعدة وسائل لجمع البيانات وهى :

(أ) الملاحظة : حيث تمت ملاحظة الجوانب الايكولوجية للحى وتقسيمه الداخلى من حيث تقسيم شوارعه وشكل المساكن به ، وخصائص سكانه . كما تمت ملاحظة بعض السلوكيات التى تعكس أنماط التفاعل الاجتماعى وفقا لمساحة المسكن وعدد حجراته . كما تمت ملاحظة كل كبيرة وصغيرة داخل الوحدة السكنية للحالات ، حيث اهتمت الباحثة بملاحظة الحياة اليومية من حيث ملاحظة سلوكيات الأفراد ومعاملاتهم ، وتعبيراتهم وتعليقاتهم على بعضهم البعض . فالملاحظة أفادت فى فهم ديناميات التفاعل والتعرف على طرق أداء الدور وتوقعاته المرتبطة به كما شاركت الباحثة فى الأنشطة مع الأسرة وذلك لملاحظة سلوكياتهم مثل الذهاب مع الزوجة الى السوق لشراء الخضروات ، أو فى أداء أى نشاط داخل المنزل ، كما شاركت اللعب مع الأحفاد . هذا فضلا عن المشاركة فى شتى المناسبات مثل الأعياد والمرض . وقد خلقت هذه الطريقة علاقة صداقة مع أفراد الأسرة الممتدة ، كما أتاحت فرصا للمشاركة أثرت البحث وحققت مزيدا من البيانات المتعمقة .

(ب) المقابلة :

تم الاستعانة بالمقابلة ، كوسيلة لجمع البيانات ، مع مختلف الفئات

دينامياتها الداخلية ، كما اهتمت بدراسة المواقف الفردية والكلية الشمولية التى تسهم فى فهم الحياة فى نطاق الأسرة الممتدة . كما يمكن الوصول الى تعميمات للنتائج التى توصلت اليها الدراسة على حالات أخرى مشابهة لها فى المجتمع .

وقد اقتضى هذا المنهج الاهتمام بالبعد التاريخى اى الزمنى للأحداث التى طرأت على الأسرة ، مثل الأنماط الاسرية التى مرت بها فى دائرة حياتها ، وكذلك تتبع الأحداث الهامة مثل تغير نمط الانفاق ، انتقال القوة ، تغير طبيعة العلاقات .. الخ .

(د) التصوير الفوتوغرافى :

استعانت الباحثة بالتصوير الفوتوغرافى لبيان بعض الجوانب الايكولوجية الخاصة بالحى والمسكن . وقد تمت عملية التصوير فى المرحلة النهائية من البحث حتى لا يثير استخدام الكاميرا بعض الشكوك والمخاوف .

٦ ـ مدة الدراسة الميدانية :

بدأت منذ أوائل أكتوبر ١٩٨١ الى نهاية ديسمبر ١٩٨٣ . وقد استمرت الباحثة فى المتابعة حتى كتابة التقرير النهائى ، وذلك للتحقق من بعض النقاط أو الاستزادة من بعضها ، وكذلك متابعة التغيرات التى طرأت على حياة الأسرة .

٧ ـ أساليب التحليل والتفسير :

تم الاستعانة بعدة أساليب هى :

(أ) الأسلوب الكمى والكيفى : جمعت الدراسة بين أسلوبى التحليل الكمى والكيفى ، وفقا لمقتضيات عرض المادة والتحقق من الفروض . ولما كانت البيانات التى جمعت متنوعة ومستفيضة ، فقد كان على الباحثة أن تحدد مستويات لتحليل المادة هى :

الأنماط : (أبوى وامومى) ـ الطبقة : (عليا ـ وسطى ـ دنيـا) ـ الجيل : (الأول ـ الثانى ـ الثالث) ٠

وقد تم تفسـير البيانات فى ضوء مستويين : التفسير الواسع النطـاق (الماكرو) والضيق النطـاق (الميكرو) ، حيث حاولت الدراسة أن تفهم التغيرات المصاحبة لظهور واستمرار الأسرة الممتـدة فى الحضر فى ضـوء السياق العام للمجتمع المصرى والتغيرات التى تعرض لها ٠ وكان التحليل بادئا دائما بالتحليـل الضيق النطاق حيث تعرض بيانات عن الحـالات المدروسة ثم الربط بينها وبين السياق البنائى الأوسع ٠

(ب) التحليل المقـارن :

استخدمت المقارنة فى تحليل عناصر الظاهرة وفقا لمستويات التحليل السابقة (الأنماط ـ الطبقة ـ الجيل) ، وذلك للتعرف على الأبعاد المختلفة فى تحليل البيانات ٠

(جـ) التحليل الايكولوجى :

وذلك من حيث تحليل ايكولوجية المسكن وتاثيره على طرق معيشـة الأسرة الممتدة ، حيث أوضح كيفية تكيف الأفراد فى مساحة المسكن ، وأثر الحيز المكانى على تكدس الأفراد واستخدام الحجرات لأكثر من غرض ، واثر هذا التزاحم على اختفاء الخصوصية وكثرة العـلاقات والتوترات ٠

(د) تحليـل الدور :

من اجل فهم الدينامية الداخلية للأسرة الممتدة تم التحليل بناء على :

ـ توزيع الأدوار بين أفراد الأسرة الممتدة ٠

ـ تحليل الأدوار المعيـارية (المثاليـة) والأدوار المتوقعـة والأدوار الوظيفية (الفعلية) ٠

ـ تحليل شبكة علاقات الأدوار داخل الأسرة الممتدة ٠

ـ تحليل صراع الدور ٠

(هـ) تحليل مضمون اقوال الاخباريين :

تم الاستعانة بأسلوب تحليل اقوال الاخباريين كما ذكرت نصا فى تفسير كثير من البيانات المدروسة .. وكذا الكشف عن الأبعاد ووجهات النظر المختلفة للأفراد . وهى تؤخذ أيضا كدلائل وشواهد ميدانية فى ايضاح المشكلات البارزة . وهذا الأسلوب يفيد فى اثراء الدراسة فى فهم التنوعات الثقافية للحالات .

●✶●

ثالثا : نتـــــائج البحث

تمكن البحث من التوصل الى مجموعة من النتائج ، كانت بمثابة اجابات على التساؤلات التى طرحتها الدراسة ، نوجزها على النحو التـــالى :

١ ـ انتشار الأسرة الممتـــدة :

تنتشر الأسرة الممتدة فى المجتمع الحضرى ، جيث دلت على ذلك نتائج تعداد ١٩٧٦ ، ونتـائج الدراسة المسحية التى قامت بهـا الباحثة . فلقد أوضحت نتائج التعداد أن ثلث أنماط الأسر المعيشية على مستوى اجمالى الجمهورية يعيشـون فى هذا النمط ؛ وأن ما يقرب من $\frac{1}{5}$ أنماط الأسر المعيشية على مستوى محافظة القاهرة يعيشون **أيضاً فى أسر ممتدة .**

وتراوحت نسبة الانتشار بين أقسام محافظة القاهرة بين ١٤ر٤٪ الى ٢٣ر٢٪ وأن الفارق بين النسب العظمى والصغرى متقارب مما يدل على أن الظاهرة منتشرة بمعدل يكاد يقترب من الثبات فى الأقسام المختلفة .

كمـا دلت الدراسـة المسحية على انتشـار الأسرة الممتـدة فى مختلف الطبقات خاصة الوسطى والدنيا ، وأن اكثر أشكالها انتشـارا هو شـكل الأسرة الممتـدة الاقامة الأبوية . وقد يرجع ذلك الى تفضيل اقامة الابن على الابنة حيث تقع مسئولية الحصول على مسكن على عاتق الابن ، لذا

يكون على الأسرة أن تيسر للابن مكانا يقيم فيه بعد الزواج • وأوضحت المعايشة للحالات أن الابن يستمر فى تحمل مسئولية والديه لذا يكون فى اقامته معهما حماية لهما من أخطار المرض والشيخوخة • كما أدت مشكلة الاسكان الى تمسك الأسرة بالمسكن المؤجر ، وبالتالى يكون من حق الابن أن يرث المسكن بعد وفاة والديه • وفى هذا يقول والد الزوجة فى أسرة من الطبقة الوسطى الأمومية :

«ابنى أولى يقعد أحسن من الغريب (زوج الابنة) •

وليه أسيب ابنى يتلطم ويدور على شقة والغريب يقعد ويبرطع فيها» •

مما سبق يتضح أن المعايير الثقافية تفضل الاقامة الأبوية عن الأمومية ، رغم أن الواقع المعاش أوضح أن العلاقات داخل النمط الثانى أفضل بكثير من الأول •

٢ ـ عوامل نشأة الأسرة الممتدة :

هناك عدة عوامل أدت الى نشأة هذا النمط وكلها انعكاس للظروف التى يجتازها مجتمعنا المصرى • ويتضح ذلك فيما يلى :

(أ) العوامل الاقتصادية :

كان للعوامل الاقتصادية الدور الرئيسى فى نشأة معظم حالات هذا النمط ، فقد كانت نسبتها من اجمالى الحالات ٨٠٫٩٪ ، وكان هو العامل الوحيد لتكوين النمط الأمومى • وتمثل هذا العامل فى ثلاث نقاط تنوعت شدتها وأهميتها وفقا لمتغير الطبقة كما يلى :

مشكلة الاسكان :

كان لمشكلة الاسكان دورا بارزا فى نشأة أكثر من نصف حالات البحث وتمثلت مشكلة الاسكان فيما يلى :

■ **البحث عن المسكن الملائم :** وظهر هذا العامل فى الطبقة العليا فقط ، وذلك لتوافر الامكانيات المادية التى تتيح للأزواج فرصة اختيار مسكن ملائم للاقامة فيه ، ويفضل الكثير منهم التمليك عن الايجار ٠ وازاء ذلك يفضلون الاقامة فى منزل والد الزوجة الى ان يتسنى لهم الحصول على المسكن المناسب ٠

■ **ارتفاع المقدمات والخلوات :**

وهى ظاهرة منتشرة فى مجتمعنا فى الوقت الحاضر ، فلا يمكن الحصول على مسكن بدون دفع مقدم/خلو ٠ وقد اظهر البحث هذه الصورة بشكل لافت وكان لها أثرا فى تكوين الأسرة الممتدة فى **الطبقة الوسطى** والدنيا ، حيث أنها تعانى من قلة الموارد المادية التى تيسر لها الحصول على مسكن ٠ وفى هذا يقول زوج من الطبقة الوسطى :

«اللى محوشه من يوم ما اشتغلت ما يجبش حق أوضه ، ده غير الايجار شوف هادفع كام» ٠

ويكون لدى البعض حل هذه المشكلة بتكوين أسرة ممتدة ٠

■ **تلاعب الملاك علي المستاجرين الجدد :**

نتيجة تفاقم مشكلة الاسكان فى الآونة الأخيرة ظهرت بعض الأساليب يتلاعب بها المالك على المستاجرين الجدد مثل عدم كتابة عقد ايجار او كتابته ولكنه يماطل فى بناء المسكن ٠ وذلك بهدف الحصول علي مقدم أو خلو أعلى أو ليؤجره لمستأجرين جدد يدفعون أكثر ٠٠ الخ ٠ ٠٠ ومن هنا تضيع على المستأجرين فرصة الحصول على مسكن نتيجة الزيادة المستمرة فى المقدمات/الخلوات والايجارات ٠ ويكون تكوين الأسرة الممتدة حلا لهذه المشكلة ٠

تجانس المهنة (الدخل المشترك) :

ادى تجانس المهنة بين الأب والابن وارتباطهما فى العمل والدخل

المشترك الى اقامة حياة معيشية مشتركة ٠ وقد ظهر هذا العامل فى الطبقة الوسطى ٠ وفى هذا يقول أحد الأزواج :

«ماكنش فيه حل غير انى أقعد مع والدى ٠٠ لأنى لازم أسكن جنب المحل ٠٠ لأنى لو لقيت شقة حالقيها فى المطرية أو عين شمس ، وده بعيد عن المحل بتاعنا ٠ وما كنتش أقدر أسيب والدى وأشتغل لوحدى ٠ بفضل اخواتى يتعلموا فى نفس الوضع اللى هما فيه ٠ ولما والدى قال لى أقعد معايا وافقت على طول» ٠

وهكذا أدى تجانس المهنة الى تكوين الأسرة الممتدة ٠

المساعدة فى نفقات المعيشة :

ظهر هذا العامل فى صورتين هما :

■ اعالة الوالدين : فقد كان لزاما على الابن ـ خاصة الأكبر ـ اعالة والديه بعد انقطاع مصدر الرزق عنهما ، فمسئولية الابن تحتم عليه ذلك ٠

■ الحاجة الى العيش فى كنف الآخرين : وهى خاصة بالزوج الذى لا تمكنه ظروفه المادية من الانفاق على أسرته بمفرده ، لذا يلجأ الى العيش فى أسرة ممتدة ٠

وفى هذا تقول زوجة من الاقامة الأمومية فى الطبقة الدنيا :

«جوزى كان بياع أبائيب وشباشب بلاستيك وحالته كانت شحه ٠٠ وماكناش نقدر نعيش لوحدنا فتجوزنا عند سلفتى ٠٠ ولما طلعونا من الشقة ٠٠ روحنا عند أبويا ٠٠» ٠

يوضح هذا القول أن التغيرات التى طرأت على النسق الاقتصادى كان لها أثر على الأسرة ، حيث أدى انحسار بعض الحرف التقليدية الى انخفاض الدخل أو عطالة الأفراد العاملين به ، ومن ثم لا يجد هؤلاء حلا لمواجهة هذه الأزمات غير اللجوء الى تكوين أسرة ممتدة ٠

ومن عرض العوامل السابقة يتضح أن التغيرات التى طرأت على الأنساق الفرعية فى المجتمع ساهمت بقسط وافر فى نشأة هذا الشكل ٠

(ب) العوامل الاجتماعية والثقافية :

لعبت العوامل الاجتماعية والثقافية دورا كبيرا فى تكوين الأسرة الممتدة الأبوية حيث بلغت نسبتها ٦٠٪ من اجمـــالى تلك الاقامة ٠ ومن هذه العوامل نذكر ما يلى :

رعاية الوالدين :

ان حاجة الوالدين لمن يقـوم برعايتهما والاشراف على شئونهما ـ عنـد كبر سنهما ـ أدى الى أن يتزوج الابن ويقيـم معهما ، حتى يقـــوم هو وزوجته بخدمتهما ورعايتهما والاشراف على شئونهما الصحية والمعيشية ٠ وفى هذا يقول والد الزوج :

«معقول يتجوز ويسكن بره من غير ما حد يشوف طلباتنا»

فليس من المتوقع أن يتقاعس الابن عن اداء هذا الدور ٠

القيم الأسرية :

تمثلت القيم الأسرية التى دفعت الى نشـأة الأسرة الممتدة فى قيمتى الزواج المبكر للأبناء ، وقيمة الترابط والوحدة الأسرية ٠

فبالنسبة لقيمة الزواج المبكر فانها ظهرت فى الطبقة الدنيا الأبوية ، حيث اكدت الدراسة المتعمقة أن الريفيين المقيمين فى المدينة ينقلون معهم قيمهم الثقافية التى تحث على زواج الأبناء مبكرا ، مادامت بساطة هذه الطبقة تيسر عمليـة اتمام الزواج ٠ كما أن فى الزواج المبـكر حصنا من الانحراف ٠ وفى هذا تقول والدة الزوج فى أحد الأسر :

«العيال لو ماكنتش تتلم وهى صغيرة تفسد ٠٠»

أما عن قيمة الترابط والوحدة الأسرية فقـد دلت الدراسة على وجود تماسك فى وحدة الأسرة ، حيث يحرص الاباء على اقامة أبنائهم معهم ، وكذلك فى تحمل الأبناء ـ خاصة الأكبر ـ مسئولية الوالدين سواء من حيث الاعالة أو الرعاية ٠

وهكذا يمكن القول أن عوامل نشأة الأسرة الممتدة هى انعكاس واضح للظروف والتغيرات التى يشهدها المجتمع المصرى ، ولم تكن نشأتها تسير فى اتجـاه معين : أحادى أو دائرى ، بل أن الظـروف المحيطة بالاسرة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية وثقافية تؤدى الى تكوينها ٠

٣ ـ وظائف الأسرة الممتـدة :

أوضح البحث الميدانى أن الأسرة الممتدة تضطلع بمجموعة من الوظائف الجوهرية ، تكون الجـانب الايجـابى الهـام الذى يسـاعد على بقائها واستمرارها ، وان كان وجود هذا الشكل ساعد على ظهور أنواع جديدة من اشكال الصراع ٠ ويمكن ايجاز أهم هذه الوظائف فيما يلى :

(أ) الوظائف الاقتصادية :

وهى أهم ما تضطلع به الأسرة والتى تسـاعد على حمـاية النظـام واستمراريته ٠ وتتمثل هذه الوظائف فيما يلى :

المأوى (الاقامة) :

للأسرة الممتدة وظيفة أساسية ، ليس فقط على المستوى الاسرى ، بل أيضا على المستوى القومى ، حيث أنها تعتبر ـ الى حد ما ـ حلا لمشكلة الاسكان ، خاصة للمقدمين على الزواج فى الطبقة الوسطى والدنيا فبـدلا من أن ينتظر المقـدم عـلى الزواج سـنوات لحين حصـوله على المسكن أو الاحجام عن الزواج فان تكوين الأسرة الممتدة حلا لهذه المشكلة ، حتى وان كان بشكل مؤقت ٠

العون النقـدى :

تقدم الأسرة الممتدة العون النقدى ، وتكفل وتؤمن الحياة للأفراد الذين لا يمكنهم تحقيـق ذلك من خلال الاعتمـاد عـلى أنفسـهم أو من خلال المؤسسات الخارجية التى تتكفل بذلك (مثل المسنين والأرامل والمطلقـات وحالات الهجـر) وكذلك تقـدم العون النقدى للأبناء المتزوجين الذين لم

يستقلوا اقتصاديا نتيجة التحاقهم بالخدمة العسكرية . كما تقدم العون فى الظروف القهرية مثل : مرض ـ عطالة ـ عجز ـ حاجة مادية . فهى بذلك تستكمل أو تقدم أشكالا كثيرة من أشكال الرعاية الاقتصادية والاجتماعية التى تعجز الدولة عن تقديمها أو تتجاهلها .

المساعدة فى نفقات المعيشة :

تخص هذه الوظيفة الشكل الممتد الذى يعيش بمشاركة فى الانفاق على الطعام ، حيث تعتبر هذه المشاركة أسلوبا يمكنهم من مواجهة أعباء الحياة المعيشية نتيجة الارتفاع المتزايد فى الأسعار ، وتخفيف وطأة الانفاق .

المجـــاملات :

اوضحت الدراسة المتعمقة أن وجود مجـاملات فى المناسبات بشكلها النقدى والعينى يكون بمثابة نوع من المساعدة فى نفقات الحياة المعيشية حيث أن المجاملات المادية تساعد فى الانفاق ، والمجاملات العينيـة تأخذ شكل الهدايا الوظيفية . وفى هذا تقول احدى الزوجات فى الدنيا الأمومية :

«بيشوفو نقصنا ايه .. ويجبوه .. على أد الايد ما هى طايلة» .

(ب) الوظائف الاجتماعية والثقافية :

تمثلت هذه الوظائف فيما يلى :

الحماية والعون العاطفى :

توفر الأسرة الممتدة الحماية والعون العاطفى للمسنين ، حيث توفر لهم زادا معنويا ووجدانيا يقيهم من العزلة الاجتماعية ، كمـا تخلق لهم جوا من المزاح بينهم وبين أفراد الأسرة خاصة الأحفاد . وهى بذلك تؤدى وظيفة ترفيهية . كما تعطى الحماية للأرامل والمطلقات وحالات الهجر فى مواجهة أخطار الحياة بفضل الاعتماد على مساندة أفراد الأسرة .

التعاون والتضامن الداخلى :

تخلق الأسرة الممتـدة علاقة تعاون بين أفرادها تعمـل على توطيد

أواصر الأسرة ، وكذلك تعايش أفرادها بطريقة تؤمن استمراريتها . ويظهر هذا التعاون فى المناسبات المختلفة مثل زواج ، ولادة ، مساعدة الزوجة العاملة وفى الظروف القهرية .

التنشئة الاجتماعية :

ان ادماج الأجيال المتعاقبة يعمل على سرعة نقل التراث الثقافى السائد والخبرة الثقافية من الجيل الأول الى الثانى ، ومن كليهما الى الثالث . ومن هنا تؤدى الأسرة الممتدة وظيفة ثقافية هامة . كما دلت الدراسة على أهميـة الدور الذى تلعبه الجدة خصوصا فى فترات حمل الزوجة والولادة ورعاية الطفل . كما تجد الزوجة العاملة فى الأسرة الممتدة حلا لمشـكلة حضانة الطفل ، حيث تتركه مع الأجداد وفى ذلك تقول زوجة فى الطبقة الوسطى الأمومية :

« لو حتى فيه داده كويسة ، مش ممكن أسيب بنتى معاها واطمئن عليها زى ماما .. مش عارفة لو سكنت لوحدى كنت حاعمل ايه » . كما ينقـل الأجداد خبرتهم الثقـافية والاجتماعيـة والدينيـة والعمليـة الى أحفادهم .

الضبط الاجتماعى :

أوضـح البحث أن الأسرة الممتـدة تنظم سلوكيات أفرادها من أجل الحفاظ على استمرار تعايشهم معا . ويتم ممارسة هذا الضبط عن طريق العرف والعادات والتقاليد الأسرية ، والتى تكون فى الغالب مقبولة لدى الأفراد . ويتم تحقيق هذه الوظيفة من خلال المعايشة معا ، حيث تتيح الاقامة المشتركة ، مراقبة سلوكيات بعضهم البعض باسـتمرار . ويكون حائز القوة بمثابة المنظم للحقوق والواجبات بين الأفراد كمـا يفصل فى النزاعات التى تنشأ بينهم .

وهكذا نجد أن الأسرة الممتدة مازالت تضطلع بوظائف جوهرية . وهذا يناقض الافتراضات النظرية التى تزعم تقلص وظائف الأسرة . بل اصبح

هنـاك استمرار للعديد من الوظائف ، الى جانب ظهور وظائف جديدة فرضتها ضغوط الحياة الاقتصادية والاجتماعية • فالأسرة أصبحت مكملة للمؤسسات الأخرى أو أنها أقدر وأكفـا فى ادائها لتلك الوظائف من هذه المؤسسات •

ولكن بالرغم من اهمية ذلك ظهـرت معوقات وظيفية جديدة أيضـا حيث أصبح الفرد يشعر بذاته وخصوصيته ، مما ادى الى ظهور عديد من الصراعات التى تحتاج الى تنظيم داخلى صارم ، وهذا ما سوف نناقشه فى الفقرات التالية •

٤ - التنظيم الداخلى للأسرة الممتدة :

لما كان بناء الأسرة الممتدة يتميز بوجود ثلاثة أجيال يعيشون فى شقة واحدة ، أصبح من الضرورى وجود تنظيم لهذه الجماعة ، حتى يتعايش أفرادها معا بطريقة تضمن استمرارية الحياة • وقد أوضح البحث الميدانى وجود ثلاثة اشكال لهذا التنظيم :

(أ) بنـاء القـوة :

اوضحت نتائج الدراسة المتعمقة انه لم تعد القوة صارمة ولا تتركز فى يد شخص واحد ، بل اصبح لصاحب القوة مميزات تؤهله لأن يتخذ القرار فى الشئون الخاصة ببناء وتنظيم الأسرة ، أما فيما يتعلق بشئون الزوجين من الجيل الثانى ، فهى تعتـبر نسبيا من اختصاصهما ، حيث ظهـرت الفردية وبرز دورها • وفى ذلك تختلف عن الأسرة الممتدة التقليدية التى كانت القـوة تتركز من حيث الشـكل فى أيدى الذكور ، ولـكن تبين من المعايشة أن القوة فى الواقع فى أيدى الاناث خاصة الأم من الجيل الأول ، وهى فى الغالب تستمد قوتها من الابن •وفى ذلك تقول والدة الزوج فى أسرة بها اثنان من الأبناء متزوجين ويقيمون مع الأسرة :

«ابنى لقـانى زعلانة منهم (اى الزوجات) قال يا أمه انت عنـدك جزمتين ، الجزمة اللى ماتعجبكيش ارميها وهاتى غيرها •هما كده جزمتين تحت رجليه» •

ويدعم وجود القوة فى أيدى الأم من الجيـل الأول اعتيادها على ذلك قبل زواج الأبناء . كما ترتبط القوة بالطبقة حيث ظهرت القوة القهرية على أشدها فى الطبقة الدنيا ، التى تعانى من ضغوط الأزمات الاقتصادية والتى تنعكس على العـلاقات بين الأفراد . كما ظهرت القوة بوضـوح فى الاقامة الأبوية أكثر من الأمومية ، حيث تفرض على زوجة الابن بأسلوب «القوة القهرية» . ومن العبارات التى تتردد على ألسنة الزوجات وتعكس الملامح والسمات المميزة لشخصية الحماة :

«طبعها وحش ـ مفتريه ـ ست متسلطة ـ الكلمة كلمتهـا ـ قوية ـ الزمن ماهدهاش .. أروبة ـ أرشانة ..»..

كما تضرب الأمثلة عنها مثل :

«الحما حما ولو كانت ملاك من السما ..»

«الحما حما ولو كانت حورية من الجنة» .

«كلام الحما مر وقعدها فى البيت يضر» .

وسبب فرض الحماة القوة الصارمة على زوجة الابن هو احساسها بأنها امرأة دخيلة عليها أخذت ابنها الذى ربته . وفى هذا تقول احداهن :

«الواد بعد ما ربيته وكان فى عبى وخيره وكده عليه جت دى وأخذته على الجاهز ..»

بينما تفرض الحماه ، فى الاقامة الأمومية ، قوتها على زوج الابنـة بأسلوب «المحايلة» . وفى هذا تقول احداهن :

«جوز البنية أغلى من عنيه .. ولاجل الورد يتسقى العليق

علشان جوز بنتى آخذه بالسياسة علشان يهنى البنت والا حيتعبها» .

كمـا أوضح البحث أن القوة ترتبط بالعمل ، فمن يعمل سواء داخل المنزل أو خارجه يكتسب قوة يفرضها على الآخرين . كمـا ترتبط القوة بنمط الانفاق السائد فى الأسرة ، حيث أن المسئول عن الانفاق هو صاحب القوة ، لتحكمه فى بنود الانفاق .

أما بالنسبة لعلاقة القوة باتخاذ القرار فقد دلت الدراسة على أن صاحب القوة له سلطة اتخاذ القرار في بعض الشئون المتعلقة ببنود الانفاق (حسب نمط الانفاق السائد) ، وفى فض المنازعلت ، وشئون الجيل الثالث .. الخ .

(ب) الانفـــاق :

أوضحت الدراسة أن الأسرة الممتدة لكى تنظم نفسها فهى تتبع سياسة معينة للانفاق غالبا ما يحددها الجيل المضيف ، ولا تمثل هذه السياسة مشكلة لدى الطبقة العليا حيث تمكنها ظروفها المادية من تقبل أعضاء جدد . أما فى الطبقة الوسطى والدنيا فان ظروفها المادية لا تسمح بذلك ، لذا لابد من المشاركة الفعالة أو الاستقلال فى الانفاق .

وعن أنماط الانفاق فانه حدث تغير فى الانفاق بصورته التقليدية ، فلم تعد الأسرة الممتدة تعيش كلها كوحدة اقتصادية واحدة ، بل تنوعت انماط الانفاق على النحو التالى :

الوحدة الاقتصـادية :

ظهر هذا النمط فى الطبقة الوسطى والدنيا فى الأسر ذات الاقامة الأبوية . ومن أسباب وجوده عجز الأب أو الابن المتزوج عن الانفاق ، وعادة ما تكون ميزانية الأسرة فى أيدى من ينفق عليها .

المشـاركة الاقتصـادية :

دلت الدراسة على أن حوالى نصف عدد الحالات المدروسة تعيش فى هذا النمط . وتكون المشاركة هنا فى الطعام فقط . أما بقية بنود الانفاق فكل أسرة نووية داخل الأسرة الممتدة مستقلة بذاتها . وكانت معظم الحالات من الطبقة الوسطى والدنيا ذات الاقامة الأمومية . وللمشاركة الاقتصادية أشكال مختلفة منها : المشاركة النقدية والمشاركة العينية ، والمشاركة النقدية والعينية معا ، حيث تتم المشاركة دون معيار محدد فى مقدارها ، حيث تقول احدى الزوجات :

«اللى معاه بيسد واللى ما يقدرش على حاجة الثانى يجبها والمعون المليان يكب على الفاضى» .

الانفـاق المسـتقل :

أوضح البحث وجود هذا النمط غير المألوف فى الأسرة الممتدة التقليدية حيث يمكن أن تعيش الأسرة الممتدة فى شقة واحدة ولكن الأسر النـووية بداخلها تعيش مستقلة فى الانفاق ، وقد ظهـر هذا النمط نتيجة حدوث صراعات حول سياسة الانفـاق التى كانت متبعة من قبل وفى هذا تقـول احدى الزوجات :

«الأول كنا بناكل مع بعض وبقينا نتخانق على المصاريف ، والعيال بقت تتخانق مع بعض على الطبلية ٠٠ فكده أحسن» ٠

وللاستقلال عدة جوانب منها : الاستقلال فى ميزانية المنزل وفى تناول الطعـام ٠ وبالرغم من وجود هذا النمط من الانفـاق (المسـتقل) الا أنه لا يمنع من وجود مشاركة نقدية وعينية فى المناسبات المختلفة مثل : زواج ، ولادة ، وظروف قهرية ٠٠ الخ ٠

(جـ) تقسيم العمـل :

اوضحت الدراسة وجود عدة أنشطة داخل الأسرة الممتدة تختلف فى حجمها عما يوجد فى الأسرة النووية المستقلة ٠ ولما كانت الأسرة الممتـدة تنظم نفسها بنفسها،لذا فان هناك تقسيما للعمل بين أفرادها٠ويوضح هذا التقسيم مدى التعـاون وديناميات التفاعل بين الأفراد ٠ وتنقسم الأنشطة التى تؤديها الى أنشطة داخل المنزل واخرى خارجة ٠

وقد دلت الدراسة على مدى ارتباط تقسيم العمل بالجيل والنوع حيث يقع عبء العمـل على الجيـل الثانى خاصة الزوجة ٠ وكلما زاد حجم الأسرة وضم أخوة من الجيل الثانى انقسم العمـل بينهم وبين الزوجة ٠ وارتبط تقسيم العمل أيضا بالطبقة حيث أدى توافر الأدوات التكنولوجية فى الطبقة العليا والوسطى الى تيسير عمل المرأة داخل المنزل هذا بخلاف الطبقة الدنيا ٠ كما ارتبط تقسيم العمل بنمط الانفاق السائد بتقسيم العمل بين الزوجة والأخريات فى نمط الانفاق كوحدة اقتصادية أو بمشاركة ٠٠

بينما يكون هناك خصوصية فى الانفاق المستقل ، ولكن لا يمنع ذلك من وجود تعاون فى أداء الأنشطة .

وارتبط تقسيم العمل بالاقامة ، حيث تتحمل الأم مشقة العمل بدلا من ابنها فى الاقامة الأمومية .. بينما يقع عبء العمل على الزوجة فى الاقامة الأبوية حيث تقول والدة الزوج فى احدى الأسر :

«امال أنا مجوزاه ليه (أى الابن) مش علشان مراته تخدمنى» . .
بينما تقول الأم فى أحد الأسر الأمومية :

«مابرضاش أتقل عليها فى الشغل .. برضه لسه صغيرة » .

وأخيرا ارتبط تقسيم العمل بعمالة الزوجة ، حيث تقوم الأم فى الجيل الأول باغلب الأنشطة بدلا من الزوجة أثناء غيابها فى العمل .

ونخلص مما قدمناه عن التنظيم الداخلى أن الأسرة الممتدة بناء مرن متميز بوجود تنظيم داخلى مختلف ــ الى حد كبير ــ عما هو شائع فى الأسرة الممتدة التقليدية . ولا يتخذ هذا التنظيم شكل الثبات ، لأنه كثيرا ما تظهر صراعات بين أفراد الأسرة حول أسلوب هذا التنظيم ، ومن ثم تظهر محاولات لتغير المضمون من أجل المحافظة على شكل البنــاء وكذا استمراريته .

٥ ــ علاقات الأسرة الممتدة :

يسود الأسرة الممتدة مجموعة من العلاقات حيث يرتبط كل فرد بعلاقات اجتماعية مع الآخرين فى الأسرة . وكلما كبر حجم الأسرة زادت كثــافة العلاقات داخلها . وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن كثافة العلاقات تزيد كلما تدرجنا طبقيا الى أسفل من الطبقة العليا الى الوسطى ثم الى الدنيا ، فكان متوسط كثافة العلاقات فى العليا (٢١ علاقة متبادلة) وفى الوســطى (٣٨ علاقة متبادلة) وأخيرا فى الدنيا (٧٢ علاقة متبادلة) . كمــا تزيد العلاقات فى الأسر ذات الاقامة الأبوية عن الاقامة الأمومية . وتلعب المرأة

دورا هاما فى تحقيق انسجام أو شقاء العلاقات ، وتمثل الزوجة من الجيل الثانى محور أو بؤرة العلاقات فى الأسرة الممتدة .

ويمكن من خلال الدور الذى تلعبه الزوجة فى الأسرة تحقيق انسجام العلاقات بينها وبين أفراد الأسرة ، فاذا تغاضت أو تنازلت عن أداء بعض أدوارها ، يمكن بذلك أن تخلق جوا من الألفة والانسجام فى العـلاقات ، سـواء فى اقامة أبوية أو أمومية . فرجاحة عقلها وحسن تصريفها للأمور يؤدى الى توازن العـلاقات وكذا تخفيف وطأة الصراع . وفى هذا تقول أحد الزوجات فى الاقامة الأبوية فى الطبقة الوسطى :

«بطنش كثير وأفوت كثير .. وأنا لو دقيت عليهم حتعب» .

وتقول زوجة فى الاقامة الأمومية فى الطبقة الوسطى :

«مهما كان لا حيهون عليه جوزى ولا أهلى» .

وعن مضمون العلاقات داخل الأسرة الممتـدة ، فقد دلت الدراسـة على أن وجود عدد من الأفراد داخل حيز مكانى محدود يؤدى الى أشكال من العلاقات قد أمكن الكشف عنها من خلال علاقات الاحترام والمشـورة والمزاح والتجنب والعلاقة مع الأسرة الموجهة ، وأخيرا علاقة الصراع . هذا ما سوف نتناوله بايجاز فيما يلى :

(أ) علاقة الاحترام :

يسود بين أفراد الأسرة الممتدة علاقة احترام متبادلة خاصة من الجيل الأصغر الى الجيـل الأكبر . ويتحتم على أفراد الأسرة الممتـدة بموجب هذه العلاقة استخدام بعض الاصطلاحات التى تساعد على خلق جو من العلاقات الطبيعية . وتختلف هذه الاصطلاحات تبعا للمعايير الثقافية السائدة فى الأسرة وكذلك تبعا للمستوى الطبقى وللموطن الأصلى التى تنتمى اليه . فضلا عن الصلة الدموية بين الأفراد . فمثلا يقال للحما «بابا» «يا عمى» «يا عم أبو فلان» وللحماة «ماما» «طنط» أو «امه» أو «يا نينة» ..

(ب) علاقة المشــورة :

دلت الدراسة على وجود علاقة مشورة ، ولكنها ليست لازمة على كل افراد الأسرة . وهذا يختلف عمــا هو شائع فى الأسرة الممتدة التقليدية . وقد ارتبطت المشورة بعدة متغيرات منها القرابة المباشرة وغير المباشرة ، وكذا نمط الانفاق السائد فى الأسرة . أما بالنسبة لموضوعات المشورة ، فقد حدث انحســار فى اغلبهــا ، فلم تعد المشــورة متعلقة بكل ما هو خاص بالفرد ، بل أصبحت تتركز فى الأمور العامة المتعلقة بالأسرة كنظام واحد متكامل .

(جـ) علاقة المزاح :

تخلق الأسرة الممتــدة جوا من المزاح بين افرادها ، ومن هنــا تاتى وظيفتها الترفيهية ، حيث يقضى افراد الأسرة أوقات فراغهم معا ســواء اثناء مشاهدتهم التليفزيون أو فى أوقات سمرهم . كمــا اظهرت الدراسة أن المزاح فى الأسرة مزاح جماعى أكثر منه فردى . ويظهر المزاح فى الطبقة الدنيا اكثر من العليا والوسطى وفى ذات الاقامة الأمومية أكثر من الأبوية . كما أوضحت الدراسة أهمية هذه العلاقة بالنسبة للجيل الأول أى الأجداد ، حيث يؤنس الأحفاد وحدتهم ويشعروهم بالسعادة والرغبة فى الحياة . وفى هذا تقول أحد الجدات فى الطبقة الدنيا الابوية :

«بهشكهم وأزغزغهم .. هو فيه أغلى منهم ده أعز الولد ولد الولد».

(د) علاقة التجنب أو التحاشى :

أوضحت الدراسة أنه بالرغم من وجود علاقة مزاح ، الا انها لا تمنع من وجود علاقة تجنب وتحاشى بين بعض افراد الأسرة الممتدة المختلفين فى الجيــل والنوع والســن . وتعمل هذه العلاقة على تقييد حركة الأفراد داخل الوحدة السكنية . وقد أسفرت أيضا عن وجود مشكلات مثل مشكلة طبقات المحارم والعلاقة الحميمة بين الزوجين .

(هـ) العلاقة مع الأسرة الموجهة :

أوضحت الدراسة وجود عدة مؤشرات تدل على الامتداد القرابى بين الزوجين والأسر الموجهة للزوجة (فى الأسر ذات الاقامة الابوية) والاسرة الموجهة للزوج (فى الأسر ذات الاقامة الأمومية) ، وهذه المؤشرات هى التزاور ، المشورة ، المساعدات ، المجاملات . وقد ارتبطت تلك المؤشرات بقرب أو بعد مكان الأسر الموجهة وكذلك من حيث اختلاف الطبقة ونمط الاقامة . وفى هذا تقول الزوجة فى أسرة أبوية فى الطبقة الدنيا : «مش بترضى (أى الحماه) تخلينى أسافر لهم (أى اسرتها الموجهة) وامى ست كبيرة ونفسى أشوفها وبتتحجج بالفلوس .. كل ده علشان شغل البيت .. ولو حد جه زارنى تقعد تكشر وتلوى بوزها .. لما بقوا يجوا كل فين وفين» .

فالحماة تفرض قوتها على الزوجة وتمنعها من زيارة أسرتها حتى تقوم الزوجة بالأنشطة داخل المنزل . كما أن مصاريف السفر تمثل مشكلة بالنسبة لهذه الطبقة .

(و) علاقة الصراع :

اوضحت الدراسة وجود علاقة صراع بين أفراد الأسرة الممتدة تدور حول ما يلى :

الانفاق :

يحدث صراع حول الانفاق فى الأسرة التى تعيش كوحدة اقتصادية واحدة أو بمشاركة خاصة فى الطبقة الدنيا الأبوية . وفى هذا تقول أحد الزوجات :

«علشان بتاكلنا (اى الحماة) بتعمل كده .. يغور اللبن من وش القرد» . وتقول أخرى :

«بتدى (أى الحماة) لعيالها حتت لحمة كبيرة .. وأنا وعيالى فتافيت اللحم وياريت كده وكمان السمين» .

تقسيم العمــل :

وهو من اكثر الموضــــوعات التى يدور حولهــا الصراع بين الاناث البالغات · ويتخــذ هذا النوع من الخلافات صفة الاستمرارية · ويدور الصراع حول عدم التساوى فى توزيع الانشطة ، تادية أكثر من نشــاط فى وفت واحد ، انكار الحماه عمل الزوجة ، تعمد عدم النظافة · وتقول أحد الزوجات من الطبقة الدنيا الأبوية :

«مهما اعمــل ما يطمرش فيهــا (أى الحماه) ·· تنكر وتقولى انت بتعملى حاجة» ·

الســلوك كموضــوع للصراع :

يظهر الصراع بسبب بعض السلوكيات مثل الغيرة ، الاتهام بالسرقة ، والخوف من السحر والاعمال الشريرة · فى هذا تقول الحماه فى الطبقة الدنيا الأبوية :

«هى بتستخونا (أى الزوجة) ·· كل ما تخرج تقفل الأوضه ·· عيب هى فاكره نفسها قاعدة فين ·· والا احنا حنسرقها» ·

الأحقــاد كموضوع للصراع :

تحدث خلافات وتوترات حول الجيل الثالث مثل مشاجرات الأطفال معا (من أمهات مختلفات) ، وحول تدخل الجيل الأول فى شئون الجيل الثالث · ويرجع سبب ذلك الى شعور الجيل الأول بالالتزام تجاه الجيل الثالث خاصة أبناء الابن · وفى هذا يقول أحد الأجداد :

«ابن ابنى غير ابن بنتى ·· ابن ابنى أنا اللى متكفل بيه لأنه من صلبى · لكن ابن بنتى حاياالله من صلب عيلة ابوه ·· فده أقرب ليه من الثانى لأن أمه معون وبس ·· لكن ده هو اللى شايل الاسم ·· اسمى جنب اسم أبوه ·· بس بعاملهم زى بعض ، وابن بنتى حنين عليه بحنية أمه» ·

ويرجع وجود علاقة الصراع الى عدة عوامل منها تاثير ايكولوجيــة

المكان الذى يعيش فيه أفراد الأسرة ، حيث أنهم يتزاحمون ويتفاعلون فى مساحة محدودة ، كما تختفى الخصوصية حيث كل فرد تحت بصر الآخرين ، وبالتالى تكون سلوكياتهم مشاعا بينهم ٠ ومن هنا ينتقد البعض ويباح التدخل ، ويحق للبعض فرض سيطرتهم على الآخرين ، ويعتبر من أهم عوامل الصراع وجود القوة القهرية والاقامة المشتركة وصراع الادوار ٠

واوضحت الدراسة وجود عدة أسس أو متغيرات مرتبطة بالصراع اهمها : وجود فجوة بين الاجيال ، حيث أن لكل جيل وجهة نظر مختلفة متعارضة مع الآخر مما يؤدى الى حدوث صراع خاصة بين الجيل الأول والثانى وبين كليهما والجيل الثالث ٠ لذا يعانى الأخير من ضغوط الجيل الاول والثانى عليه ٠

كما يحدث الصراع بصورة واضحة بين من هم من نفس النوع ، خاصة الاناث ، وبين المتقاربين فى السن ٠ كما يظهر الصراع على أشده فى الطبقة الدنيا التى تعانى من ضغوط الأزمات الاقتصادية والتى تجعلها تعيش فى صراع دائم ٠ ويظهر الصراع بصورة واضحة فى الاقامة الأبوية أكثر من الأمومية ، حيث أن الحماة فى النمط الأول مصدر الصراع ٠ وارتبط الصراع بحجم الأسرة ، فكلما زاد حجمها زادت العلاقات وتفاعلاتها وبالتالى زادت التوترات ٠

وقد أوضحت الدراسة المتعمقة أن الصراع يصاحبه عدة مظاهر سلوكية تتمثل فى التجنب أو التحاشى ، هجر الفراش ، هجر منزل الزوجية (منزل الأسرة الممتدة) الاستقلال فى الانفاق ، الضرب والسب ، الغيبة ، التجسس ، التنابذ بالألقاب والسخرية وأخيرا المعايرة ٠ وفى هذا تقول الزوجة فى الطبقة الدنيا الأمومية :

«مرة دخل محسن (أخو الزوج) يدور على مشط ٠٠ قلب لى الفرش واتخانقت معاه خناقة لرب السما ٠٠ راح شدنى من شعرى روحت لويت ايديه وقعدت أضربه باللكاكيم ٠٠ وبقت أى حاجة قدامنا نرميها فى وش بعض ٠٠ وهاتك يا شتيمة وصوات ولميت عليه البيت كله (تقصد سكان

المنزل) وكانت معـركة حامية» . وتقول هذا وهى سعيدة بما فعلت مع أخى زوجها .

ولما كانت هناك حتمية لمعيشة أفراد الأسرة معا ، فان هنـاك أساليب لحل النزاع منها : اذا كان النزاع بسيطا فانه يزول فى لحظة وقوعه ، كما يكون الجيـل الثالث همزة الوصل للصلح بين الأطراف المتخاصمة حتى لو كان هو سبب النزاع . وقد يحدث عتاب بين المتخاصمين :

ـ اذا كان النزاع شديدا تعقد جلسة عائلية يرأسها حائز القوة لمناقشة النزاع ، وقد يتدخل أحد الأقارب (كبير العائلة) فى حل النزاع اذا لجـأ اليه أحد المتخاصمين ليتدخل فى الصلح .

أما عن خلافات الجيـل الثالث والآخرين فانها تحل بسهولة نتيجة فرض القوة والضغط عليهم أو استجابة الجيل الثالث لهم . ويعتبر العقاب أحد وسائل الضغط وأسلوبا من أساليب الجزاء .

وقد أوضحت الدراسة أن السلوك بعد حل النزاع يتسم بالعدول عما سبق لفترة قد تطول أو تقصر وفقا لطبيعة الخلاف وطبيعة الأسرة ، والطبقة التى تنتمى اليهـا . وبالرغم من وجود أسـاليب لحـل النزاع ، الا ان الصراع يظل عملية مستمرة ، وغالبا لا يتصاعد الى الحد الذى لا يستحيل فيه استمرارية الأسرة الممتدة لأن هناك حتمية الاقامة المشتركة والانفاق . وبوجه عام يحل الصراع من خلال أنماط التكيف والتوافق والتوازن داخل البناء الأسرى . فلا يكون للصراع تاثيرا على الشكل العام للأسرة ، حيث أنه هو السبيل نحو التطور والتغـير الذى يهـدف الى استمرار الأسرة الممتـدة ، لأن قدرتها على الاسـتمرار تكمن فى كونها تتأثر بالتغـيرات التى تطـرأ عليهـا ، وفى كونها قادرة على التكيف مع هذه التغيرات ، وبالتالى تغير وتطور نفسها سواء فى الشكل أو المضمون ، فحدوث الصراع داخلها يجعل من الضرورى خلق تنظيمات جديدة وعلاقات جديدة ، حتى يحدث توازن وتكيف داخل البناء الأسرى من أجل استقراره واستمراريته .

ومما سبق عرضه من نتائج الدراسة يتضح أن بناء الأسرة الممتدة الحضرية بناء متميز عن بناء الأسرة الممتدة التقليدية ، سواء من حيث عوامل النشاة والوظائف والتنظيم الداخلى والدينامية الداخلية ، كما أنه يعكس ظروف المجتمع الذى تعيش فيه ٠ وتحدد تلك الظروف - الى جانب الظروف الداخلية للأسرة - استمرارية الأسرة الممتدة أو تبدلها من نمط الى آخر ٠

وحول نظرة مستقبلية للأسرة الممتدة يمكن القول أن التطور فى شكلها لا يسير فى اتجاه خطى أو دائرى ، وانما يتخذ خطوطا عديدة ، حيث اوضح البحث الميدانى أن هناك أسرا مرت بمرحلتين من نووى الى ممتد ، واخرى مرت بثلاث مراحل من ممتد الى نووى ثم ممتد مرة ثانية ، واخرى باربع مراحل من ممتد الى نووى ثم الى ممتد مرة أخرى ، ثم الى نووى مرة ثانية ٠٠٠

وهذا يدفع الى القول أن الأسرة الممتدة تحمل فى أركانها عوامل الاستمرار والحفاظ على كيانها ووظائفها وأدوارها ٠٠ والصراع بالنسبة لها سمة أساسية ، كما أن مهمتها تحقيق قدر من الاشباع لأفرادها ٠٠ وفى هذا السياق فانها كنسق يتخذ من التباينات القائمة بين أفراده عوامل استمراريته ٠

فالأسرة الممتدة بناء مرن يكيف نفسه مع التغيرات التى تطرأ على المجتمع وعلى الأسرة ، ويستطيع أن يطور ويعدل من نفسه سواء فى الشكل او المضمون أو كليهما ٠٠

وهذا يدفعنا الى أن نتساءل : اذا كان الأمر كذلك الا تحتاج النظرية التطورية والنظرية البنائية الوظيفية فى الأسرة الى مراجعة فى ضوء خصوصيات مجتمعات العالم الثالث ؟

وقد اجابت دراستنا على ذلك ، ولكن فى اعتقادنا أن مزيدا من الدراسات حول الموضوع أو الموضوعات الوثيقة الصلة به سوف تقدم اجابة حاسمة وقاطعة ٠

الفصل الثانى

بعض ملامح التغير فى شكل الاسرة الممتدة فى الريف المصرى
دراسة ميدانية باحدى القرى المصرية(*)

بعد موضوع تطور أشكال الأسرة ووظائفها من الموضوعات التى دار حولها الكثير من الجدل ، فهناك فريق من العلماء يرى أن الأسرة تأخذ شكلا خطيا فى تطورها ، وفريق آخر يرى أن تطور الأسرة قد يتخذ شكلا دائريا فى بعض الأحيان ٠

فاصحاب الفـريق الأول يميلون الى الاعتقـاد بأن الأسرة تتطور من اشكال كبـيرة الى ممتدة ، الى اشكال أصغر فاصغر باستمرار ٠ وتعتبر آراء دوركايم رائدة فى هذا المجال ، حيث أطلق ما اسماه بقانون تقلص حجم الأسرة أو قانون التناقص ٠

اما أصحاب الفريق الثانى فيرون أن التطور فى شـكل الأسرة يتخذ شكلا ايقاعيا ، بل ودائريا فى بعض الأحيان يخضع لظروف معينة بالنسبة لكل مجتمع يجب الوقوف عليها وتحديدها فى كل حالة ٠

هذا ولقـد عملت الدراسـات التى ظهـرت فى مجال دراسة الأسرة على ربط التغير فى شكل الأسرة بعاملين هما التصنيع والتحضر ، وكانت

(*) عرض لرسالة السيدة : عاليه حلمى عبد العزيز حبيب بعنوان : بعض ملامح التغـير فى شـكل الأسرة الممتدة فى الريف المصرى ، دراسة ميدانية ، باحدى القرى المصرية ، قدمت للحصول على الماجستير فى علم الاجتماع من كلية البنات ، جامعة عين شمس ، اشراف أ٠د٠علياء شكرى، اجيزت عام ١٩٨٦ ٠

آراء «بارسـونز» ـ كمثال ـ مؤيدة لهذا الاتجـاه • فهو يرى أن الأسرة النووية فى المجتمع الأمريكى جاءت كنتيجة للتصنيع وملازمة له ، فى حين عارض «وليم جود» فكرة حتمية التلازم ووضع فكرة الملاءمة بدلا منها ، بمعنى أنه من الممكن أن نقول أن التصنيع والأسرة النووية يلائم كل منهما الآخر ، ولا نقول بحتمية التلازم بين كل منهما كما ذهب بارسونز •

ومن مختلف الآراء السـابقة ـ التى ربطت بين تقلص شـكل الأسرة وظهور التصنيع والتحضر ـ كان هناك اهمال للعوامل الأخرى التى قد تقف وراء تغير شكل الأسرة ، وخاصة فى مجتمعات ريفية خالصة لم تمتد اليها يد التصنيع أو التحضر •

ومن هنـا ظهـرت **مشـكلة البحث** حيث حاولت الدراسـة الكشف عن العوامل والأسـباب الأخرى البعيدة عن التصنيع والتحضر التى أدت الى انقسام الأسرة الممتدة التقليدية فى الريف ، وظهور نمط جديد هو الأسرة النووية ، وما هى أنماط هذا الشكل الجديد وخصائصه والوظائف التى يؤديهـا •

وتتبلور **الأهمية النظرية** للبحث فى ضوء تحليل المادة الميدانيـة من خلال القضايا العـامة للاتجاه البنائى الوظيفى الذى يمكننا من دراسـة الأسرة كنسق فرعى من النسق العام للمجتمع المصرى تؤثر فيه وتتـأثر بما يطرأ عليه من تغيرات • وان كان التركيز فى هذا الاتجاه سوف ينصب فى المقام الأول على قضية التغير ـ عوامله ونظرياته ـ باعتبارها القضية الأساسية التى تنطلق منها دراستنا الحالية ، والتى لم يوليها الوظيفيون أهميـة شأنها شأن قضـايا التوازن والتكامل والتساند التى كانت المحور الأساسى لاهتماماتهم •

ولذا فالدراسـة تركز على تغير شـكل الأسرة ، فضـلا عن اهتمامها بدراسة المضمون والوظيفة التى تؤديهاالأسرة بالنسبة للمجتمع وبالنسبة لأفرادها باعتبارهم أعضاء تنمو شخصيتهم فيها • وعلاوة على ذلك تؤكد الدراسة على الأدوار التى يقوم بأدائها كل عضو من أعضائها • ومن هنا

ستحاول الدراسة الى جانب تطبيق قضايا النظرية الوظيفية ، تطبيق نظرية الدور على موضوع البحث ومحاولة الاستفادة من هذه القضايا فى فهم الوحدة الاجتماعية الأساسية وهى الأسرة .

أما عن **الأهمية التطبيقية** للدراسة فتكمن فى كونها محاولة لفهم التغيرات التى طرأت على الأسرة الممتدة التقليدية فى الريف ، لتفرز لنا نمطا جديدا للأسرة الريفية ، وهو الأسرة النووية . كما تسهم الدراسة فى فهم بعض الظروف والعوامل الخاصة بالمجتمع والتى أدت الى نشأة هذا النمط وخاصة التغيرات التى طرأت على النسق الاقتصادى ، والتعليمى ، والقيمى بالمجتمع ، حيث تنوع المهن ، وتفاوت الدخول ، وظهور القيم الفردية ، والمادية مما أدى الى سهولة الانفصال عن الأسر الممتدة ، وتكوين أسر نووية فى منازل مستقلة .

وفيما يتعلق **بمفاهيم البحث والاجراءات المنهجية** فقد اهتمت الباحثة ببعض المفاهيم كمفهوم الأسرة ، والأسرة الممتدة ، والأسرة النووية ، الأسرة الزواجية ، وأسرة التوجيه وكذلك أسرة الانجاب . وقد قامت الباحثة بوضع تعريف اجرائى لكل من مفهوم الأسرة الممتدة ، ومفهوم الأسرة النووية كما استخدمفى الدراسة .

وتعرف الباحثة الأسرة الممتدة بأنها «هى المكونة من ثلاثة أجيال للرجل وزوجته أو زوجاته وابناؤهم المتزوجون وغير المتزوجين ، سواء أكانوا ذكورا أم اناثا ، وأحفادهم ، وربما بعض الأقارب الآخرين . ويضم الجميع وحدة معيشية واحدة ، قد تقيم فى منزل واحد أو عدة وحدات سكنية متجاورة ، وقد يجمع بينهم نشاط اقتصادى واحد أو متنوع» .

أما الأسرة النووية ـ حسب التعريف الاجرائى ـ فهى«التى تتكون من الزوج والزوجة ، وأطفالهما المباشرين ، المستقلين معيشيا ، واقتصاديا ، ومكانيا عن الأسرة الممتدة . ويتمثل هذا الاستقلال فى مصادر الدخل ، والانفاق ، وفى جميع أوجه الحياة المعيشية من مأكل ، ومشرب ، وملبس.

ويكون هذا الاستقلال فى وجود والدى الزوج على قيد الحياة ويقيمون فى نفس القرية» .

وقد استقت الباحثة هذه المفاهيم من واقع المجتمع المحلى حول مفهوم الأسرة النووية أو (العزلة) بكسر العين كما يشيع استخدامها فى مجتمع البحث .

تقول احدى الزوجات وهى ربة منزل تقرأ وتكتب عن مفهوم «عزلة» بانه يعنى :

«أن كل واحد يستقل بعيشته»

فى حين عرفت زوجة ثانية من الطبقة الوسطى وتعمل مدرسة ابتدائى «العزلة» بانها :

«انسلاخ الزوج والزوجة واستقلالهم عن الأب والأم والأخوات وتكوين أسرة جديدة ، وهى استقلال بالحياة» .

وعرفت ثالثة ـ وهى أمية وربة منزل من الطبقة الوسطى الدنيا ـ «العزلة» بانها :

«الواحد يستقل عن حماه وحماته خالص فى كل حاجة زى الأكل والدخل» .

وعلى الرغم من تنوع خصائص الزوجات من حيث مستوى التعليم والمهنة ، الا أنهن قد اتفقن على أن «العزلة» هى الاستقلال ، وان اختلفت تعبيرات كل منهن لتوضيح المعنى باختلاف مستواها التعليمى ـ فقد استخدمت احداهن (المتعلمة) كلمة انسلاخ ـ الا أن المضمون جاء واحد حيث انصب أساسا على الاستقلال فى المعيشة والدخل .. الخ .

وبالنسبة **لفروض الدراسة** فقد انطلق البحث من فرض أساسى حاولت الدراسة التحقق منه ، الا وهو : أن الأسرة الممتدة فى ريفنا المصرى ، تشهد تغيرات من حيث الشكل ، والحجم ، والوظائف تحت تاثير عوامل

متعددة ٠ ولا يتحتم بالضرورة أن يكون للتصنيع دور أساسى بارز فيها ، ولكن هناك ثمة متغيرات أخرى كان لها تاثيرها الفعال على تغير شكل الأسرة الريفية ، وقد حددت الباحثة أهم هذه المتغيرات فى ضوء بعض الفروض الفرعية والتساؤلات الآتية :

١ ـ تغير شكل الأسرة لا يرتبط بالضرورة بالتصنيع والتحضر ٠ فالى أى مدى تعرض شكل الأسرة للتغير فى مجتمع ريفى يخلو من التصنيع ولا يتميز بصفة التحضر ؟

٢ ـ ثمة علاقة بين الأسرة النووية والبعد الطبقى فى المجتمع ٠ فى أى الطبقات ينتشر هذا الشكل ؟

٣ ـ ان التغير الاجتماعى فى البناء الكلى ، يمتد اثره فى الأنساق الفرعية المكونة لهذا البناء ، والأسرة باعتبارها أهم هذه الأنساق تكون أكثرها حساسية لهذا التغير بمعنى :

ـ هل يؤثر نسق التعليم ـ بالنسبة للجنسين ـ على تغير شكل الأسرة ؟

ـ هل يؤثر تغير نسق القيم فى المجتمع على تغير شكل الأسرة ؟

ـ هل يؤثر تغير طبيعة النشاط الاقتصادى المتمثل فى :

(أ) تغير التركيب المحصولى ٠

(ب) تغير ظروف العمالة الزراعية ٠

(جـ) تغير أدوات العمل الزراعى ٠ على تغير شكل الأسرة ؟

٤ ـ هناك بعض ميكانيزمات التغير النابعة من داخل الأسرة تؤثر بالتالى على بنائها ومكوناتها بمعنى :

ـ هل يؤثر تفتيت الملكية الزراعية للأسرة على تغير شكل الأسرة ؟

ـ هل لوفاة أحد الوالدين علاقة بتغير شكل الأسرة ؟ وايهما أكثر تاثيرا وفاة الأب أم وفاة الأم ؟

ـ هل للمشكلات العائلية التى تحدث بين الأعضاء المكونين لنسق

الأسرة علاقة وتغير شكل الأسرة ؟ وأى المشكلات أكثر تاثيرا على تغير الأسرة ؟

٥ ـ اذا كانت الأسرة تمثل نسقا فرعيا من النسق الاجتماعى العام ، فان هذا النسق الفرعى يضم بداخله أفرادا يؤدون أدوارا ، ويمارسون أنشطة تعمل فى تساندها على بقاء الأسرة واستمرارها ، كما قد يتضمن صراعا نتيجة لتعدد هذه الأدوار تؤدى فى النهاية الى تغير شكل الأسرة ٠ هل هناك علاقة مثلا بين تعدد أدوار المرأة وتغير شكل الأسرة ؟

٦ ـ ان حدوث بعض التغيرات فى الأسرة ـ بتاثير بعض العوامل الداخلية أو الخارجية ـ يمكن أن يؤدى الى اختلال توازنها وبالتالى فان الأسرة ـ كنسق فرعى ـ سرعان ما تطرح بعض البدائل الوظيفية كميكانيزمات تعمل على اعادة توازنها واستمرارها ٠

٧ ـ اذا كانت الأسرة تسهم وظيفيا بالنسبة لأعضائها أنفسهم ، وبالنسبة للمجتمع المحلى ، وعلى مستوى المجتمع المصرى ، فهل هذه الوظائف تندرج تحت نوعية الوظائف الظاهرة ، أم الكامنة : وهل من الممكن أن تكمن احدى الوظائف تحت وظيفة أخرى ظاهرة ؟

٨ ـ هل تغير شكل الأسرة ـ نتيجة للمتغيرات السابق ذكرها ـ وتحولها من ممتدة الى نووية يؤثر على طبيعة العلاقات بينهما ؟

ومن منطلق هذه الفروض والتساؤلات تبلورت **الخطوات المنهجية وأساليب جمع المادة الميدانية** حيث كانت هناك أسس لاختيار منطقة البحث وكذلك لاختيار حالات الدراسة ٠

كان تاكيد الباحثة فى المقام الأول عند **اختيار مجتمع البحث** أن يكون مجتمعا خاليا من التصنيع الذى ربط الكثيرون بينه وبين تغير شكل الاسرة وتقلصها من ممتدة الى نووية ٠ فقد وقع الاختيار على قرية تقليدية خالصة تعتمد على الانتاج الزراعى فى اقتصادياتها ، ولا يمثل النشاط

الصناعى فى القرية أى قيمة تذكر نظرا لأنه لا يوجد بها سوى معمل واحد لتصنيع الألبــان محدود الانتاج ، وعدد قليل من ورش النجارة ٠

تبلغ مســاحة الأرض المنزرعة بالقرية ١٨٣٧ فدانا من مساحة القرية البالغــة ٢١٣٥ فدانا ، ومازالت الزراعة هى المهنــة الرئيسية لأبنائها ٠ وبالرغم من اتجاه الفلاحين داخل القرية فى السنوات الأخيرة الى زراعة المحاصيل غير التقليدية مثل الخضروات والحدائق ، التى بلغت مساحتها ٤٨١ فدانا ، الا أن المحاصيل التقليدية وهى القمح والذرة والقطن مازالت تحتل ما يقرب من ٧٥٪ من مساحة الرقعة الزراعية ٠

والقرية التى وقع عليها الاختيار هى احدى قرى محافظة المنوفيــة وهى الموطن الأصلى للباحثــة ٠ ويبلغ عدد سـكانها حسب تعداد ١٩٧٦ عشرة آلاف نسمة ٠ وقد أختيرت لتوافر كافة المحكات بها حيث أنها قرية تقليدية خالصة لم تمتد اليها يد التصنيع ولا بها ملامح التحضر ٠

وكما كانت هناك شروطا وأسسا فى اختيار مجتمع البحث ، كان هناك أيضا شروطا وأسسا **لاختيار حالات الدراسة** ٠ ففى ضوء التعريف الاجرائى للأسرة النووية وضعت شروط لاختيار الحالات وهى :

ــ أن تشمل حالات الدراســة أسرا نووية مستقلة ومنفصلة عن الأسرة الممتدة ، وأن يكون والدا الزوج على قيد الحياة لابراز مدى قوة الظاهرة وفاعليتها ٠ ذلك أن استقلال الابن فى وجود والديه على قيد الحياة وبنفس القرية يعد تعمدا وتجاوزا لكل ما هو مألوف ومتبع بمجتمع البحث ٠

ــ وعلى الرغم من ذلك ضمت أيضا حالات قليلة لأسر يوجد بها أحد الوالدين فقط على قيد الحياة ، وذلك للتحقق من تأثير وفاة أحد الوالدين على تغير شكل الأسرة ٠

ــ روعى فى اختيــار الحــالات أن تكون ممثلة للشرائح الاجتماعيــة الموجودة بمجتمع البحث ، وكذلك متنوعة طبقا لمعرفة بأى الطبقات ينتشر شكل الأسرة النووية بجانب التعرف على الديناميات التى تميز كل طبقة من حيث أسلوب المعيشة وانماط الاقامة ٠

وقد وضعت محكات موضوعية ـ كالدخل والمهنة والتعليم والملكية ، واخرى ثقافية كطريقة الحديث ، وشكل المسكن والملابس ـ كمؤشرات لتحديد الطبقة ٠ وقد واجهت الباحثة بعض الصعوبات عند اتخاذها لهذه المحكات الموضوعية نتيجة أن هذه المحكات لم تعد كافية فهناك العديد من التغيرات التى يشهدها الريف المصرى فى الآونة الأخيرة ومن أهمها ارتفاع المستوى الاقتصادى بالقرية ، وزيادة الحراك المهنى ، وشدة الحراك الاجتماعى ، مما أوجد قصورا فى الاعتماد على هذه المحكات الموضوعية دون غيرها ٠

مثال ذلك عند تناول مؤشر الملكية رأت الباحثة أن الاعتماد على ملكية الزوج فقط داخل أسرته النووية لا يؤدى بنا الى وضع هذه الأسرة داخل الشريحة الاجتماعية الصحيحة نظرا لأن هذا الزوج(*) هو واحد من احدى عشر أخ وأخت آخرين اقتسموا فيما بينهم ميراث الأب الذى كان يمثل عددا كبيرا من الأفدنة ، ونتيجة هذا العدد الكبير من الأخوة والأخوات أصبح نصيب الفرد من الأرض قليلا جدا ٠ فالأسرة الممتدة كان الأب يمتلك بها مائة فدان،اذن فهى بالضرورة تنتمى الى الطبقة العليا ، فى حين أن الابن الذى استقل بأسرته الآن مكونا أسرة نووية نتيجة كثرة عدد اخوته لم يعد يمتلك سوى ثمانية أفدنة فهل هذا الشخص نعده منتميا الى الطبقة الوسطى ؟ بالطبع لا ! لذا فقد أضافت الباحثة عند تناول الملكية ـ كمؤشر للطبقة ـ ملكية الأسرة الأم الى ملكية الحالة المدروسة (الزواج) كى تكون المؤشرات صحيحة ٠

كذلك كان الاعتماد على **الدخل** كمحك فى تحديد الطبقة يشوبه القصور نتيجة ظهور بعد جديد فى المجتمع الريفى وهو جمع الأفراد بين أكثر من مهنة فى وقت واحد احداهما رئيسية والأخرى ثانوية وأحيانا ما يزيد

(*) يمثل هذا الزوج أحد أرباب الأسرة النووية محل الدرراسة ٠

العائد المادى للفرد من مهنته الثانوية عن تلك المهنة الأساسية • وفى هذا التضارب والخلط الذى يحدث بين الدخل الرئيسى والدخل الثانوى وأيهما أكثر نفعـا وعائدا على الفـرد تكمن صعوبة الكشف عن الدخل الحقيقى للأسرة •

وتصدق نفس التحفظات على محك المهنة • فمن التصنيفات التقليدية المرتبطة بالمهنة والطبقة ما يشير الى أن القائمين بالأعمال الادارية غالبا ما ينتمون الى فئة الطبقة العليا أو انوسطى فى حين أن العـاملين بالزراعة غالبـا ما ينتمون الى الفئة الدنيـا • كذلك بالنسبة للتصنيفات التقليدية المرتبطة بالتعليم والطبقة • حيث تشـير هذه التصنيفات الى أن أصحاب المؤهلات العليـا غالبـا ما ينتمون الى فئة الطبقة العليا فى حين أن حملة المؤهلات المتوسطة ينتمون الى فئة انطبقة الوسـطى والأميين الى فئـة الطبقة الدنيا • ولذلك فهذه التصنيفات التقليـدية لم تنطبق على حالات الدراسـة ولا على ظروف المجتمـع المحلى ، حيث تبين أن معظم أرباب الأسر فى الطبقة العليـا مزارعون ، فى حين كان أرباب الأسر فى الطبقة الوسطى يحتلون بعض المراكز الادارية الهامة فمنهم من وصل الى درجة مدير ، ولذا فالأخذ بهذه المحكات كان صعبا وبعيدا عن الواقع • ولذا كان من الضرورى الاسـتعانة ببعض المؤشرات الثقافية كمعين على فهم أدق لطبيعة هذا المجتمع وشرائحه الاجتماعية المختلفة •

■ ومع مراعاة البعد الطبقى فى اختيار الحالات روعى أيضا التباين فى الفترات الزمنية التى تكونت فيها الأسر النووية المستقلة •

■ كذلك اختـيرت حالات سافر عائلها لمعرفة العـلاقة بين الهجـرة وتغير شكل الأسرة •

■ ولتتبـع تاثير وضـع المراة ـ كمتغير هام ـ على شكل الاسرة رأت الباحثة اختيار حالات متنوعة من الزوجات من حيث التعليم والعمل حيث

ان ذلك يساعد فى فهم وتوضيح اختلاف أسباب الاستقلال وعوامل تكوين الأسرة النووية لدى كل من المراة المتعلمـة ، والأمية ربة المنزل ، والعاملة خارج المنزل ٠

وقد تم تجميع هذه الحـالات واختيارها من خلال ثلاثة طرق هى : اجراء **مسح للمدارس** الابتدائية الموجودة بالقرية للوقوف على مدى انتشار الظاهرة فى مجتمع البحث ٠ وقد كانت الباحثة تلقى على التلاميذ داخل الفصل السؤال التالى :

مين فيكو عايش مع أبوه وأمه فى دار لوحدهم ؟

ثم تتبع هذا السؤال بآخر هو :

ويكون سيده وسته (أى جده وجدته) عايشين ؟

وقد تم تدوين أسماء جميع التلاميذ الذين انطبق عليهم شرط اختيـار الحـالة ٠

الطريقة الثانية التى اتبعت فى جمع الحالات عن طريق **بعض المعارف والأهل** وقد سبقت هذه الطريقة الطريقة الأولى نتيجة أن الباحثة تنتمى الى مجتمع البحث ولها الكثير من الأقارب الذين يعيشون بالقرية ويلتصقون بمثل هذه الحالات ٠

الطريقة الثالثة عن طريق **الحالات أنفسهم** أى أنه بعد التعرف علـى حالة واثنتين بدأت الحـالات أنفسـها تدل الباحثـة على حالات أخرى مشابهة كأن تكون أختا لاحدى الزوجات أو جارة لها ٠ وكانت الحالات الجـديدة تثق فى الباحثـة التى تأتى اليهـا عن طريق احدى الجـارات أو الأخوات اكثر من التى كانت الباحثة تحاول التعرف عليهم بمفـردها أو عن طريق شخص آخر غريب ٠ وقد لاحظت الباحثة من خلال تجميعها لحالات الدراسة والتعرف على مجتمع البحث أن **هناك أربعة انماط للأسر المعيشية** بمجتمع البحث :

الأول : أسر مستقلة من الناحيــة المكانيــة والاقتصادية ، وان كانت لاتزال على صلات من الناحية الاجتماعية بالعائلة (أسرة نووية) .

الثانى : أسر مستقلة من الناحية الاقتصادية فقط ولكنها لاتزال تقيم فى منزل الأسرة الممتــدة الذى تم تقسيمه داخليــا مع وجود باب واحد يستخدمه الجميع (أسرة نووية معدلة) .

الثالث : أسر مستقلة من الناحية المكانية فقط ، ولكنها لاتزال على علاقة من الناحيــة الاقتصادية والمعيشية بالأسرة الممتدة ، حيث تخصص لهذه الأسر وحدات سكنية مستقلة ، ولكن تظل المعيشة الاقتصادية مشتركة على الرغم من وجود بعض منهم ممن يعملون فى الزراعة ومن لا يعمــل فيها . (أسرة ممتدة معدلة) .

الرابع : أسر شبه مستقلة من الناحية الاقتصادية ولكن العمل جمعى ويقســم الانتاج فى النهاية بين الجميع ، وتستقل كل أسرة بنصيبها منه ، ولذا يقيم الجميع فى «دار واحدة» هى منزل الأسرة الممتدة وتشتد بينهم كثافة العلاقات الاجتماعية . (الأسرة الممتدة التقليدية) .

وقد أجريت الدراسة على النمطين الأول والثانى حيث تنطبق عليهم شروط الاختيار . وكان عدد الحالات المتعمقة عشرون حالة مقسمين الى : خمس حالات من الطبقة العليا ، وخمس حالات من الطبقة الدنيا وعشر حالات يمثلون الطبقة الوسطى باعتبار أن الطبقة الوسطى هى الطبقــة الأكثر عددا فى أى مجتمع وتضم الكثير من الشرائح الاجتماعية الفرعية .

أما بالنسبة لمدة العمل الميدانى فقد بدأ جمع المادة من شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ على شكل زيارات منتظمة أسبوعيا للقرية والاقامة بها لفترات طويلة حتى نهــاية ١٩٨٤ . ثم بعد ذلك استمرت الزيارات عــلى فترات متباعدة الى حد ما حتى كتابة التقرير النهائى للبحث حيث كان التردد مستمرا للتأكيــد على بعض النتــائج التى ظهــرت وكانت فى حاجة الى

استكمال بعض المعلومات والنقاط التى استجدت وظهـرت خلال كتـابة التقرير النهائى ٠

وعن **منهج البحث والأدوات المستخدمة** فى جمع المادة الميدانيـة فمن منطلق اهتمام البحث بدراسة الظاهرة من وجهة النظر الانثروبولوجيـة فقد كان المنهج الانثروبولوجى هو الموجه الأول فى الدراسة ، فضـلا عن استخدام بعض المناهج الأخرى التى استخدمت بغرض الوصول الى أعماق الظـاهرة المدروسة وهى منهـج المسح الاجتماعى (الوصفى) ، المنهج الايكولوجى ، منهج دراسة المجتمع المحلى ، وأخيرا منهج دراسة الحالة ٠

فقـد اتبعت الباحثة فى هذه الدراسة الخطـوات الخاصـة **بالمنهـج الانثروبولوجى** حيث أوضحت أسس اختيـــار منطقـة البحث ، وعينـة الدراسة ، الى جانب الاقامة فى مجتمع البحث واختيار وحدات الدراسة وكيفية الاعلان عن نفسها وعن مضمون العمل الذى تقوم به ٠

وقد تعمدت الباحثة فى ترددها على الحالات ومجتمع الدراسة أن تتم الزيارات فى فصول مختلفة من السنة وفى أوقات مختلفة نهارا أو ليلا ،حيث كان يتم زيارات الحـالات فى الصباح حيث تواجد الأطفـال فى المدرسـة وانشغال الأمهات بأعمـال المنزل ، وكذلك وقت «العصر» حيث انتهـاء السيدات من أعمـالهن وتفـرغهن وقضـاء وقت فراغهن ، ثم فى فترات «الغروب» حيث عودة الأزواج من أعمالهم واشتداد ذروة العمل فى المنزل٠

وقد **تنوعت أدوات جمع** المادة الميدانية حيث استعانت الباحثة بدليل العمـل الميـدانى كموجه أول للملاحظة ساعد الباحثة فى جمـع مادتها الميدانية ، وقد استوحى هذا الدليل بنوده من خلال المعايشة الميدانية ، والدراسات السابقة ، وبعض قضايا البنائية الوظيفية واسهاماتها فى دراسة الأسرة ٠

وقد احتوى الدليل على ١٤ بندا رئيسيا يضم كل بند عددا من الأسئلة بلغ عددها على طول الدليل ٦٨ سؤالا دارت البنود حول الموطن الأصلى

للزوجين والتعليم ، والملكية ، والاختيار للزواج ، والاقامة ، وأسباب الانفصال وغيرها .

وقد ضمت أسئلة جديدة للدليل بناء على الواقع الذى عايشته الباحثة واستبعدت بنود أخرى ، وبالاضافة الى الاهتمام بهذه الجزئيات كان هناك اهتمام بالكل ومعرفة العلاقات والتأثيرات بين الجزء والكل .

كما اعتمدت الباحثة على **الملاحظة** فقد شملت الملاحظة مجتمع البحث وسكانه ، وامتدت لتكشف عن بعض التفاصيل الخاصة بالحياة اليومية لدى الأسر وكذلك العلاقة بين الآباء والأبناء والزوجات والازواج دون الحاجة لتوجيه الأسئلة .. وقد كان يتم تدوين الملاحظات يوميا بعد العودة من كل زيارة ومما كان يسهل على الباحثة ذلك وقوع منزلها فى منطقة قريبة من المناطق التى تتردد عليها مما كان يتيح لها التدوين السريع لكل الملاحظات .

الملاحظة المشاركة قامت الباحثة بمشاركة الزوجات فى زيارتهن لمنازل والدى الزوج للوقوف على العلاقات بينهم وشكل الزيارة ، وما تقوم به الزوجة من نشاط وواجبات داخل الأسرة الأم بعد أن تم الانفصال . كذلك أجرت الباحثة العديد من **المقابلات** الفردية والجماعية واستعانت بالاخباريين .

كذلك تم الاستفادة من **المصادر التاريخية** لمعرفة تاريخ القرية وكذلك **البيانات الاحصائية** كتلك الخاصة بمعرفة حيازات القرية ونوعية المحاصيل .

أما منهج **المسح الاجتماعى الوصفى** فقد أفاد الباحثة فى الكشف عن مدى انتشار الظاهرة فى مجتمع البحث وذلك من خلال المسح الذى أجرى على المدارس الابتدائية بالقرية ، الى جانب مسح آخر أجرته الباحثة على تسعة شوارع بالقرية متنوعة طبقيا وذلك كمحاولة للكشف عن انتشار

الأسرة النووية فى أى من الطبقات العليـا والوسطى والدنيـا ومدى هذا الانتشار .

فقد قامت الباحثة باختيار ثلاثة أحياء بمجتمع البحث يمثل كل حى منها طبقة اجتماعية من الطبقات الثلاث ـ العليا والوسطى والدنيا ـ التى ينقسـم اليهـا مجتمع البحث ، ولم تتدخل أى جهة رسمية فى تقسيم هذه الأحياء طبقيا ولكن تقسيمها جاء طبقا لعرف المجتمع نفسه وتقاليده . حيث جرت العـادة أن يقوم سكان كل طبقة بالسكنى متجاورين لخشية كل منهم الاقامة فى منـاطق تابعة لطبقة أخرى ، حيث الشعور بالغـربة وسط هذه الجماعة التى تنتمى الى طبقة مغـايرة له . ومما يؤكد هذا التقسيم العرفى ما يردده أهل القرية من عبارات تنم عن معرفة كل منهم بطبيعة كل منطقة وسكانها .

من ذلك مثـلا : عندما كانت الباحثة تريد التوجه الى منطقة معينة كانت تتردد على مسامعها بعض العبارات مثل «ايه هيوديكى الناحيـة دى» ، أو «ايه اللى عرفك بالجماعة دول» وهى عبارات تنم عن معرفة أهل القرية بعضهم لبعض معرفة وثيقة .

وقد افاد هذا المسح الباحثة كثيرا فى صياغة نتائجها الخاصة بالنقطتين السابق الاشارة اليهما .

أما **المنهج الايكولوجى** فقد كان له اسهاماته فى التعرف على الخصائص الفيزيقية للبيئة وتاثيرها على السلوك الاجتماعى ، فلا شك أن المتغيرات التى بدأت تطرأ على النشاط الاقتصادى ونوعية المحاصيل وأدوات العمل الزراعى كان لها أثرها على تغير شكل الأسرة بمجتمع البحث .

كذلك تمت الاستعانة بمنهج دراسة المجتمـع المحـلى لكى يسهم فى دراسة الأسرة باعتبارها جماعة من الأفراد يجمعهم مكان واحد ويشتركون فى نظم اجتماعية واحدة .

وأخيرا تمت الاستعانة **بمنهج دراسة الحالة** وقد اتخذت الأسرة كوحدة

لمجـال دراسة الحـالة فى مرحلة من مراحل تطورها الاجتماعى ألا وهو التقلص ، بكل أعضائها : الزوج والزوجة والأطفال وكان التركيز والاهتمام فى هذا المنهـج منصبا على الحصول على البيـانات وفق ترتيبها الزمنى كنمط الاقامة الذى كانت تعيش فيه الأسرة النووية قبل انفصالها . كمـا انصب الاهتمام أيضـا على العرض الاسـترجاعى (فلاش باك) بالنسبة لحياة الأسرة النووية ، والأدوار التى كانوا يؤدونها فى الاسرة الممتـدة كوفاة أحد الوالدين ، أو اتخاذ قرار مثل قرار الانفصال «العزلة» .

●★●

وفى ضوء ما تقدم قسمت الدراسة إلى ثلاثة أبواب تحتوى على ثمانية فصول تقع فى ٦١٢ صفحة عدا المقدمة والخاتمة والملاحق توالت على النحو التـــالى :

تناول **الفصل الأول** : اسهامات البنائية الوظيفية ونظـرية الدور فى دراسة الأسرة ، وذلك من خلال القضايا التى اهتمت بها كل منهما عنـد تناوله لموضوع الأسرة .

وتناول **الفصل الثانى** : عرضا نقديا لبعض الدراسات السـابقة التى أجريت حول موضوع الدراسة سواء كانت تلك الدراسات على المسـتوى العالمى أو المحلى .

وتناول **الفصل الثالث** : طبيعة الدراسـة والاجراءات المنهجيـة بدءا بالمفاهيم التى ورد استخدامها فى الدراسة ، وأسس اختيار منطقة البحث وحالات الدراسة وفروضها ومناهجها وأدواتها وصعوباتها وانتهاءا ببعض الملاحظات المنهجية المستخلصة من واقع الدراسة الميدانية .

أما **الفصل الرابع** : فيعرض وصفا لمجتمع الدراسة من حيث ملامحه الجغرافية والتاريخية ، والعمرانية وخصائص سكانه ، والنشاط الاقتصادى والتجارى وعلاقته بالمجتمع الخارجى .

وفى **الفصل الخامس :** تتعرض الباحثة للحـالات المدروسة من حيث السن ، الموطن الأصلى ، التعليم ، المهنة ، متوسط حجم الأسرة ٠

أما **الفصل السادس :** فتتنـاول أهم ملامح الثبات والتغـير فى الأسرة الممتـدة حيث تعـرض الفصل لانماط الاسر المعيشية بمجتمع الدراسـة والسمات العامة للأسرة الممتدة فضلا عن عوامل استمرار الأسرة الممتـدة والديناميات الداخلية لها ٠

وفى**الفصل السابع :** تعرضت الباحثة لأهم ملامح الأسرة المتغيرة حيث فصلت أنماط الأسر النووية بمجتمع البحث وأسباب انتشار هذه الظاهرة وحجمها ، وكذلك الديناميات الداخلية لها ٠

وفى **الفصل الثامن والأخير :** فقد درست الباحثـة العـلاقة بين الأسرة التقليـدية والمتغـيرة ، وذلك من خلال مؤشرات الامتـداد القـرابى بين الاسرتين الممتدة والنووية ٠

وقد اختتمت هذه الفصول بعرض نتائج الدراسة ونظرة تنبؤية حول مستقبل الأسرة النووية فى مجتمع البحث واظهار خصوصية الأسرة النووية فى المجتمع الريفى المصرى ٠

●✱●

وقد أثمرت الدراسة العـديد من النتـائج نجمل أهمهـا فى النقـاط التاليـة :

أولا : تحققت الدراسة من الفرض الأساسى الخاص بأن الأسرة الممتدة فى ريفنا المصرى تشهد تغيرات من حيث الشكل والحجم والوظائف ٠ فقد شهدت الأسرة الممتدة فى مجتمع البحث ـ وهو مجتمع تقليدى خال من التصنيع تغـيرات جذرية بدءا من شكلها وانتهاء بالوظائف التى تؤديهـا مرورا بحجمها وشكل السكنى بها ، ونوع النشاط الاقتصادى الذى يعمل به أعضـاؤها ٠ كمـا أصاب هذا التغير شكل السلطة والعلاقات والأدوار داخلهـا ٠

فبالنسبة لشكل الأسرة الممتدة فقد بدأ يتقلص ليأخذ شكلا من أشكال الأسر النووية وفى أحيان أخرى اتخذت شكل الأسرة الزواجية ، حيث انتشرت الزيجات القائمة على الحب والاختيار الذاتى .

أما بالنسبة لحجم الأسرة الممتدة فقد توصلت الدراسة الى نتيجة تؤكد على صغر حجم الأسرة الممتدة فى مجتمع البحث وذلك لأن الاسرة الممتدة لم تعد تضم من الابناء للاقامة معها سوى ابن متزوج واحد على الأكثر هو فى الغالب الابن الذى يشارك والده فى نفس مهنته وبالتالى تظل المعيشة مشتركة بينه وبين والده . أما باقى الأخوة فنتيجة لانتشار التعليم بالقرية والتحاق معظم الأبناء بالوظائف المختلفة بعد انتهاء المرحلة التعليمية يتجه الأبناء نتيجة لهذا الاستقلال الاقتصادى للاقامة فى أسر نووية قد يكون بعض منها خارج القرية فتجانس المهنة يعد أهم الأسباب التى تؤدى الى تكوين أسرة ممتدة وأن حجم الأسرة الممتدة يتحدد بمن يعملون فى نفس مهنة الأب رئيس العائلة .

أما عن المسكن وشكل الاقامة بالنسبة لأعضاء الأسرة الممتدة فى مجتمع البحث فقد كان من المتبع والمألوف أن يقيم جميع أعضاء الأسرة الممتدة فى وحدة معيشية واحدة ، حيث كان يضم الجميع منزل واحد كبير له مدخل واحد يشترك فى استخدامه جميع أعضاء الأسرة الممتدة . وكانت تخصص حجرة أو حجرتان لكل ابن متزوج مع زوجته وأولاده ، حسب مساحة المنزل . وقد يزداد عدد الحجرات التى تخصص للابناء المتزوجين داخل الأسرة الممتدة أو تقل تبعا للطبقة التى تنتمى اليها الأسرة حيث أن اتساع منزل الأسرة الممتدة يرتبط الى حد بعيد بالحالة الاقتصادية والوضع الاجتماعى للأسرة . وقد تغير شكل المسكن حيث اتجه بعض الآباء سواء فى الطبقة العليا وبعض من الوسطى الى اقامة وحدات سكنية منفصلة للأبناء تكون مجاورة للاسرة الممتدة أى متخذة شكلا أفقيا بعد أن كان

الاتساع يتم بشكل رأسى ، أى باضافة حجرة أو حجرتين فى الطابق العلوى من نفس المنزل .

ولقد كان هذا الاستقلال المكانى الذى أكدته الأسرة الممتدة باقامتها للابناء المتزوجين وحدات سكنية منفصلة عن وحدة المعيشة الكبرى نواة لاستقلال هؤلاء الأبناء معيشيا فيما بعد .

وعن **النشاط الاقتصادى** داخل الأسرة الممتدة حيث كان يجمع بين أعضاء الأسرة نشاط اقتصادى جماعى واحد ، أصبح هناك تنوعا فى النشاط الاقتصادى داخل الأسرة ولم يعد العمل الزراعى هو العمل الوحيد الذى يعمل به كافة أفراد الأسرة ، بل تنوعت الأعمال والوظائف نتيجة لتعليم الأبناء فأصبحت الأسرة الممتدة تضم الى جانب المزارع ، المدرس ، والحرفى . وأصبحت مهنة كل واحد تخالف مهنة والده واخوته ، وبالتالى اتجه كل واحد منهم للبحث عن رزقه من مصادر مختلفة . وهكذا قلت الأيدى العاملة داخل الأسرة وظهر الاستقلال الاقتصادى للابناء الذى مثل الشق الثانى الذى يؤكد على بداية التفكك بعد أن سبقه استقلال مكانى كان بمثابة الشق الأول فى هذا التفكك .

تقلصت **سلطة الأب** حيث أصبحت معظم القرارات تتم مشاركة بين الأب وأبنائه ، فاصبح الأبناء وخاصة العاملين منهم بالزراعة يناقشون والدهم فى نوعية المحاصيل التى اعتاد أن يقوم بزراعتها محاولين ادخال نوعيات أخرى من المحاصيل الجديدة التى تستلزم جهدا أقل وتحقق ربحا أكثر كزراعة الفاكهة والخضروات وغالبا ما يذعن الأب لآراء أبنائه وخاصة اذا كان قد طعن فى السن وترك العمل الزراعى لأبنائه .

وعن **الوظائف** التى كانت تؤديها الأسرة الممتدة لأعضائها فقد تقلصت أيضا نتيجة ظهور وانتشار المؤسسات الخدمية التى تولت القيام بأداء هذه الوظائف كبديل للاسرة الممتدة . ومن هذه المؤسسات المدرسة التى أدى انتشارها كمؤسسات تعليمية الى تقلص الوظيفة التعليمية التى كان يتم

معظمها داخل الأسرة • كذلك تولت بعض المؤسسات الوظيفة الانتاجية كتولى مؤسسات متخصصة انتاج الأطعمة والخبز والملابس التى كان معظمها يصنع داخل الأسرة الممتدة ، كذلك ظهرت دور الحضانة كبديل للأسرة الممتدة فى أداء الوظيفة التربوية •

ثانيا : تحققت الدراسة أيضا من أن هناك بعض ميكانيزمات التغير النابعة من داخل الأسرة ، وأخرى تستجد على الأسرة من الخارج ، وبالتالى تؤثر هذه العوامل سواء الداخلية أو الخارجية على بناء الأسرة ومكوناتها •

فقد تضافرت بعض العوامل الداخلية التى تمثلت فى تفتيت الملكية الزراعية ، ووفاة أحد الوالدين ، والخلافات العائلية ، وضيق المكان مع بعض العوامل الخارجية التى تمثلت فى عامل التقليد والمحاكاة ، والهجرة والتعليم بالاضافة الى بعض المتغيرات الأخرى كالحراك المهنى والحراك الاجتماعى وتغير وضع المرأة وتعدد أدوارها لتنتج لنا فى النهاية شكل الأسرة النووية •

فقد كان **لتفتيت ملكية الأسرة الزراعية** أثرها فى تغير شكل الأسرة حيث أدى تقسيم الأرض وتوزيعها على الأبناء سواء عن طريق الميراث أو لعدم مقدرة الأب على ولايتها وزراعتها الى استقلال كل ابن من الأبناء بنصيبه فى الأرض يقوم بزراعته ويستقل بدخله منها ، وهو مسبقا مستقل مكانيا • ومن هنا يصبح الاستقلال معيشيا واقتصاديا ومكانيا ودافع له لتكوين أسرة نووية •

كما اكدت الدراسة أن **وفاة احد الوالدين** يساعد على تفكك الأسرة الممتدة ، وخاصة وفاة الأم فهى المحور الذى يلتف حوله جميع أعضاء الوحدة المعيشية ، وهى المنظم لحركة العمل بين الزوجات داخل الأسرة • وتقول فى ذلك احدى الزوجات :

«كنت باشتغل وأنا حامل ، وكنت بفضل معاهم جوه طول اليوم ،

نعمل سوى شغل البيت وآخر النهار أروح على شقتى . ولما ولدت وكانت حماتى ماتت لقيت ان مسئولية الولد كبيرة وانا باشتغل فخفت انهم يقولوا انى معدتش زى الأول فلقيت أن العزلة أحسن علشـان أقدر على الولد وشغله» .

ومن قول الاخبارية يتضح لنا ان وفاة الأم وعدم استطاعة الزوجة أن تجـد من يرعى لهـا أطفالها أثنـاء غيابهـا فى العمـل أو انشغالها باعمال الأسرة جعلها تفكر فى الانفصال وتكوين أسرة نووية .

مثلت **الخلافات العائلية** ٩٥٪ من عوامل تكوين الأسرة النووية فنتيجة لكثرة عدد الأعضـاء المكونين للأسرة الممتـدة واختـلافهم من حيث النوع والسن ، فقد كان يحدث صراع بين الأجيال المختلفة فى الأسرة . وقد أدت الخلافات بين الزوجة وسلائفها أو بين الأخ واخوته أو الزوجة وحماتهـا الى تفكك الأسرة الممتدة . وفى ذلك تقول احدى الزوجات التى انفصلت عن الأسرة الممتدة نتيجة خلافاتها مع الحماة :

«حماتى ماكنتش بتحبنى لأنها ماكنتش عاوزانى أتجوز ابنها ، لأنها كانت بتكره أمى ، ومكنتش ترضى تطلب منى حاجة اعملها لها ، وكانت تكلف أى حد من سـلايفى يعملهـا . حتى عيـالى مكتش بتعاملهم زى مبتعامل ولاد سلايفى» .

وهذا القول يبين أن كراهيـة الحمـاة لزوجة ابنها وتفضيل الأخريات عليها جعل الزوجة تفضل الانفصال بدلا من حدوث هذه الخلافات المستمرة بينهما .

أما العامل الخاص **بضيق المكان** وهو من العوامل الداخليـة أيضا فقد ظهر فى الطبقة الدنيا أكثر من الطبقة العليا . ويذكر أحد أبنـاء الطبقة الوسطى فى ذلك :

«أخويا كان عاوز يتجوز ، والدار ضيقة متسعناش احنا الاثنين وأبويا

وأمى واخواتى اللى متجوزوش ، فدورت على دار نشتريها ولقيت الدار دى اشتريناها بـ ٨٠٠ جنيه وكانت فى حتة كويسة واقساطها مستريحة . باعت أم حسام حتتين الدهب بتوعها ودفعنا القسط الأول وانتقلنا بعدها على طول» .

ومن قول الاخبارى يتضح أن طبيعة المكان كان دافعا للابن الأكبر كمتحمل للمسئولية أن يترك المكان لأخيه الأصغر ليعيش فى كنف والديه كما عاش هو من قبل .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك بعض العوامل الداخلية التى كانت مؤثرة وفعالة أدت الى تغير شكل الأسرة فى طبقة دون الأخرى . فعلى سبيل المثال اتضح أن عامل تفتيت الملكية الزراعية ووفاة أحد الوالدين ظهر كمؤثرين فعالين على تغير شكل الأسرة فى الطبقة العليا أكثر من الطبقة الوسطى والدنيا ، نتيجة لما تتمتع به هذه الطبقة من ملكية مساحات كبيرة من الأرض بجانب أن حفاظ الأم أو الأب على شكل الاسرة الممتدة يعتمد الى حد كبير على القدرة المادية ومادام الأب أو الأم بعد وفاة زوجها تكون قادرة ماديا فهى تستطيع المحافظة على بقاء الاسرة الممتدة واستمرارها .

أما العوامل الخارجية والتى تمثلت فى **عامل التقليد والمحاكاة** والهجرة والتعليم فقد كان لها تاثير كبير فى الطبقة الوسطى والدنيا أكثر من العليا . والتقليد يتم على مستويين : **تقليد القرية للمدينة** نتيجة سهولة الاتصال بين مجتمع القرية والمدينة عن طريق وسائل المواصلات ووسائل الاعلام مما أدى لنقل العديد من مظاهر حياة المدينة الى القرية عن طريق أبناء القرية أنفسهم الذين كانوا على اتصال دائم بالمعيشة حيث الانتقال اليها لتلقى العلم أو شغل وظائف عامة . ثم هناك **التقليد على مستوى** مجتمع القرية . وهو تقليد أشد وأقوى من النوع الأول حيث أن التقليد فى مجتمع القرية منتشرا حتى فى الحالات التى يعد فيها التقليد ضارا بالنسبة

لمن يقلد . كتقليد زوجة لأخرى فى عدد مرات الانجاب رغم تفاوت الظروف واختلافها بين كل منهما . فقد كان تقليد الأخت لأختها والسلفة لسلفتها فى العزلة لما تتمتع به الزوجة فى هذا الموضــع من احساس بالحرية ، وتتمتع باستقلالها وممارستها لدور ربة الأسرة وسيادتها المطلقة . وتقول فى ذلك احدى الزوجات من الطبقة الوسطى تصف حياتها وهى فى الأسرة الممتدة :

«أنا كنت زى الخدامة أجيب لده ياكل ، وده يشرب وده يغسل ايده . لكن أنا دلوقتى كفاية عليا ولادى» .

أما عامل **الهجرة** بشقيها الداخلية والخارجيـــة فكان لها تاثيرها على تغير شكل الأسرة وظهور الأسرة النووية . فقد ساعدت الهجرة على استقلال الأفراد اقتصاديا عن الأسرة الممتدة وأصبح كل مهاجر يسعى الى الاحتفاظ بمدخراته وما جمعه من مال ليستأثر به لنفسه دون غيره وبالتــالى هداه تفكيره الأنانى الى الانفصــال عن الأسرة الممتدة والاستقلال بحياته ، بدلا من أن تشاركه أسرته الانتفاع بهذا المال .

وعن **التعليم كمتغـير** كان له أثره الواضـح على تقلص حجم الأسرة وخاصــة تعليم المرأة حيث كان الأزواج ينظــرون الى زوجاتهم بأنهم فى مكانة أعلى يستحقون فيها الاستقلال والمعيشة فى منــازل مستقلة وحيــاة خاصة وفى ذلك يقول أحد الأزواج :

«أصل الست بتاعتى متعلمة وأمى ست كبيرة من بتوع زمان وتفكيرها على قدها . وأكيــد كانت هاتحصــل بينهم مشــاكل علشان كده العزلة أحسن» .

ويرتبط متغير **الحراك المهنى** بمتغير التعليم ، حيث أن التعليــم هو الذى يحدد اتجاه هذا الحراك سواء كان اتجاها صاعدا أو اتجاها نازلا ، أفقيا أم رأسيا . فهناك علاقة طردية بين التعليم وشــدة الحــراك المهنى

أو ضعفه فكلما ارتفع مستوى التعليم زادت شدة الحراك المهنى والعكس صحيح ٠

وقد أدى انتشار التعليم بين الجيل الثانى ـ جيل الأبناء ـ الى وجود حراك مهنى داخل الأسرة ٠ وقد اتخذ هذا الحراك شكلا رأسيا تصاعديا فى الغالب حيث الانتقال من مهنة الزراعة التى كان يعمل بها الآباء (مهن يدوية)الى الوظائف العامة(مهن غير يدوية ادارية)وبالتالى فقد أدى هذا الاختلاف المهنى بين الآباء والأبناء الى عدم حرص الأبناء على الاقامة المشتركة مع الأسرة الممتدة حيث اختلفت الأهداف والوسائل ٠

أما الحراك المهنى الذى اتخذ شكلا افقيا فقد كان أكثر وضوحا فى الطبقة الدنيا عنه فى الطبقتين الأخريين نتيجة انخفاض مستوى التعليم حيث انتقل معظم الأبناء داخليا فى نفس المهنة (العمل اليدوى) ٠

أما بالنسبة **للحراك الاجتماعى** فقد مثل تاثير هذا العامل ٢٥٪ من حالات الدراسة ٠ وقد نتج الحراك الاجتماعى عن التعليم الذى تبعه حراك اجتماعى ٠ وقد ظهر هذا الحراك بشكل واضح فى الطبقة الوسطى ٠

وتذكر احدى الزوجات من الطبقة الوسطى فى هذا المقام ما يدل على أن الحراك الاجتماعى الذى طرأ على أسرتها كان العامل الأول فى تكوينها لأسرة نووية :

«احنا اتعزلنا علشان المكان كان ضيق وكنا فى حتة وحشة ومش نضيفة ، كانت دايما الميه واقفة فيها وكان أبو خالد (تقصد زوجها) بينكسف من زمايله فى المدرسة لما يجوا يزوروه ، ومن العيال اللى كانت بتيجى علشان الدروس ٠ علشان كده اشترينا الأرض دى وبنينا عليها واتنقلنا بعد ما خلصنا بنى» ٠

من القول السابق يتضح أن الحراك الاجتماعى للزوج دفعه الى التفكير فى الانفصال وتكوين أسرة نووية ٠

ثالثا : تحققت الدراسة من قضية أخرى كان مؤداها أن التغيرات التى تحدث فى الأسرة يمكن أن تؤدى الى اختلال توازنها ، ولكن الأسرة تسرع لطـرح البدائل الوظيفيـــة كميكانيزمات تعمـــل عـلى اعادة توازنهـــا واستمرارها ٠

فقد تبين من خلال الدراســة الميدانية أن الأسرة الممتدة كانت تقـوم بالتصـدى لأبنائها عند اتخاذهم لقرار الانفصال ، وذلك يفـرض بعض الشروط مقابل السماح لهم بالاستقلال ٠ وتقول احدى الزوجات فى ذلك :

«حمايا مرضيش يسبنا نطلع من الدار كده بالساهل آل ايه من نقصه قال انه عاوز اللى صرفه عليه وأحمد فى الجيش ٠ وكنت يومها عايزه أطلع بأى شكل فاديت لأحمد شبكتى باعها ودفعنا له اللى طلبه» ٠

وقد يكون هذا التعنت فى التعـامل من قبل الأسرة الممتدة كوسيلة أو معوق تحاول من خلاله أن تثنى هذه الأسرة عن عزمها على الانفصال ٠

وعندما تخفق الأسرة الممتدة فى الطريقة الأولى وهى وضع الشروط ، تحاول أحيانا الاحتفاظ بالأبنـاء عن طريق وهب أبنائهـا الراغبين فى الانفصال منازل خاصة بهم تكون ملكا للأب مثلا كمحاولة لامتصاص التوتر والخلاف الذى نشأ بينهما كى يعود بعد ذلك الابن الى والده ٠

وهناك أسلوب آخر تتبعه الأسرة الممتدة للمحافظة على بناء الأسرة الممتدة وهو تزويج أحد الأبناء كى تعوض به الابن الآخر الذى ترك المنزل وتحافظ على شكلها الممتد ٠

وقد كانت الأسرة النووية حتى فى اتخاذها لقرار العزلة والانتقـال لمنزل آخر لا تستطيع أن تجهـر بذلك ، أو أن يتم ذلك بصورة علنية ، ولكن ذلك كان يتم فى الخفاء مراعاة لشعور الآباء ومراعاة لنظـرة أهل القرية ٠ فقد كان تنفيذ النقل يتم فى أوقات متأخرة من الليل بعد أن ينـام الجميع ٠ وتقول احدى الزوجات فى ذلك :

«احنا نقلنا العزال الساعة واحدة بالليل ، وكانت أمه مسافرة ٠ علشان لو كانت هنا كانت صوتت ولمت علينا الناس» ٠

وتقول زوجة أخرى :

«بعد ما أبوه نام جبنا عربيتين كارو وكانت الساعة واحدة ، بعد نص الليل ونقلنا العزال ٠ أصله خاف على زعل أبوه لو شفنا واحنا بنخرج من الدار» ٠

وفى هذه الأقوال ما يؤكد محافظة الأسرة النووية على الرغم من حالة التوتر والخلافات بينها وبين الأسرة الممتدة على تقاليد القرية وأعرافها ومراعاة شعور الآباء والأمهات ٠

واذا انتقلنا من الحديث عن أهم النتائج لنجيب عن أحد التساؤلات الهامة فى الدراسة عن الطبقة التى ينتشر فيها نمط الأسرة النووية أكثر من سواها من الطبقات ؟

نجد أن الدراسة قد أكدت على انتشار الأسرة النووية فى الطبقة الوسطى أكثر من الطبقة العليا والطبقة الدنيا نظرا لأن هذه الطبقة من أكثر الطبقات التى يظهر عليها التغير بصورة سريعة ٠ وقد وقفت الدراسة موقفا متعارضا مع آراء الذين ربطوا بين انتشار شكل الأسرة النووية فى الطبقة الدنيا ، وانتشار خط الأسرة الممتدة فى الطبقة العليا ٠ فهناك مؤشرات تدل على بداية تحول شكل الأسرة فى الطبقة العليا من ممتدة الى نووية أوضحتها الدراسة الميدانية ومنها :

(أ) انتشار ظاهرة تفتيت الملكية الزراعية بين الأبناء فى الطبقة العليا حيث كانت المحافظة على ملكية الأرض من أهم دعائم وجود الأسرة الممتدة فى المجتمع الريفى ٠

(ب) شدة الحراك المهنى نتيجة ارتفاع مستوى التعليم بين أبناء هذه الطبقة مما ساعد على هجرة الأبناء من القرية الى المدن للسكن والعمل بها ٠

(جـ) تحول الأبناء من العمل فى مهنة الزراعة الى العمل فى الوظائف الحكومية مما يسر لهم الاستقلال الاقتصادى والاستغناء عن الأسرة الممتدة ٠

(د) الى جانب هذا وذاك ظاهرة بنـاء الوحدات المستقلة للأبنـاء المتزوجين فى هذه الطبقة تشجع الأبناء على سهولة اتخاذ قرار الانفصال وتكوين أسر نووية ٠

وكمـا كانت هنـاك مؤشرات تدل على بداية تحول شكل الأسرة فى الطبقة العليا فى مجتمع البحث من ممتدة الى نووية ـ ، فقد كانت هناك مؤشرات ايضـا تدل على بداية تحول شكل الأسرة فى الطبقة الدنيـا من نووية الى ممتدة ٠ وتمثلت هذه المؤشرات فى : (أ) العزلة التى يعيشها أبناء هذه الطبقة ، ويفرضها عليهم المجتمع تملى عليهم التفكير فى تكوين أسرة ممتدة لمواجهة هذه العزلة ٠

(ب) ارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى للأسر المنتمية الى هذه الطبقة نتيجة ارتفاع الأجر اليومى للعامل الزراعى علاوة على حرص الآباء فى هذه الطبقة على تعليم أبنائهم ٠ وهذا الارتفاع العام فى مستوى المعيشة فى الطبقات الدنيا شجع الآباء على الاحتفاظ بابنائهم بعد الزواج مكونين بذلك أسرا ممتـدة ٠

(جـ) محـاولات الأسر فى الطبقة الدنيا لتحقيق مكانة ومركزا داخل المجتمع وذلك من خلال الحرص على تكوين عزوة وعصبة من الأبنـاء كمؤشر لقوتهم ومكانتهم ٠

ونخلص من هذا الى أن الآراء التى تذهب الى التاكيد على ارتبـاط نمط الأسرة النووية بالطبقة الدنيا ، والأسرة الممتدة بالطبقة العليا يجانبها ـ الى حد ما ـ الصواب حيث نجد اغفـالا للتغيرات التى تطرأ على كل طبقة منهما ، مما يولد أيديولوجيـات جديدة وأسلوب حياة متغـير لكل منهما بما يلائم ظروف المجتع المصرى عموما والمجتمع الريفى على وجه الخصـوص ٠

وأخيرا وعلى أية حال فالأسرة النووية فى مجتمع البحث على الرغم من كل ما ذكرنا أسرة نووية غير منعزلة ، فمازالت هناك علاقات قائمة بينهـا وبين الأسرة الممتـدة ، وهنـاك بعض المؤشرات التى دلت على استمرارية هذه العلاقة القائمة بيتهما وذلك من خلال المسـاعدات التى مازال بعض منهـا مستمرا بين الآباء والابناء سواء كانت مساعدات مادية أو عينيـة ، وكذلك مازال الأبنـاء وزوجاتهم يقدمون الخدمات للأسرة الممتدة وخاصة فى ظروف المرض والحاجة اليهم ٠

ومما هو جدير بالذكر أن العلاقات بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة لم تظهر بهذا الشكل منذ الانفصال ولكن كانت هناك فترة بعد الانفصال تقطعت فيها العـلاقات تماما ، ويرجع ذلك الى التوتر النفسى وشـدة الخـلافات فى هذه الفـترة ، وان كانت تلك الفترة لا تتجاوز فى الغالب عاما واحدا تعود بعدها العلاقات شيئا فشيئا الى ما كانت عليه ٠

ولعل فى نمط الأسرة النووية بمجتمع البحث ما يخالف نمط الأسرة النووية الكلاسيكية التى أظهرها معظم الدارسين الأجانب عنـد تناولهم لموضوع الأسرة تلك التى تتميز بالفردية والانفـرادية ٠ وهذا النمط من الأسر النووية المعدلة كان نتاجا لخصوصية المجتمع المصرى حيث أن هناك بعض القيم والمبـادىء التى مازالت تسيطر على عقول الأفراد ويتمسك بها أبناء المجتمع ومنها تلك المرتبطة بصلة الرحم ، والتآلف والعطف على الصغير واحترام الكبير ٠



الفصل الثالث

التصنيع والقيم الاسرية

دراسة ميدانية فى أبو قير بمحافظة الاسكندرية(*)

تحددت **مشكلة هذه الدراسة** انطلاقا من بعض القضايا النظرية التى تبلورت حول الأسرة والتصنيع ، بداية من محاولات المفكرين الاجتماعيين لتفسير التغيرات التى لحقت بالأسرة فى المجتمع الصناعى الحديث . فقد شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر والقرن العشرين محاولات متعددة لتفسير هذه التغيرات ، كان من أهمها كتابات المفكرين من أنصار نظرية التطور وعلى رأسهم العالم الأمريكى لويس مورجان ، الذى حاول أن يربط التغيرات التى تحدث فى أنماط الحياة الاقتصادية بتلك التى تطرأ على أشكال الأسرة ونظم الزواج . كما كانت كتابات كارل ماركس ، وبخاصة ما يتعلق منها بتاثير الصناعة على الأسرة فى المراحل الأولى للنمو الصناعى الرأسمالى واحدة من تلك المحاولات . فضلا عن كتابات أنصار الاتجاه الوظيفى ، والتى تركزت حول مناقشة العلاقة بين التصنيع وتقلص الأسرة بنائيا ووظيفيا .

واستنادا الى القضايا التى تمخضت عن هذه المحاولات تعددت الاهتمامات والدراسات الخاصة بالأسرة والتصنيع فى المجتمعات الصناعية ، وكادت هذه الدراسات تتفق على عدة قضايا أساسية مؤداها : أن التصنيع عادة ما يصاحبه تغير فى القيم والعرف والعادات التى تؤثر على بناء

(*) عرض لرسالة تقدمت بها السيدة فاتن أحمد على لنيل الماجستير عام ١٩٨٧ تحت اشراف الأستاذة الدكتورة علياء شكرى .

الأسرة ووظائفهـا • حيث يتجه هذا البنـاء شكلا وحجما نـحو التقلص التدريجى • فمن حيث الشـكل يضيق نطاق الأسرة ، ويختص الشـكل التقليدى للأسرة الممتدة ، وتظهر الأسرة النووية المنعزلة نتيجة لما يصاحب التصنيع من حراك جغـرافى يؤدى الى سـيطرة قيم الانعزالية والفردية والاسـتقلال لتحل محل قيم التماسك والترابط الأسرى التى تتميز بهـا الأسرة فى المجتمعات التقليدية • كما يتجه حجم الأسرة أيضا نـحو التقلص نتيجة لتحول الابنـاء من مصـدر اقتصادى للاسرة الى عبء اقتصـادى عليها ، فتتغير بذلك القيم والاتجاهات التقليدية الخاصة بالانجاب •

كما أكدت هذه الدراسات أن هذه التغيرات تشمل بناء الأدوار وتنظيم العلاقات الداخلية بها ، وبخاصة أدوار الزوجين حيث يكتسب هذا البناء طابعا متغيرا يختلف عن الطابع النمطى التقليدى المميز للأسرة التقليدية •

ولا يقتصر هذا التغـير على نحو ما أشارت هذه الدراسـات عـلى الأسرة كنسق داخلى ، بل يمتد أيضا الى علاقاتها الخارجية بالجمـاعة القرابية وجماعات الجوار ، حيث تتناقص فرص التفاعل بهذه الجماعات التى تعتمد على العلاقات المباشرة • ومن ثم تفقد هذه الجماعات خصائصها البنائيـة والوظيفيـة التقليـدية ، ولا يبقى من هذه الخصـائص سـوى ما يؤكد سيطرة قيم المنفعة والمصلحة ، لتحل محل قيم التضامن والتكافل التى تميز هذه الجماعات وبناءها التقليدى •

وجدير بالاشارة أن هذه النتائج وجدت انتشارا وقبولا فى كثـير من الدراسات التى اهتمت بالأسرة والتصنيع فى المجتمع المصرى • ومن هنـا تحددت مشكلة هذه الدراسة كاحدى المحاولات التى تهدف للكشف عن مدى اتفاق هذه النتائج أو تباينها مع الواقع الفعلى للأسرة المصرية فى البيئات الصناعيـة ، فى ضوء الخصوصية الممـيزة للمجتمع المصرى بشكل عام • وذلك من خلال دراسة وصفية متعمقة لحالات ممثلة للعـاملين بالقطـاع الصناعى ، تعتمـد على التحليـل المقـارن فى ضـوء بعض الخصائص

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة كالمستوى الطبقى والانتماء الثقافى (ريف حضرى) بهدف تتبع التغيرات التى طرأت على أنساق القيم التقليدية تحت وطأة التصنيع ، وانعكاس هذه التغيرات على بناء الأسرة ووظائفها ، بدءا بشكلها ، فحجمها ، فعلاقاتها الداخلية ، والخارجية .

مما تقدم تتضح الأهمية النظرية للدراسة وهى اختيار بعض القضايا التى تبلورت حول الأسرة والتصنيع فى المجتمع المصرى أما الأهمية التطبيقية لها فتتحدد من خلال ما يمكن أن تسهم به الدراسة من القاء الضوء على واقع الأسرة المصرية فى المناطق الصناعية بما يفيد فى فهمها وغيرها من الأسر التى لها خصائص مماثلة وامكانية الاستفادة من هذه النتائج فى خدمة أغراض التنمية والسياسات الاجتماعية .



وقد انبثقت فروض الدراسة من تساؤل أساسى مؤداه : هل صاحب التصنيع تغير فى القيم الأسرية التقليدية وظهور قيم متغيرة تتناسب ومتطلبات التصنيع ؟ ما مدى انعكاس هذا التغير على بناء الأسرة ووظائفها وعلاقاتها الداخلية والخارجية ؟

وفى ضوء هذا التساؤل أمكن صياغة مجموعة **الفروض** التالية :

أولا : ثمة علاقة سلبية بين التصنيع وقيم التماسك والترابط التقليدية وينعكس هذا على مستويين : مستوى الأسرة كنسق داخلى يتجه نحو التحول من النمط الممتد الى النمط النووى . ثم مستوى الأسرة كنسق فرعى يتجه نحو العزلة عن الجماعات القرابية وجماعات الجوار .

ثانيا : ثمة علاقة سلبية بين التصنيع وقيم العصبية والانجاب التقليدية ، تنعكس فى اتجاه حجم الأسرة نحو التناقص وخفض عدد المواليد وزيادة الاهتمام بتنظيم الأسرة .

ثالثا : ثمة علاقة سلبية بين التصنيع والقيم التقليدية الخاصة بادوار

الزوجين فى الأسرة ، تنعكس فى تغير بناء الأدوار وتنظيم العلاقات الداخلية ، بحيث يأخذ هذا البناء طابعا متغيرا يختلف عن الطابع النمطى التقليدى .

رابعا : ثمة علاقة سلبية بين التصنيع وقيم الجوار التقليدية تنعكس فى اختفاء قيم المشاركة والتضامن التقليدية ليحل محلها قيم المصلحة والمتعة ، وبذلك يتلاشى هذا النمط من الجماعات الأولية ، ويفقد خصائصه التقليدية .

وأخيرا ثمة علاقة بين كافة المتغيرات السابقة وبين المستوى الطبقى للأسرة ، والثقافة الفرعية التى تنتمى اليها (ريفية ـ حضرية) .

وعن **التعريف الاجرائى للقيم** فقد استخدم هذا المفهوم للاشارة الى :

«موجهات السلوك غير المعلنة التى تنعكس فى سلوك الأسرة واتجاهاتها . فالسلوك والاتجاهات وفقا لهذا التعريف مؤشرات للقيم باعتبار أن كل سلوك يكمن وراءه قيم معينة ينبع منها ويعبر عنها» .

وقد تحددت هذه القيم فيما يلى :

ـ قيم التماسك والترابط الأسرى .
ـ قيم العصبية والانجاب .
ـ القيم الخاصة بأدوار الزوجين وتنظيم العلاقات الداخلية للأسرة .
ـ القيم الخاصة بعلاقات الأسرة الخارجية (العلاقات القرابية وعلاقات الجوار) سواء كانت هذه القيم تقليدية أو متغيرة .

وجدير بالذكر أن هذا التعريف يندرج نظريا ضمن الاطار الذى يدرس القيم من خلال السلوك والاتجاهات . كما أن تصنيفها يدخل فى نطاق التصنيف الانثروبولوجى للقيم ، والذى يصنفها بالاستناد الى النمط البنائى للمجتمع الى : قيم تقليدية وأخرى متغيرة ، أو على نحو ما ذهب ردفيلد قيم تقليدية محافظة وأخرى علمانية .



واتفاقا مع هذا التعريف الاجرائى للقيم ، واتساقا مع الاطار التصورى الذى انطلقت منه الدراسة فى معالجتها تحددت **مناهج وادوات البحث** ، التى جمعت بين كل من المنهج السوسيولوجى والمنهج الانثروبولوجى بما تتيحه هذه المناهج من أدوات وأساليب بحثية . فاستخدمت الملاحظة ، والمشاركة ، والسؤال المباشر وغير المباشر والمقابلات بأنواعها والاخباريون . فضلا عن دراسة الحالة المتعمقة ، وتحليل مضمون بعض العبارات التى وردت نصا على لسان المبحوثين ، والتى تتضمن الاشارة الى قيم معينة ، هذا بالاضافة الى الطريقة الايكولوجية ومنهج دراسة المجتمع المحلى فى دراسة الخصائص الايكولوجية لمجتمع الدراسة . وتناول المجتمع المحلى كنسق اجتماعى مكون من وحدات اجتماعية مترابطة ، بهدف الكشف عن انماط التعاون والصراع بين هذه الجماعات والمؤسسات المحلية . وكيف تعمل العلاقات القائمة بين هذه الجماعات على استقرار هذا النسق وتوازنه أو على اختلاله وتغيره .

والى جانب المناهج والأدوات المشار اليها استعانت الدراسة بدليل مفتوح صمم لدراسة الحالات المتعمقة . وكنا قد قمنا فى بداية الدراسة بتصميم دليل مبدئى ، لاجراء الحصر الشامل للأسر القاطنة بالمدينة العمالية ، لرصد خصائصها تمهيدا لتصنيفها . وقد جاء الدليل الخاص بدراسة الحالات المتعمقة فى صورته النهائية فى ستة أقسام أساسية : يدور القسم الأول منها حول البيانات الأساسية الخاصة بجميع أفراد الوحدة المعيشية . ويدور القسم الثانى حول تاريخ الحياة الاجتماعية والوظيفية لأعضاء الوحدة المعيشية . ويدور القسم الثالث من الدليل حول بناء الأسرة ووظائفها وينقسم بدوره الى ثلاثة أقسام فرعية : الأول منها خاص بالنمط البنائى للأسرة وعوامل ظهوره وتكوينه . والثانى حول قضية الانجاب وتنظيم الأسرة . والثالث حول علاقة الأسرة بالجماعة القرابية . أما القسم الرابع من الدليل فيدور حول أنماط العلاقات الداخلية . ويشمل القسم الخامس البيانات الخاصة بعلاقات الجوار والعوامل المؤثرة فى تكوين

هذه الجماعات وأهم خصائصها البنـائية والوظيفية ، والقيم التى تدعم استمرارها أو اندثارها • أما القسم السادس والأخير من الدليـل فيدور حول المؤسسات المحلية ودورها فى المجتمع المحلى ••

●★●

وعن **اجراءات الدراسة الميدانية** وقع الاختيـار على «أبو قير» احدى المنـاطق الحضرية بمحافظة الاسكندرية للاعتبارات الآتية : كان نتيجـة للنمو السكانى وما صاحبه من توسع عمرانى ، فضلا عن تطور الصناعة بمحافظة الاسكندرية ان انشأت بأبو قير مدينة عمالية هى واحدة من عدة مدن تنتشر بالمراكز الصناعية بمصر • كما أنها تمثل واحدة ضمن ثلاث مدن عمالية بمحافظة الاسكندرية • ويقطن بها عدد كبير من أسر العاملين بالقطاع الصناعى ، ممن يشغلون مستويات مهنية متدرجة فى هذا المجال • وبذلك تشابه القطاع الاقتصادى الذى ينتمى اليه أرباب هذه الأسر ، فضلا عن تماثل ظروف المجتمع المحلى • ولما كانت الأسرة هى الوحدة الأساسية للدراسة وليس العامل بمفرده ــ كما نهجت معظم الدراسات التى اهتمت بدراسة الصناعة والأسرة فى المجتمع المصرى ــ فقد كان اختيار المدينـة العمالية ملائما لمتطلبات الدراسة وأهدافها •

ولتحديد المجال البشرى للدراسة تم اجراء حصر شامل للأسر القاطنة بالمدينة العمالية ، من أجل وضع تصور يمكن من خلاله اختيـار حالات ممثلة لمجتمع الدراسة • وقد أسفرت نتائج هذا الحصر عن تبـاين هذه الأسر من عدة جوانب هى :

- تباين المستوى الاجتماعى والاقتصادى للأسرة •
- تباين نوع الصناعة التى يعمل بها رب الأسرة •
- تباين الموطن الأصلى والثقافة الفرعية للأسرة • (ريفية ــ حضرية) •

وبالاستناد الى المهنـة والتعليم تم تصنيف هذه الأسر فى ثلاث شرائح طبقية • ومن واقع هذا التصنيف وقع الاختيار على عشرين أسرة لاجراء

الدراســة المتعمقة . وقد روعى فى هذا الاختيــار ـ بالاضافة الى تمثيل الشرائح الطبقية المختلفة ـ تمثيل الثقافات الفرعية (ريفية ـ حضرية) . ومســتوى ونوع الصناعة التى يعمــل بهــا رب الأسرة (صناعة الغــزل والنســيج ـ وصناعة النقـــل والهندسة) أكثر الصناعات تركزا بالمدينـة العمالية . كما أختيرت خمس أسر أخرى كنسبة احتياطية يلجأ اليهــا فى حالة ظهــور أى متغيرات سلبية تعوق اجراء دراسة الحالة لأى من الأسر العشرين المختارة كعينة أساسية . ومما هو جدير بالذكر أن ثلاثة أسر من هذه النسبة الاحتياطية ما لبثت أن استبدلت بأخرى نتيجة لعدم صــدق البيانات التى تم الحصول عليها فى الحصر المبــدئى والتى تم فى ضوئها تصنيف هذه الأسر طبقيا .

وقد بدأت الدراسة بشقيها النظرى والميدانى فى أكتوبر ١٩٨٥ فوضــع الاطار التصورى وخطة الدراسة الميدانيــة . وقد بدات الدراسة الميدانيــة بدراســـة المؤسسات المحليـــة ، ثم أجرى الحصر الشــامل للمدينـــة العماليــة . ثم طبقت دراســة الحــالة المتعمقــة عــلى العينة المختارة . وكانت الباحثــة خلال فترات العمل الميــدانى تقيم اقامة لفــترات طويلة متصــلة بابو قير ، عن كثب من المدينــة العمــالية . ولم تنقطــع صــلة البــاحثة بمجتمع الدراســة حتى المراحل النهائية لكتابة التقــرير ، التى تخللها زيارات لمجتمــع الدراسة لاســتكمال بعض البيانات أو التاكد من بعض الملاحظات .

وقد عرضت الدراسة فى بابين أساسيين يتناول أولهما الاطار النظرى والمنهجى للدراسة . ويناقش الباب الثانى نتائج الدراسة الميدانية . وقد شملت الدراســة ثمانية فصــول ، يعرض الفصــل الأول منها للاسهامات النظــرية والمنهجية فى دراســة القيم . وقد ناقشنا عــلى صفحاته تطــور الاهتمام بمفهوم القيم ، والاتجاهات الأساسية فى دراستها ، التى تضمنت كلا من الاتجاه الفلسفى والاتجاه النفسى والاتجاه الانثروبولوجى والاتجاه السوسيولوجى . وقد أوضحنــا المقصــود بمفهــوم القيــم فى كل من هذه

الاتجـاهات ، وتصنيفها وكيفيـة معالجتها منهجيا • وقد أفدنا من هذا التراث فى تطوير مفهوم القيم كما استخدمناه فى الدراسة •

أما الفصـل الثـانى من الدراسـة فيناقش الاسـهامات النظـرية فى دراسة الأسرة • ونعرض فيه لمراحل تطور الاتجاهات النظرية الخاصـة بدراسة الأسرة ، منذ مرحلة ما قبل البحث وحتى مرحلة اكتمال النظرية ، ثم عرضنا للاتجاه البنائى الوظيفى ـ باعتباره الاطار النظـرى الموجه للدراسة والتحليل ـ قضـاياه ومفاهيمه الأساسية ، ومستويات التحليـل الوظيفى لنسـق الأسرة • ثم قضـايا الوظيفية فى دراسـة الأسرة خاصة ما يتعلق منها بموضوع البحث •

ويعرض الفصـل الثالث عرضا نقديا تحليليا لمجموعة من الدراسات السابقة • وقد أمكن من خلال مناقشة نتائج هذه الدراسات تطوير فروض الدراسـة • ويختص الفصـل الرابع بمناقشة الاطار المنهجى للدراسة • فيعرض لفروض الدراسة وتعريفاتها الاجرائيـة واجراءاتها المنهجيـة • ويتناول الفصل الخامس البناء الاجتماعى لمجتمع البحث ، كتمهيد ومدخل للدراسـة الميدانيـة • ويتضمن هذا الفصـل دراسـة تفصيلية للخلفيـة التاريخية والخصائص الجغرافية والايكولوجية والاقتصادية وخصـائص السكان • ويناقش الفصل السادس نتائج الدراسة حول موضوع القيم وبناء الأسرة ووظائفها • ويشتمل هذا الفصل على محاولة لتنميط أشكال الأسرة بمجتمع الدراسة ، فى ضوء نتائج الدراسة الميدانية • ويتضمن محـاولة التنميط هذه أنماطا فرعية للأسرة الممتدة هى : نمط اعادة التكوين ، ونمط التكوين التلقائى • كما تتضمن هذه المحاولة تنميط الأسرة النووية الى نووية مستقلة ونووية معدلة • ويناقش الفصل السابع نتائج الدراسة حول موضوع القيم والعلاقات الداخلية والأدوار وتتركز المناقشة حول الثبـات والتغير فى القيم الخاصة بتوزيع الأدوار بين الزوجين ، وأنماط العـلاقات الداخلية للأسرة • أما الفصـل الثامن والأخير وموضوعه : القيم فى مجال علاقات الأسرة الخارجية (علاقات الجوار) فيناقش العوامل التى تؤثر

فى بناء جماعات الجوار بمجتمع الدراسة والوظائف التى تؤديهـا هذه الجماعات كما يتضمن الفصل استخلاصات حول قيم الجوار بين الثبات والتغير ٠

وشمل تقـرير الدراسة ملخصـا تفصيليا بأهم النتائج والاستخلاصات نعرضها فيما يلى ٠

●★●

أهم النتائج والاستخلاصات

على الرغم مما ذهبت اليه نتائج البحوث والدراسات ـ التى اهتمت بالأسرة والتصنيع ـ من حدوث تغيرات شاملة فى أنساق القيم التقليدية تحت وطأة التصنيع والتحضر ، وانعكاس هذه التغـيرات عـلى بنـاء الأسرة ووظائفها مما أدى الى تقلص هذا البناء شكلا وحجما ، فضلا عن اتجاه الأسرة نحو العزلة عن الجماعات الأولية كجماعات الاقارب والجوار ، بالاضافة الى التغـيرات الشاملة التى طرأت على بناء العلاقات الداخليـة والادوار ٠٠ عـلى الرغم من هذا جاءت نتـائج الدراسـة لتؤكد أن الخصوصية المميزة للمجتمع المصرى تجعل هذه التغيرات تحدث فى نطاق محدود ، وتتـأثر فى حدوثها ببعض الخصـائص الاجتماعية والثقافيـة والاقتصادية المميزة للأسرة كالانتماء الثقافى (ريفى ـ حضرى) والانتمـاء الطبقى ٠ ونتيجة لهذا التغير البطىء يستمر نسق القيم التقليدية محتفظا ببعض خصـائصه ومقوماته الأساسية ، ومن ثم تظهـر الانماط المتغـيرة وتستمر جنبا الى جنب مع الانماط التقليدية ، ويتاكد هذا المعنى من خلال ما طالعتنا به الدراسة من نتائج نوجزها فيما يلى :

أولا ـ شكل الأسرة :

أكدت النتـائج تعدد أشـكال الاسرة بمجتمع الدراسة ، حيث توجد الأسرة الممتدة الى جانب الأسرة النووية ، فضلا عن بعض الأشكال الفرعية التى تندرج تحت هذين الشكلين ٠ ويختلف ظهور أى من هذه الأشـكال

باختلاف الخصائص الاجتماعية والثقافية للأسرة كالانتماء الثقافى (ريفى ـ حضرى) والانتماء الطبقى ٠

وتتخذ الأسرة الممتدة بمجتمع الدراسة عدة اشكال يمكن تصنيفها فيما يلى :

١ ـ نمط التكوين التقائى :

وهو نمط يتشابه من حيث مراحل تكوينه مع الأسرة الممتدة التقليدية وينتشر ظهوره فى الطبقة الدنيا ريفية وحضرية ، وهناك نمطان للتكوين التلقائى بمجتمع الدراسة هما :

(أ) نمط التكوين التلقائى الأبوى (خط القرابة الابوى) ٠

(ب) نمط التكوين التلقائى الأمومى (خط القرابة الأمومى) ٠

وتقتصر الأسرة الريفية على تكوين النمط الأبوى بينما تتجه الأسرة الحضرية نحو تكوين كل من النمطين الأبوى والأموى ٠

٢ ـ نمط اعادة التكوين :

يتكون هذا النمط بزواج الابناء ثم انفصالهم عن أسرتى التوجيه وقيامهم فى مرحلة لاحقة باستقطاب احدى أسرتى التوجيه ويوجد نمطان لاعادة التكوين هما :

(أ) نمط اعادة التكوين الأبوى ٠

(ب) نمط اعادة التكوين الأمومى ٠

وينتشر النمط الأبوى فى الطبقتين الوسطى والدنيا ريفية وحضرية بينما يقتصر ظهور النمط الأمومى على الطبقة الوسطى الحضرية ٠

كما أكدت الدراسة على وجود أكثر من شكل للأسرة النووية يمكن تصنيفها فيما يلى :

١ ـ الأسرة النووية المعدلة :

وهو نمط تختص به الأسرة الريفية ، ويتكون بضم الأسرة النووية

لاخرين من الجماعة القرابية • ويظهر هذا النمط فى الطبقتين الوسطى والدنيا وان اختلفت العوامل التى تؤدى الى ظهوره فى كل منهما •

٢ ـ الأسرة النووية المستقلة :

ويمثل هذا النمط الشائع فى الطبقة العليا ريفية وحضرية حيث بلغت نسبة انتشاره فى الحالات المتمثلة للطبقة العليا ١٠٠٪ • كما ظهر هذا النمط فى الطبقتين الوسطى والدنيا •

وتختلف العوامل التى تؤدى الى ظهور كل من الانماط السابقة ، كما يتبـاين تاثير هذه العوامل بتبـاين الثقافة الفرعيـة للأسرة (ريفيـة ـ حضرية) والمستوى الطبقى لها • فنمط اعادة التكوين يتاثر فى ظهوره بعدة عوامل وتعد العوامل الاقتصادية هى السبب المباشر لظهوره ، حيث اتضح أن تفاقم مشكلة الاسكان ، مع ضعف امكانيات الأفراد ـ خاصة فى الطبقة الدنيـا ـ تحول دون امكانية استقلالهم بمسكن خاص بعد الزواج ، وتتم مواجهة هذه المشكلة بالرجوع الى حصيلة التراث(السبب غيرالمباشر لظهور هذا النمط) أى الى مخـزون القيـم والعـادات والتقاليـد والتجـارب الاجتماعية ، فيسترجع الناس نمط المعيشة السـابق يدعمونه ويحيـونه ويستندون اليـه فى تبرير هذا الشكل للمعيشة معا فى مسكن واحد • والى جانب مشكلة الاسكان كشفت الدراسة عن تاثير حق ملكية الأسرة للمسكن ، فضلا عن المميزات الاقتصادية التى تتحقق للابناء بالعيش فى كنف الأسرة الممتـدة باعتبـارها من العوامل الاقتصـادية التى تساهم فى تكوين هذا النمط •

ويرتبط ظهور نمط اعادة التكوين بعدة عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية • وتؤكد النتائج اختلاف تاثير هذه العوامل باختلاف نمط الاقامة ففى نمط اعادة التكوين الأبوى يظهر تاثير العوامل الاجتماعية والثقافية فالقيم والعادات الاجتماعية السائدة فى المجتمع تحتم على الأبناء ضرورة كفالة الأبوين عند الكبر • ونظرا للدور الوظيفى الذى تمارسه القيم على

سـلوك الأبنـاء ازاء أدائهم لهذا الدور ، وتحقيقا للامتثـال لهذه القيم والمعايير ، يتجه الأبناء الى استقطاب الأبوين للمعيشة معهم لتوفير الرعاية المادية والنفسية لهم خاصة فى حالات المرض وكبر السن .

ويرتبط ظهـور نمط اعادة التكوين الأمومى بعـوامل اجتماعيـة واقتصادية وتاتى العوامل الاقتصادية فى مقدمة هذه العوامل . فخـروج المراة للعمل وما ترتب عليه من تعدد أدوارها داخل وخارج المنزل أدى فى بعض الحالات الى لجوء الأسرة لاستقطاب أسرة التوجيه الخاصة بالزوجة للاضطلاع بدور الأم تجاه الأبناء أثناء ساعات العمـل . وتمارس القيم الاجتماعية والثقافيـة السائدة فى الأسرة دورا فى تكوين هذا النمط فقيم التماسك والترابط الأسرى تملى عـلى الأسرة مشـاركة الأبنـاء فى بعض أدوارهم للاقلال من الضغوط التى يتعرضون لها ومن ثم يتكون هذا النمط خاصة فى الحالات التى تسمح فيها ظروف أسرة التوجيه بذلك .

وقد دلت الشواهد الميدانية على ارتباط ظهور الأسرة النووية المعدلة بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . ويختلف تاثير هذه العوامل أيضـا باختـلاف المسـتوى الطبقى للأسرة . فبينما تمثـل العوامل الاقتصـادية أبرز العـوامل التى تؤدى الى ظهـوره فى الطبقة الدنيا ، حيث يتكون هذا النمط للاضطلاع بدور البديل عن الأسرة الأصلية لبعض الأقارب الذين يفدون من الموطن الأصلى بحثا عن فرص للعمـل بالاسكندرية . يظهر تاثير التغيرات الاجتماعية والثقافية على ظهور هذا النمط فى الطبقـة الوسـطى حيث يتكون هذا النمط بضم الأسرة لبعض الأقارب (من الاناث) الوافدين لاستكمال التعليم الجامعى .

وتسـاهم القيم الاجتماعية والثقـافية التقليدية فى دعم هذه الأنماط وتهيئة الفرصة لظهورها واستمرارها . فقيم التماسك والترابط القـرابى تملى على الأسرة احتضان هذه الفئات وتوفير الرعاية والمأوى لهـا على الرغم من وجود بعض البدائل التى يمكنها الاضطلاع بهذا الدور تجـاه هؤلاء الوافدين .

وتؤكد النتائج ارتباط ظهور الأسرة النووية المستقلة وانتشارها بالتغيرات الاجتماعية والثقافية التى يشهدها المجتمع ، وما صاحبها من انتشار قيم الاستقلال خاصة فى الطبقة العليا . هذا على الرغم من ظهور بعض العوامل التى دعمت اتجاه الأسرة نحو الاستقلال كالخصائص الايكولوجية للمسكن والتى رغم تماثلها بالنسبة لكافة الأسر ، الا ان النتائج أوضحت أنه فى ضوء الاحتياجات الخاصة بالطبقة العليا ، ونظرتها للمسكن ، وتوظيفه تصبح هذه الخصائص غير مناسبة لاستيعاب آخرين مع الأسرة وان كانت نفس هذه الخصائص قد اتاحت للأسرة فى الطبقتين الوسطى والدنيا امكانية ضم أعضاء آخرين معها حيث أمكن الاستغناء عن بعض هذه الاحتياجات فضلا عن عدم الاحتفاظ بالخصوصية المميزة فى استعمال المسكن على نحو ما لاحظنا فى الطبقة العليا .

وتختلف الوظائف التى تقدمها الأسرة باختلاف نمطها البنائى وتؤكد النتائج أن هذه الوظائف ليست ايجابية تماما، اذ توجد وظائف معوقة تنجم عن أداء هذه الانماط لوظائفها ، وقد يمتد تاثير هذه المعوقات الى المجتمع بشكل عام . فالأسرة الممتدة (نمط التكوين التلقائى) تؤدى وظيفة اقتصادية هامة لأعضائها ، فهى توفر لهم الاقامة ومن ثم يتحررون من الالتزامات المادية اللازمة لتوفير مسكن مستقل ، وبذلك يساهم هذا النمط فى التخفيف من حدة مشكلة الاسكان . ويظهر الجانب المعوق لهذه الوظيفة فيما يترتب على ذلك من انخفاض سن الزواج ومن ثم زيادة فترات الخصوبة والانجاب ، وبذلك تتفاقم المشكلة السكانية وما يترتب عليها من مشكلات اجتماعية واقتصادية تعوق خطط التنمية التى يسعى المجتمع نحو تحقيقها .

وتؤكد النتائج أن الأسرة الممتدة (نمط اعادة التكوين) من الانماط الوظيفية بالنسبة للأسرة والمجتمع . حيث يؤدى هذا النمط وظيفة أساسية تجاه أعضاء الأسرة بتوفير الرعاية النفسية والعاطفية التى تصبح مطلبا هاما وضروريا خاصة بالنسبة للأطفال فى نمط اعادة التكوين الأمومى ،

أو كبار السن فى نمط اعادة التكوين الأبوى ، خاصة وقد تأكد أن المؤسسات الاجتماعية الخاصة برعاية هذه الفئات مهما ارتقى أداؤها الوظيفى فان هذه الوظائف العاطفية والنفسية ستظل قاصرة على الأسرة ٠

ويؤدى هذا النمط وظيفة ميسرة بالنسبة للمجتمع فهو يخفف من حاجة المجتمع الى انشاء المزيد من المؤسسات الاجتماعية الخاصة برعاية كبار السن والأطفال كدور المسنين ودور الحضانة ٠ وتظهر الوظائف المعوقة للأسرة الممتدة فى تلك الصراعات الداخلية التى تنجم عن المعيشة المشتركة وتعدد الأجيال ٠٠ والتى تهدد استقرار وتوازن العلاقات الداخلية للنسق الأسرى ، وان اختلفت حدة هذا الصراع ومؤثراته باختلاف نمط الاقامة على نحو ما أوضحناه تفصيلا على صفحات الدراسة ٠

وتحقق الأسرة النووية المعدلة وظيفة ميسرة لأعضائها ، فهى توفر لهم فرص الاقامة والاستقرار والحصول على العمل (الطبقة الدنيا) وهى بذلك تؤدى وظيفة كامنة ، تتمثل فى التخفيف من حدة الصراعات والقلق النفسى الذى يتعرض له المهاجرون فى بداية قدومهم للمدينة ، حيث تختلف قيم المجتمع ومعاييره ونظمه عما هو سائد ومألوف فى المجتمعات الريفية التى وفدوا منها ، كما تؤدى الأسرة النووية المعدلة (الطبقة الوسطى) وظيفة ميسرة للمجتمع فهى فضلا عما يترتب عليها من زيادة نسبة التعليم بين الريفيات خاصة فى الحالات التى ترفض فيها قيم الأسرة وعاداتها عيش الاناث بمفردهن فى المدينة تساهم أيضا فى التخفيف من الضغوط التى تواجه المجتمع ازاء توفير المؤسسات الاجتماعية الخاصة برعاية الوافدات للتعليم كالمدن الجامعية وبيوت الشباب وغيرها ٠

ويصاحب آداء هذا النمط لوظائفه بعض الوظائف المعوقة التى تنعكس سلبيا على العلاقات الداخلية للأسرة ، فضلا عن علاقاتها تجاه الاقارب كما يصاحب انتشار هذا النمط فى الطبقة الدنيا بعض المعوقات التى تنعكس على المجتمع ، فهو يساعد على زيادة نسبة العمالة المهاجرة من

الريف للمدن وقد يترتب على ذلك كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية سواء فى المناطق التى تفد منها هذه العمالة أو التى تفد اليها ٠

من النتائج السابقة يمكننا استخلاص ما يلى :

يكشف تعدد أنماط الأسرة بمجتمع الدراسة ، فضلا عن تعدد العوامل التى تساهم فى ظهور كل من هذه الانماط ، وكذلك الوظائف التى يضطلع بها كل منها عن تباين القيم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تؤثر فى ظهورها ٠ فهناك أنماط تقليدية متوارثة قد استمدت مبررات ظهورها مما يسود الأسرة من قيم تقليدية ٠ وهناك أنماط مركبة تعد محصلة لمزيج من القيم التقليدية والمتغيرة ، فضلا عن أنماط أخرى حديثة ارتبطت فى تكوينها بما تتبناه الأسرة من قيم مستحدثة ٠

فالأنماط التقليدية المتوارثة كالأسرة الممتدة (نمط التكوين التلقائى الأبوى) استفادت فى ظهورها بما يسود الأسرة من قيم تقليدية من أهمها : قيم التماسك والترابط الأسرى والمشاركة والزواج المبكر ، والزواج القرابى ٠ فقيم التماسك والترابط الأسرى فضلا عن قيم المشاركة تهيىء الفرصة لتكوين هذا النمط حتى فى الحالات التى يكون حجم الأسرة فيها متضخما أو تكون الاسرة متضمنة لابناء آخرين بأسرهم ٠

وتدعم قيم الزواج المبكر هذا النمط ، نظرا لما يصاحب انخفاض سن الزواج من نقص فى المدخرات ومن ثم تلجأ الأسرة الى توفير الاقامة للأبناء وأسرهم التى تتكون بالزواج ٠

وتؤدى قيم العصبية دورا هاما فى استمرار ظهور النمط ، فهى تدفع الأسرة نحو توفير سبل الحماية والمأوى وغيرها من التسهيلات للابناء خاصة الذكور فهم عصب للأسرة وامتدادا لاسمها ٠

وتؤثر قيم الزواج القرابى فى ظهور هذا النمط ، خاصة بين الأسر

الريفية ، فقبول الأسرة ضم الأبناء وأسرهم يتوقف على مدى قبولهم فى الزواج من الأقارب ٠

ويعد ظهور الأسرة الممتدة (نمط اعادة التكوين الأبوى) أيضا محصلة لما يسود الأسرة من قيم تقليدية ٠ فهو يرتبط فى ظهوره بقيم تقليدية متوارثة ، من أهمها : قيم احترام كبار السن ، ومسئولية الأبناء تجاه الآباء ٠ فهذه القيم تفرض على الأبناء (خاصة الذكور) ضرورة كفالة الأبوين عند الكبر ، وتوفير الرعاية المادية والنفسية لهم ٠

وعلى الرغم مما تتعرض له الأسرة من صراع قيمى نتيجة لتكوين هذا النمط ، حيث تفرض قيم المجتمع وعاداته على الأبناء ضرورة الاضطلاع بهذا الدور ٠ مما يترتب عليه زيادة الأعباء الاقتصادية على الأسرة لتحملها نفقات معيشة الأبوين ، رغم هذه الضغوط ، فضلا عما يترتب على تكوين هذا النمط من صراعات تهدد استقرار العلاقات الداخلية للأسرة يستمر ظهور هذا النمط مما يؤكد استمرار القيم التقليدية التى تدعم ظهوره على الرغم من وجود البدائل الوظيفية التى يمكنها الاضطلاع بهذا الدور كدور المسنين ٠

وقد أشارت النتائج الى تعدد العوامل التى تساهم فى تكوين الأسرة الممتدة ، وقد ظهرت بينها عوامل مستحدثة كمشكلة الاسكان ومع ذلك فان اتجاه الأسرة للتغلب على هذه المشكلات الطارئة من خلال أشكال تقليدية متوازنة يؤكد استمرار تاثير القيم التقليدية على توجيه سلوك الأسرة ٠

ويكشف ظهور بعض الانماط عن التفاعل والتاثير المشترك بين ما يسود الأسرة من قيم تقليدية وما يرد اليها من قيم مستحدثة ٠

فالأسرة النووية المعدلة قد تاثرت فى تكوينها بهذا المركب من القيم التقليدية والمتغيرة ٠ فان كانت التغيرات التى طرأت على المجتمع قد ساعدت على انتشار ظاهرة الهجرة من المناطق الريفية الى المدن للعمل

أو التعليـم ، فقد هيـأت القيم التقليدية للمهاجرين عوامل الاسـتقرار والاستمرار فى الموطن الجديد . فقد خلقت هذه القيم التزامات قيمية لدى الأسرة تجاه الوافدين اليها فاتجهت نحو تهيئة ظروف الاقامة والمعيشـة معها مما أدى الى انتشار هذا النمط .

والأسرة الممتدة (نمط اعادة التكوين الاومومى) من الانماط التى تاثرت أيضا بهذا المركب من القيم التقليدية والمتغيرة . فقد أدت التغـيرات التى طرأت على أدوار المرأة الى ظهـور بعض المشـكلات التى ترتب عليهـا تكوين هذا النمط . وقد منحت القيم التقليدية لهذا النمط فرصة الظهور ، تلك القيم التى بمقتضاها تقبـل الأسرة تغيير اقامتهـا وطريقة معيشتها لتشارك الابناء بعضا من أدوارهم لتخفيف ما يمكن أن يترتب على تعدد هذه الأدوار من مشكلات .

والخلاصة أن ظهور هذه الأنماط واستمرارها بمجتمع الدراسة يؤكد أن القيم التقليدية قد تستعيد قوتها من جديد مستفيدة فى ذلك بما يشهده المجتمع من تغيرات . فهى تظل كامنة الى أن تتاح لها فرصة الظهور ، أى أنها تتراوح بين الكمون والانتشار وفقا للمتطلبات والظروف التى يمر بها المجتمع بشـكل عام والنسق الأسرى بشكل خاص . وهذا بدوره يؤكد أن القيم التقليدية ليست معوقة للتغير والتقدم دائما بل قد تمده أحيانا بعوامل التحقق والاستمرار .

ويكشف انتشـار الأسرة النووية المستقلة بالطبقة العليـا عن ظهـور اتجاهات واضحة نحو التغير ، وان كان هذا التغير قد اتسم بطابع خاص ومتميز . اذ لم يصاحب استقلال الأسرة عن الأقارب مكانيا ومعيشيا ظهور اتجاهات مماثلة نحو العزلة عنهم . فقد استمر تاثير التماسك والترابط التقليدى . الذى انعكس فى ظهور مواقف متعددة تحرص الأسرة من خلالها على دعم روابط القرابة والاتصال . هذا فضـلا عما أوضحناه من صـور الترابط والاتصال التى لم تقتصر على مجرد تبادل الزيارات بل ظهـرت

صور متعددة للعون المادى النقدى والعينى .. كما أوضحت الدراسة أن اتجاه الأسرة نحو العزلة عن الأقارب قد يحدث أحيانا بتأثير الخبرات السلبية التى تتعرض لها الأسرة من العلاقة بالأقارب فضلا عن تناقص الامكانيات المادية لدى بعض الأسر مما يحول دون الاتصال الدائم خاصة فى حالة بعد الموطن الأصلى للعائلة الأم .

وتؤكد الدراسة أن اتجاه الأسر نحو تكوين أى من هذه الأنماط التقليدية أو المستحدثة ، أو المركبة يرتبط ارتباطا مباشرا بنمط الثقافة الأصلية للأسرة (ريفية ـ حضرية) وكذلك بالانتماء الطبقى لها حيث ظهر تأثير الثقافة الفرعية للأسرة من خلال تمسك الأسرة الريفية بالقيم التقليدية المحافظة ، واتجاه الأسرة الحضرية نحو تبنى قيم متغيرة . وقد تأكد ذلك من خلال النتائج التالية :

■ أظهرت جميع الأسر الريفية (الطبقة الدنيا) اتجاها واضحا نحو تكوين الأسرة الممتدة التلقائية وقد ظهر هذا ملموسا فى الأسر التى بها أبناء متزوجون ، كما انعكس فى الاتجاهات المستقبلية للأسر التى لم يتزوج أبناؤها بعد .

■ فى الحالات التى رفضت فيها الأسرة تكوين هذا النمط التقليدى (الأسرة الممتدة التلقائية الأبوية) فان هذا الرفض رجع أساسا الى تخلى الأبناء عن قيم الأسرة التقليدية وبشكل خاص قيم الزواج القرابى .

■ تنتشر الأسرة النووية المعدلة (التى تضم الأقارب) بين الأسر الريفية وان كان هذا نتيجة حتمية للبعد المكانى بين الأسرة الريفية وموطن العائلة الأم ، الا أنه مؤشر دال على استمرار قيم القرابة والتماسك الأسرى التقليدى ، تلك القيم التى تجعل الأسرة تقبل مشاركة آخرين معها فى المسكن على الرغم من وجود البدائل المتاحة لاقامتهم خارجها .

■ تتجه الأسرة الريفية نحو تكوين أسر ممتدة أبوية دعما لقيم العصبية

التقليدية ، بينما تتجه الأسرة الحضرية نحو تبنى قيم متغيرة مما أدى الى ظهور الأسر الممتدة الأمومية بينها .

■ تظهر الأنماط المتأثرة بالقيم المتغيرة بين الأسر الحضرية دون الريفية ومنها على سبيل المثال الأسرة الممتدة (نمط اعادة التكوين الأمومى) التى اقتصر ظهورها على الأسر الحضرية دون الريفية .

كما أكدت النتائج على وجود علاقة طردية بين المستوى الطبقى للأسرة والاتجاه نحو التغير . وقد ظهر هذا من خلال اتجاه الطبقة الدنيا نحو تكوين الأنماط التقليدية كالأسرة الممتدة التلقائية (الأبوية الاقامة) . بينما اتجهت الطبقة الوسطى نحو الجمع بين التقليدية والتغير ، وقد اتضح ذلك من خلال اتجاهها نحو تكوين أنماط تقليدية كاعادة التكوين الأبوى فضلا عن الانماط المستحدثة كاعادة التكوين الأمومى ، بالاضافة الى ظهور أسر نووية مستقلة فى هذه الطبقة أكدت حرصها على الحفاظ على هذا الشكل وعدم الاتجاه نحو تكوين الأنماط التقليدية مستقبلا .

وتتجه الطبقة العليا نحو تبنى قيم الاستقلال والفردية وقد ظهر هذا كما أوضحنا فى انتشار الأسرة النووية المستقلة بينها بنسبة ١٠٠٪ .

ثانيا ـ حجم الأسرة :

تؤكد الدراسة أن استمرار تأثير القيم التقليدية على بناء الأسرة لم يقتصر على شكلها فحسب بل انعكس على حجمها أيضا . اذ تبين أن هناك تفاوتا ملحوظا فى حجم الأسرة بمجتمع الدراسة على الرغم من انتماء هذه الأسر الى التصنيع ، واستقرارها بمنطقة حضرية منذ فترة زمنية طويلة ، فليس هناك اتجاه نحو معدل ثابت أو متقارب للانجاب بين هذه الأسر بشكل عام وانما يتأثر هذا الحجم تأثرا مباشرا بما بين هذه الأسر من اختلافات ثقافية (ريفية ـ حضرية) وأخرى طبقية . فقد أكدت الدراسة أن نمط الثقافة الأصلية للأسرة (ريفية ـ حضرية) ينعكس بوضوح على حجمها فى كافة المستويات الطبقية ـ فالأسرة الريفية بما تعتنقه من

قيم وعادات وتقاليد تعطى أهمية كبرى للانجاب وانجاب الذكور بشكل خاص ، وبالتالى فهى تظهر معدلات عالية للانجاب تفوق مثيلتها من الأسر الحضرية . فقد بلغ متوسط الانجاب فى الأسرة الريفية ١ر٥ طفلا ، فى حين انخفض هذا المتوسط فى الأسرة الحضرية الى ٢ر٣ طفلا .

وتتقارب اتجاهات الأسرة الحضرية فى الطبقة الدنيا نحو الانجاب مع الأسرة الريفية بشكل عام . فقد أظهرت هذه الأسر (الدنيا الحضرية) معدلات عالية للانجاب بلغت ٢ر٤ طفلا ، فى حين انخفضت هذه النسبة بين الطبقتين العليا والوسطى الحضرية الى ٥ر٢ طفلا .

وتؤكد نتائج الدراسة صدق العلاقة الطردية بين حجم الأسرة والمستوى الطبقى لها . فقد وصل متوسط الانجاب فى الطبقة الدنيا (ريفية وحضرية) ٢ر٥ طفلا ، فى حين انخفض هذا المتوسط فى الطبقة الوسطى الى ٤ر٣ طفلا بينما لم يتعد هذا المتوسط فى الطبقة العليا أكثر من ثلاثة أطفال .

وتشير النتائج الى أن ارتفاع حجم الأسرة فى الطبقة الدنيا يرجع الى عدة عوامل من أهمها : القيمة الاقتصادية للطفل ، ومدى امكانية مساهمته فى اقتصاديات الأسرة منذ سن مبكرة ، ومدى ما تنفقه الأسرة فى تربية هؤلاء الأبناء . فضلا عن تأثير بعض القيم الثقافية والدينية الخاطئة ، والخوف من وفيات الأطفال . وفضلا عن هذا يتأثر حجم الأسرة فى الطبقة الدنيا بقيم العصبية . والانجاب التقليدية تلك القيم التى ظهر تأثيرها واضحا فى كافة المستويات الطبقية . اذ تبين أن سيطرة واستمرار القيم التقليدية التى تشجع على الانجاب وانجاب الذكور بشكل خاص وتضفى على المرأة الولود مكانة اجتماعية أعلى لها تأثير فى كافة المستويات الطبقية . وقد تأكد ذلك من خلال ظهور أسر كبيرة الحجم فى الطبقتين العليا والوسطى خاصة الريفية فضلا عن الطبقة الدنيا (ريفية وحضرية) .

نستخلص من النتائج السابقة أن تأثير القيم التقليدية على حجم الأسرة يسير جنبا الى جنب مع القيم المتغيرة فهناك اتجاهات واضحة نحو التغير

ظهرت فى احتفاظ بعض الأسر بمعدل منخفض للانجاب . فضلا عما أشرنا اليه من اتجاه البعض الآخر نحو انجاب عدد كبير وفى كل الحالات كانت التأثيرات الثقافية والطبقية على حجم الأسرة واضحة .

العلاقات الداخلية والأدوار :

دلت الشواهد الميدانية على أن توزيع الأدوار والعلاقات الداخلية للأسرة تتشكل من خلال مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما أكدت الدراسة أن تأثير هذه العوامل يتباين بتباين الانتماءات الثقافية للأسرة (ريفية ـ حضرية) والانتماءات الطبقيةلها . فضلا عن الخبرات الخاصة التى اكتسبتها الأسرة والتى تنعكس بوضـوح على بناء العلاقات وتوزيع الأدوار داخل الأسرة .

وتتمثـل العوامل الاقتصـادية فى أربعـة عوامل أساسية كشفت عنهـا الدراسة الميدانية وهى ترتبط ارتباطا مباشرا بالتصنيع . أول هذه العوامل هو : نظام نوبات العمل (الورديات) فقد صاحب هذا النظام التغيب غير المنتظم لرب الأسرة ممـا أدى الى حدوث تبـاعد بين الأب والأبنـاء من ناحية ، والزوجة والزوج من ناحية أخرى . وبذلك تناقصت فرص التفاعل بينهم . ومما ساعد على تفاقم هذه المشكلة أن الغالبية العظمى من أرباب الأسر اتجهت نحو الجمع بين عملهـا بالمصنع وأعمال اضافية أخرى غير منتظمة ، وبذلك أصبح تغيب الأب عن الأسرة شبه دائم ، مما أدى الى تركز العلاقات بين الأم والأبناء وتحملت الزوجة القيام بالدور القيـادى كاملا تجـاه الأسرة . بينما أصبح دور الزوج قاصرا على أدواره الوسيلية التى اكتفى من خلالها بتحقيق المتطلبات المادية للأسرة .

وثانى هذه العوامل هو الأمراض المهنية التى تنتشر بشكل واضح فى الطبقة الدنيا حيث كشفت النتائج عن انتشار الأمراض الصدرية كالحساسية الصـدرية وضيق التنفس والسـل الرئوى بين معظـم أرباب الأسر الذين يعملون بصناعة الغـزل والنسيج ، وقد صاحب انتشار هذه الأمراض بين

أرباب الأسر حدوث تغيرات فى توزيع الأدوار والعلاقات الداخلية للأسرة تماثل تلك التغيرات التى صاحبت نظام نوبات العمل • حيث أدى مرض رب الأسرة الى استغلال معظم أوقات الراحة من العمل فى النوم • كما لجأت الزوجة فى بعض الأسر الى ممارسة بعض الأنشطة المنزلية لتعويض بعض الفاقد نتيجة لمرض الزوج الذى صاحبه فى معظم الحالات استغناء رب الأسرة عن العمل الاضافى حيث لا تتيح الحالة الصحية المتدهورة للعامل ممارسة أكثر من عمل • وقد أدى ذلك الى تركز الأدوار القيادية أيضا فى يدى الزوجة وانحسر الدور القيادى للزوج بشكل شبه عام •

وتؤكد النتائج أن الحراك المهنى والاجتماعى الذى حققته الصناعة للأسرة أدى الى تحسن الأحوال المعيشية للأسرة • كما حرر هذا الحراك الأسرة من بعض المؤثرات السلبية (سكنى الشرك) التى كانت تنعكس على العلاقات الداخلية للأسرة فى المرحلة السابقة ، ومن ثم بدأت العلاقة بين الزوجين تأخذ طابعا ايجابيا فأصبحت الزوجة تمنح فرصة المشاركة فى اتخاذ الرأى والقرارات الهامة التى تخص الأسرة •

كما أوضحت النتائج أن انتشار ظاهرة خروج المرأة للعمل أدت الى حدوث تغيرات مصاحبة فى توزيع الأدوار داخل الأسرة ، وقد انعكس هذا التغير على أدوار الزوجة ففى بعض الحالات ازدادت هذه الأدوار وتعددت حيث أضيف الى دور الزوجة التقليدى كأم وربة منزل دورها فى العمل خارج المنزل • وفى بعض الحالات تناقصت هذه الأدوار حيث لجأت الأسرة الى الاستعانة ببعض المؤسسات أو الجماعات (الأقارب والجيران) ، التى تشارك الزوجة بعضا من أدوارها التقليدية •

والى جانب العوامل الاقتصادية السابقة أكدت الدراسة أن نمط الثقافة الأصلية للأسرة (ريفية - حضرية) وأساليب التنشئة الاجتماعية التى يتعرض لها الزوجان فى أسرة التوجيه قبل الزواج • بالاضافة الى الخبرات الخاصة التى يكتسبها الأفراد من خلال حياتهم ، هذه العوامل الاجتماعية

والثقافيــة تمارس تأثيرا واضحــا أيضــا على أســلوب توزيع الأدوار بين الزوجين في الأسرة فإما أن تدفعها نحو التغير أو تتجه بها نحو الاحتفاظ بطابعها التقليدى ٠

ونتيجة لتعدد هذه المؤثرات فضلا عن اختلاف تأثيرها باختلاف الطبقة والثقافة الأصلية للأسرة ظهرت ثلاثة نماذج لتوزيع الادوار والعلاقات بين الزوجين فى الاسرة ٠

فهناك بعض الأسر التى اتسمت أدوار الزوجين فيها بطابع تقليدى فاقتصر أداء الزوجة على الأدوار التعبــيرية التقليــدية كأم وربة منزل ، واستمر الزوج يمارس أدواره بأسلوب نمطى تقليدى ٠ فهو يقوم بالأدوار الوسيلية لتوفير الاحتيــاجات المادية للأسرة ويحتفظ بجانب من الأدوار القيــادية تجاه الأسرة ٠ وفى بعض الأسر يتجه الزوج الى ممارسة دوره القيادى بتحكم وشدة وقد لا تمنح الزوجة حق اتخاذ القرار ٠ وقد ظهر هذا بشكل خاص فى معظم الأسر الريفية المهاجرة من صعيــد مصر بكافة مستوياتها الطبقية ٠

كمــا كشفت الدراسة عن نموذج آخر أكثر تغيرا اتسم توزيع الأدوار فيه بطابع ديمقراطى حيث تشارك الزوجة فى بعض الادوار الوسيلية من خلال التحاقهــا بالعمــل ومساهمتها فى توفير بعض الاحتيــاجات المادية للأسرة ٠٠ وفى هذا النموذج أيضا لم تتخل الزوجة عن أدوارها التقليدية وان كانت هنــاك بعض الحالات التى لجأت للاستعانة ببعض المؤسسات والجمــاعات فى أداء بعض من هذه الادوار ٠ والى جانب هذا يتقاســـم الزوجان الأدوار القيادية تجاه الابنــاء ، وتشارك الزوجة بقدر واضح فى اتخاذ القرارات الخاصة بالأسرة ٠

أما النموذج الثالث والأخير الذى كشفت عنه الدراســة فهو يكشف عن اتجاه ملحوظ نحو التغير ٠ فقد اقتصر دور الزوج على أدواره الوسيلية ، وانحصر دوره القيادى ، وتركزت هذه الأدوار على الزوجة ٠ وهناك أسر

نجحت فيهـا الزوجة تماما فى أداء هذه الادوار ، وأخرى اخفقت فيهـا الزوجة بشكل تام وفى كلتا الحالتين انعكس تاثير هذا على الأسرة سـلبا أو أيجابا .

نستخلص مما سبق أن توزيع الأدوار فى الأسرة سواء كان يتسم بطابع تقليدى محافظ ، أو يتجه نحو التغير والتحرر ففى الحالتين لا يمكن أن نرجع هذا التغـير الى التصنيع وما ترتب عليـه من تغيرات . فالأسرة بمجتمع الدراسـة تنتمى الى القطـاع الصناعى ، وتشترك فى كثـير من الخصائص الاقتصادية ومع ذلك فهى تعكس تباينا واختلافا واضحا فى بناء العلاقات الداخلية والأدوار . مما يؤكد أن هذه الأدوار لا تتشكل من خلال العـوامل الاقتصـادية وحدها بل أنهـا تتـأثر فى تشكيلها بالخصـائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة ، لذلك يصعب تغييرها بشكل تام حيث تهىء المؤثرات الاجتماعيـة والثقافية استمرار تأثير بعض العنـاصر التقليديةعلى بناءالعلاقات والأدوارالداخلية رغم مايطرأ عليهامنتغيرات.

العلاقات الخارجية للأسرة (علاقات الجوار) :

أكدت الشـواهد الميدانيـة على استمرار جماعات الجوار بمجتمـع الدراسة كما أكدت النتائج إن هذه الجماعات ليست مستمرة كبناء فحسب بل انها تؤدى العديد من الوظائف على الرغم من ظهور بعض التغيرات التى طرأت على العوامل المؤثرة على أبنية هذه الجماعات ، فضلا عن ظهور بعض الوظائف الجديدة التى حدثت بتـأثير التغـيرات الاجتماعية للمجتمع بشكل عام .

وقد كشفت الدراسة عن عدة عوامل تتشكل من خلالها هذه الجماعات ويمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلى :

■ الخصـائص الايكولوجية المميزة للمدينة العمالية من حيث الموقع والقرب أو البعـد عن المجتمع الخـارجى . والعقم الايكولوجى الداخلى

فقـد ساهمت هذه الخصـائص فى خلق أنماط شتى من العلاقات وصـور التفاعل الاجتماعى بين الأسر المكونة لهذه الجماعات .

■ العوامل الاجتماعية والاقتصـادية ، وأهم هذه العوامل الطبقة ، والانتماء الى نفس المصنع ، وعمـالة المراة خارج المنزل ، والانتماء الى التنظيمات النقابية . فقد ساهمت الطبقة ، والانتماء لنفس المصنع على سبيل المثـال فى اتجاه الأسرة نحو دعم علاقاتها بالأسر التى لهـا نفس الخصـائص كما أدت عمالة المرأة ، فضلا عن انتماء أرباب بعض الأسر للتنظيمات النقابيـة الى اتجـاه هذه الأسر نحو الحفـاظ على العلاقات الايجابية بالأسر المجاورة لها ، والتى قد تحقق لها بعض المميزات كرعاية أبناء الزوجة العاملة ، وتأييد العمال للنقابيين داخل المصنع .... الخ .

■ وتسـاهم العـوامل الثقافيـة فى تحقيـق التكامل بين الأسر المكونة لجماعات الجوار . حيث أدى التماثل الثقـافى (ريفى – حضرى) الى تحقيق التآلف والترابط بين الأسر التى لهـا نفس الخصائص ، مما دعم استمرار هذه الجماعات . كما هيأت الاختلافات الثقافية الفرصة لتحقيق قدر من التكامل بين الأسر غير المتماثلة ثقافيا ومن ثم اتجهت نحو الحفاظ على روابط الجوار مما أدى الى استمرار هذه الجماعات .

وتحقق جماعات الجوار عدة وظائف ، وأهم ما تحققه من وظائف اجتماعية يتمثـل فى التضامن الاجتماعى الذى تحقق بين هذه الجماعات والذى ينعكس فى مواقف متعددة كالزواج والوفاة والمرض ..... الخ .

كما تؤدى جماعات الجوار وظيفة اجتماعية هامة تساهم فى الحفـاظ على استقرار وتوازن العلاقات داخل المجتمع المحلى (المدينـة العمالية) بشكل عام . وهى وظيفة الضبط الاجتماعى التى ترتبط بالبناء الطبقى المتمايز للأسر المكونة لجماعات الجوار . فضـلا عن الروابط والعـلاقات التى تربط بين اربابها فى مجال العمل .

وتؤكد الشـواهد الميدانيـة أن الوظائف الاقتصادية التى تقوم بهـا

جمـاعات الجوار ترتبط ارتباطا مباشرا بمـا بين هذه الأسر من تباينات مهنية . فتدرج المكانة المهنية لأرباب هذه الأسر يتيح لمن يشغل مكانة مهنية عليا تحقيق بعض الوظائف الاقتصادية لمن يشغل وضعا أدنى على السلم المهنى ، وهم فى مقابل ذلك يتلقون بعض الخدمات التى ترتبط بما لدى هؤلاء من مهارات عملية .

وتظهر أهم الوظائف الاقتصـادية لجماعات الجوار فى تشغيل أبنـاء العمـال بالمصـانع ، وتخفيف بعض الأعباء المادية عن كاهل الأسرة بحل بعض المشكلات المالية التى تؤدى الى استنزاف جزء من دخل الأسرة على نحو ما أوضحنا .

وتؤكد النتائج آداء جماعات الجوار لبعض الوظائف النفسية الهامة حيث تبين أن وجود زملاء فى نطـاق الجوار يمد العـامل بالدعم النفسى والشعور بالحماية ازاء ما يعترضه من مشكلات داخل المصنع . كما تساهم علاقات الجـوار المهنيـة فى التخفيف من حدة القلق والتـوترات التى تتعرض لها الأسرة فى حالة حدوث اى ظروف طارئة لرب الأسرة فى نطاق العمـل فالجـار يكون بمثابة حلقة الوصـل بين العامل بمصنعه وأسرته فى نطاق الجوار .

وتقوم جماعات الجوار بوظيفة ثقافية هامة فهى تساعد على اعادة افراز ونشر المعتقدات والقيم والعادات التى تجلبها الأسرة من موطنهـا الأصلى فالتماثل الثقافى بين الأسر ذات الانتماء الثقافى الواحد تدعم هذه المعتقدات والعادات ، ومن ثم يستمر تاثيرها . كما أن التباين الثقـافى بين الأسر المكونة لهذه الجمـاعات يؤدى الى تبادل وانتقـال بعض هذه المعتقدات والعادات مما يساعد على استمرارها .

وفضلا عن الوظائف الميسرة لهذه الجماعات كشفت الدراسة عن بعض الوظائف السلبية التى ترتبط أيضـا بالبناء الطبقى والمهنى المتباين لهذه الجمـــاعات والذى تحققت للأسرة من خلاله بعض الوظائف الميسرة .

وتتمثل أبرز هذه الوظائف فيما يترتب على هذا التبـاين من صراعات تنعكس على مستوى العلاقات الداخلية للأسرة ، فضـلا عن علاقتها على مستوى المجتمع المحلى بشكل عام على نحو ما أوضحنا .

مما سبق يمكننا استخلاص ما يلى :

■ ان استمرار جماعات الجوار كبناء ووظائف يعد مؤشرا للخصوصية الثقافية المميزة للأسرة المصرية بشكل عام . حيث تعددت المؤشرات النظرية التى تؤكد حتميـة اختفـاء هذا النمط من الجماعات الأولية تحت وطأة التصنيع والتحضر اذ تحل قيم الفردية والانعزالية والاستقلال محل القيم التقليدية كقيم التماسك والتضـامن والمشـاركة مما يصاحبه اندثار هذه الجماعات فى المجتمعات التى تعتمد على التصنيع .

كمـا يكشف استمرار هذه الجماعات بمجتمع الدراسة عن تأثير هذه الجماعات بناءا ووظائف بمركب من القيم التقليـدية والمتغـيرة . فالقيم الثقافيـة الدينيـة التى تحض على معاملة الجوار والتى تمثل أحد القيم التقليدية التى تؤثر فى بناء هذه الجماعات بالمجتمعات التقليـدية تمارس تأثيراتها على بناء هذه الجماعات حيث تحرص الأسرة على الحفاظ على العلاقات الايجابية بالأسر المجاورة لها فى المسكن . وفضلا عن هذا فان صور التضامن الاجتماعى خاصة بين الأسر المتماثلة طبقيا والتى لا تتحقق من العـلاقات معها مصلحة ما تؤكد استمرار تأثير هذه الجماعات بالقيم التقليدية . كما تظهر القيم المتغيرة من خلال تأثيرات الطبقة ، والعمـل وعمـالة المرأة على بنـاء هذه الجماعات فضـلا عن صور التضامن بين الجماعات المتباينة طبقيا والتى تهدف أساسا الى تحقيق مصلحة ما .

وتؤكد هذه النتائج أن استمرار هذه الجماعات ليس وليد القيم المتغيرة فحسب على نحو ما أكدت الدراسات السابقة .

وفى الختـام تكشف مناقشتنا لنتائج الدراسة أن الأسرة رغم ارتباطها المباشر بالتصنيع وما ترتب عليه من متغيرات كالحراك المكانى (للاسرة

الريفية بشكل خاص) . والحراك الاجتماعى لجميع الأسر حيث توفرت لها عن طريق الصناعة فرصة الاستقلال بمسكن خاص . فضلا عن الحراك المهنى الذى ينعكس فى وجود هذه الفئات المتدرجة للعمال داخل الفئة الواحدة كالعمال العاديين والمتدرجين (من ملاحظى العمال ومشرفى الورديات ... الخ) فضلا عن المتغيرات الاقتصادية التى ارتبطت ارتباطا مباشرا بالتصنيع ، رغم هذه المتغيرات فمازال بناء الأسرة شكلا وحجما وعلاقاتها الداخلية والخارجية تعكس تاثيرات القيم التقليدية واستمرارها جنبا الى جنب مع ما اكتسبته الأسرة من قيم متغيرة .

وتؤكد هذه النتائج الخصوصية المميزة للثقافة المصرية كما تتفق هذه النتائج وطبيعة مرحلة النمو الاقتصادى للمجتمع وهى على نحو ما أسلفنا مرحلة انتقالية لم يصل فيها المجتمع المصرى بعد الى ما حققته المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ومن ثم تختلط فيه الأنماط التقليدية بالأنماط المتغيرة ويستمر البناء الاجتماعى محتفظا ببعض خصائصه التقليدية ومقوماته الأساسية رغم تغير بعض النظم وأنماط السلوك وأشكال العلاقات .

وتبرز هذه النتائج أهمية استخدام القضايا النظرية التى تبلورت عن اتجاه التطور الاجتماعى الثقافى ، فقد تناول هذا الاتجاه التغير بمعنى التقدم التكنولوجى ونتائجه . فاهتم اهتماما مركزا بتحليل انماط التغير الاجتماعى وعوامله ونتائجه بشكل لم يظهر بوضوح لدى أصحاب الاتجاه الوظيفى . ويذهب هذا الاتجاه الى أن هناك تغيرا يحدث عن طريق الاتصال ، وآخر يحدث عن طريق الاستمرار . ويتشابه النمط الأخير مع ما كشفت عنه الدراسة من نتائج ، فالعناصر الثقافية تمارس دورا هاما فى تحديد كثير من القيم والعادات وأنماط السلوك فالتغير هنا تغيرا متراكما وهو كما ذهب أصحاب اتجاه التطور الاجتماعى الثقافى لايعنى الغاء القديم من أجل الجديد أو المتغير . ويتدعم هذا الاستمرار من خلال العادات الاجتماعية التى يجد الأفراد من خلالها حلولا جاهزة لبعض المشكلات . كما يتدعم الاستمرار من خلال ميل الأفراد الى التمسك بالممارسات

التقليدية المألوفة ، وبذلك لا يكون التغير تغيرا شاملا ، لكنه تغير يقـوم على الاستمرار ٠

ومن خلال هذه النتائج يمكن القول بأن هناك حاجة الى اعادة النظر فى بعض القضايا النظرية التى طورها الاتجاه الوظيفى فى معالجة التغير الاجتماعى فى ضوء ما يقدمه الواقع من نتائج ، وربما يمكن تحقيق هذا من خلال مزيد من الدراسـات الامبيريقية ٠ وربما يكون استخدام اطارا تكامليا يعتمد على المزاوجة بين أكثر من اتجاه نظرى أحد الحلول التى يمكن من خلالها استيعاب ودراسة كافة عناصر البناء الاجتماعى ٠



الفصل الرابع

نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان(*)

مشـــكلة البحث :

تمثل القرابة أهم النظم الاجتماعية فى أى مجتمع تقليدى ، ولا عجب فى ذلك أن حظى هذا النظام بأكبر قدر من الدراسات الانثروبولوجية ، كما خصه الباحثون فى هذا العلم بكم هائل من التحليـلات والتغيرات . وقد كشف لنا كل ذلك أن القرابة هى محور البناء الاجتماعى فى هذا النوع من المجتمعات . وهى متداخلة تداخلا حيا وفعالا مع بقية انساق هذا البناء .

معنى ذلك أن أى باحث يحاول أن يفهم طبيعة العلاقات فى أى مجتمع تقليدى ، فعليه أن ينطلق أولا من فهم النظام القرابى فى هذا المجتمع ، ســواء كان سيتناول النسق السياسى أو الاقتصادى أو غير ذلك . ويؤكد رادكليف براون من دراسته للقبائل الافريقية مدى الدور الذى تلعبه القرابة فى حياة هذه الشعوب . فالزائر لهذه المجتمعات لا يستطيع أن يفسر الكثير من العــادات والظواهر السلوكية التى يصادفها الا اذا توصـل الى فهم لطبيعة القرابة ودورها هناك .

وقد سبق أن أشار الدكتور أحمد أبو زيد فى الجزء الثانى من كتــابه «البناء الاجتماعى» الى أهمية دراسة القرابة كعــامل هام ومؤثر لفهم طبيعة المجتمعات ذات الثقافة البسيطة والمتميزة . وقد نوه هو ـ مثلا ـ

(*) عرض لرســالة الماجســتير التى تقدمت بهــا الدكتــورة نجوى عبد الحميد ســعد الله الى قسم الاجتماع بكلية بنات عين شمس ، تحت اشراف الأستاذة الدكتورة علياء شكرى ، وأجيزت عام ١٩٨١ .

فى دراسته لقبائل اولاد على فى الصحراء الغربية الى ندرة الدراسات التى اجريت عن هذا الموضوع ، وهو دراسة القرابة ، رغم ما له من أهمية لفهم هذه المجتمعات . كما يرجوا من الباحثين أن يضعوا نصب أعينهم هذا الموضوع حتى نستطيع أن نصل الى وضع نظرية عامة للقرابة فى تراثنا الانثروبولوجى الذى يفتقر اليها .

والدراسة الحالية تمثل اسهاما فى دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية المصرية والافريقية على السواء . اذ تصدت لدراسة أهم نسق اجتماعى لدى ثلاث مجتمعات اثنية متميزة فى منطقة أسوان : المجتمع الأول مجتمع حضرى مستقر وقديم هو مجتمع مدينة أسوان . والمجتمع الثانى مجتمع اثنى متميز من النواحى السلالية والاجتماعية والثقافية هو مجتمع النوبة . والمجتمع الثالث مجتمع بدوى متميز أيضا من كافة النواحى خاصة النواحى السلالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . والجماعات الاثنية المتميزة رغم اختلافها الكبير تتجاور فى منطقة واحدة ، وتختلط ببعضها ، وتتبادل العلاقات فيما بينها احيانا ، وهى قبل هذا وبعد هذا مجتمعات مصرية تعيش على أرض مصر .

اما عن سبب اختيار منطقة أسوان لهذه الدراسة ، فيرجع الى الحقيقة الأولية العامة وهى تجاور هذه الأنماط المتميزة اجتماعيا وسلاليا واقتصاديا فى نفس الوقت . ويرجع أيضا الى حقيقة أخرى على نفس الدرجة من الأهمية هى أن تلك البقعة من أرض الجمهورية قد تعرضت أكثر من سواها من محافظات مصر للتغير العنيف والسريع خلال العشرين عاما الماضية ، وأصبحت تتجه بخطى سريعة نحو التقدم والتنمية وكانت شرارة هذا التغير وبذرته الأولى قيام مشروع السد العالى ، وما تبعه من مشروعات وتطورات على هيكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالى على الحياة الثقافية .

وقد لفت هذا التغير السريع انتباه المسئولين الى ضرورة اعادة

تخطيط المنطقة وتنمية مواردها البشرية والمادية بصورة تتلاءم مع هذا التقدم ٠ ولكى تكون خطة التنمية موجهة الى خدمة جميع السكان فى منطقة أسوان على اختلاف أنماطهم ، ينبغى أن تتوفر لدى القائمين على التخطيط صورة وصفية دقيقة لنوعية الحياة الاجتماعية للتجمعات السكانية المختلفة بمنطقة أسوان ٠ ولن يتسنى هذا الا من خلال البحوث والدراسات الانثروبولوجيــة الاجتماعيــة والثقافية لهذه التجمعــات التى تقودنا الى الالمام الواضــح بنمط الحيــاة فيها ونوعية العلاقات الاجتماعية والشــكل البنائى الاجتماعى فهذه المعرفة هى التى تستطيع أن توجهنا الى الوسيلة الملائمة لتنمية هذه المجتمعات البسيطة ٠ ولا بد أن يضع المسئولون عن التخطيط هذه الاعتبارات نصب أعينهم دائما قبل أى مشروع ٠

ومن ينظر الى الخريطة الطبيعية والثقافية لمنطقة أسوان سوف يجد أنها تشتمل على هذه الجماعات السكانية المتميزة الثلاث التى أشرنا اليها : النوبيون ، والبدو ، وأهل المدينة (السكان الحضريون) ٠

فاذا نظرنا الى النوبيين بصفة عامة نجد أنهم كانوا يقطنون المنطقة الممتدة من شمال السودان الى «الدكة» و «قورته» جنوب أسوان ٠ وقد خضعت هذه الجماعات لتاثيرات ثقافية وسلالية من مصر والسودان ، فضلا عن تعرضها لبعض هجرات قبائل البجة من الصحراء ٠ ولقد كان لظروف بناء خزان أسوان سنة ١٩٠٢ وارتفاع منسوب المياه جنوب الخزان ، أن أدى ذلك الى هجرة بعض هذه الجماعات شمال الخزان ، واستوطنت فى منطقة أســوان ٠ وكان لتعليته سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٣٣ أثر فى غرق جزء من بلاد النوبة ٠ وأدى ذلك الى هجرة النوبيين ، بالاضافة الى أن ظاهرة الهجرة يتميز بها المجتمع النوبى منذ العصور الفرعونية ، فالمجتمع النوبى مجتمع طارد بسبب ضعف الأرض وقلة الموارد ووجوده الى جوار الوادى الخصيب ٠ وكان قسم كبير ممن يهاجرون ينتقلون الى الاقامة فى مدينــة أسوان وغيرها للعمل والرزق ٠

أما قرية غرب أسوان بالذات (التى تمثل العينة النوبية فى الدراسة) فهى عبارة عن مجتمع نوبى تم التهجير اليه من النوبة القديمة منذ التعلية الأولى لخزان أسوان ، وبعدها لم تتعرض لهجرات بصورة واضحة مما ميزها عن غيرها من التجمعات النوبية الموجودة فى منطقة أسوان ٠كما يلاحظ أن الجماعات النوبية الجديدة المستقرة فى منطقة كوم أمبو قد نالت حظا وافرا من الدراسة من كافة الهيئات العلمية والحكومية ٠ أما النوبيون فى قرية غرب أسوان فلم ينالوا مثل هذا الحظ ، ولم يسبق دراستهم الا بواسطة الباحث الألمانى الكبير هانز الكسندر فينكلر فى الثلاثينات من هذا القرن ، والدراسة التى أشرف عليها الدكتور محمد الجوهرى عن : بعض ملامح التغير فى مجتمع غرب أسوان ٠ وقد أشار فيها الدكتور الجوهرى الى أن الوقت لم يكن يتسع للقيام بدراسة النسق القرابى نظرا لظروف البحث وقصر مدته وضيق امكانياته ٠

أما عن تجمع بدو العبابدة والبشارية (الذين يمثلون العينة البدوية فى الدراسة) فلم يتعرض أحد من قبل لدراسة النظام القرابى عندهم ٠ وهم سكان بدو يعيشون حول مدينة أسوان وفى الصحراء الشرقية فى جزئها الجنوبى ٠ ولقد تعرضت منطقة الصحراء الشرقية عبر العصور التاريخية لهجرات من جماعات «البجة» والى هجرات عربية من بنى أمية ، واستقرت جميعا فى الصحراء الشرقية ٠ وتتكون القبائل البجاوية من : البشارية ، العبابدة ، الهدندوه ، الأمرار وهى من السلالة الحامية ٠ ونظرا لامتداد مناطق استقرار قبائل العبابدة والبشارية من هضبة الحبشة جنوبا حتى أسوان فى الشمال ، فقد قامت الباحثة بالتركيز فى دراستها على قبيلة واحدة من قبائل البشارية (هى قبيلة العلياب) وفروعها ، ومن العبابدة على قبيلة العشاباب وفروعها المنتشرة من منطقة أسوان جنوبا حتى حدود مدينة دراو شمالا ، نظرا لسهولة الوصول اليهم والاتصال بهم ٠

أما العينة الحضرية فى هذه الدراسة فيمثلها سكان مدينة أسوان الذين استقروا فى هذه المدينة منذ أمد طويل ، أى قبل الهجرات الحديثة وقبل

التأثر بالتغيرات التى طرأت على المدينة (وعلى المحافظة) . ولذلك راعت الباحثة أن يتوفر فى العينة المختارة شرط الاقامة لمدة ثلاثة أجيال على الأقل داخل المدينة ، فاختارت عينة من الأسر التى يكون قد سبق استقرارها فى المدينة منذ عام ١٩١٣ وحتى الوقت الراهن . واذا أمعنا النظر فى هذا المجتمع الذى تبدو عليه السمات الحضرية فى الظاهرة ، فسوف نجد أنه ليس سوى مجتمع يغلب عليه الطابع القبلى الذى يظهر بصورة جلية فى الانتخابات ، وفى تفضيلهم الزواج من داخل العائلة وغير ذلك من المظاهر القبلية . والحقيقية ان اختيار الباحثة لهذه العينة الحضرية يرجع الى محاولتها المقارنة بقدر المستطاع بين التجمع الحضرى فى أسوان والتجمع النوبى والتجمع البدوى للوقوف على طبيعة نظام القرابة ، بوصفه المحور الأساسى فى كل تلك المجتمعات ، وخاصة فى المجتمعات ذات التنظيم القبلى . والقرابة هى الأساس الذى يحقق التكافل الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية البسيطة بالقدر الذى يحققه النسق السياسى فى المجتمعات المتقدمة .

ومن العوامل الأساسية والهامة التى دفعت الباحثة ـ كما أشرنا ـ الى اختيار دراسة النظام القرابى للمجتمعات الثلاثة فى منطقة أسوان ذلك التغير الذى تمر به المنطقة بسبب تعدد ونمو المشروعات الصناعية فى المنطقة وتزايد النشاط السياحى . ولذلك أرادت أن تنتهز الفرصة قبل أن تتغير ملامح تلك المجتمعات تغيرا كليا ولكى تساهم برسم صورة لتلك الجماعات تضعها تحت نظر القائمين على تخطيط ورسم السياسة الاجتماعية للمنطقة .

فقد لاحظت الباحثة كثيرا من بوادر التغير التى بدأت تظهر على تلك المجتمعات ، والتى ستتضح بشكل اكبر من خلال البحث . ففى قرية غرب أسوان اشتد الاقبال على التعليم بعد المرحلة الاعدادية (خارج القرية) ، وخروج الأبناء لاتمام دراستهم بمدينة أسوان . كما لم تعد الزراعة هى النشاط الاقتصادى الرئيسى فى مجتمع القرية ، وانما اتجه الجيل الجديد

من أبنائها الى العمل فى الوظائف الحكومية وغير الحكومية بمدينة أسوان، وذلك كله بالاضافة الى الاتجاه نحو تعليم البنات والسماح لهن بالعمل بمدينة أسوان واشتراكهن فى المجالس المحلية والأنشطة الحزبية ٠

أما مجتمع بدو العبابدة والبشارية فقد تاثر بالامتداد العمرانى لمدينة أسوان التى أخذت تتسع شرقا فى اتجاه أماكن تجمعهم ، مما أدى الى انتقال تلك القبائل الى خارج حدود المدينة داخل الصحراء ٠ كما لم تعد التجارة ولم يعد الرعى هو النشاط الاقتصادى الوحيد لذلك القطاع من أبناء القبائل ، وانما أصبحت الزراعة تحتل مكانة هامة تتزايد باستمرار نتيجة لاتجاه بعض هذه القبائل الى النزوح نحو وادى النيل واستقرارهم بالقرب من القرى ، والاشتغال بالزراعة ، مثل ما هو جار فعلا فى قريتى المحزمة والسيالة ٠ هذا بالاضافة الى اقبال العبابدة والبشاريين القريبين من حدود مدن كوم أمبو ودراو وأسوان على تعليم الأبناء الذكور حتى مستوى التعليم الفنى ، حتى يعمل فى وظيفة يغلب عليها طابع الاستقرار ٠

●★●

الاجراءات المنهجيــة للدراســة

مقـــــــدمة :

يلعب النسق القرابى دورا هاما وأساسيا فى مجتمعاتنا ، وبصفة خاصة المجتمعات الريفية والبدوية ذات التنظيم القبلى[1] ، لأن القرابة تمثــل المحور الأساسى لصياغة التكامل الاجتماعى فى المجتمعات القروية والبدوية بقدر ما يحقق النسق السياسى فى المجتمعات المتقدمة .

ولقد أثيرت فى هذا الصدد مجموعة من التساؤلات تحدد كيفية دراسة نسق القرابة لهذه المجتمعات ، أو بمعنى آخر ، ما هو المدخل الملائم لفهم طبيعــة ومفهــوم القــرابة ، ودور أو وظيفــة النســق القــرابى فى هذه المجتمعــات ، ومدى علاقتــه وتأثيره على الانســاق الأخرى مثل النسق الاقتصادى والسياسى ، وهل مازال دور أو وظيفة القــرابة يمارس بنفس القوة فى هذه المجتمعــات ، أم حدث هناك تغيير وما هو السبب ؟ ذلك لأن الآراء فى هذا الموضــوع تعددت ، وأن هذا التعــدد انما يعكس لنــا اهتمام علماء الانثروبولوجيا بدراسة وظيفة النسق القــرابى للمجتمعات البدائية فى كل من افريقيا واستراليا وامريكا ، وجميعها تؤكد مدى أهمية الدور الذى يلعبه النسق القرابى لهذه المجتمعات ذات الحضارة البسيطة البدائية .

واذا رجعنا الى تراث الفكر السيسيولوجى الانثروبولوجى ، نجــد أن هناك كثيرا من النظريات التى تعالج موضوع القرابة ، فهنــاك أصحاب النظريات التطورية ويدعون بالتطوريين ومنهم «مورجان» و «باخوفن» ، وقد ساهمت هذه النظريات فى اثراء تراثنا الانثروبولوجى .

---

(١) د.أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الثانى «الانساق» ص ٢٧٥ .

الا أن هذه النظريات لم تقدم كثيرا لعدم التزامها بالأسس المنهجية ، ولكنها اعتمدت على الافتراضات القبلية بالاضافة الى استخدامها منهج التاريخ الظنى لتفسير كثير من الظواهر .

والمرحلة التالية لذلك هي النظرية الوظيفية التى اهتمت بدراسة هذا الموضوع فى سياق بنائى مع مراعاة الحقائق النظرية أكثر مما كان سائدا من قبل .

ولدراسة هذا الموضوع سلكت النظرية الوظيفية المنهج الوصفى التحليلى والتفسيرى . ولهذا فان أول خطوة قامت بها الباحثة لدراسة النسق القرابى لكل مجتمع من مجتمعات البحث(*) : مدينة أسوان وقرية غرب أسوان وتجمع بدو العبابدة والبشارية المتمثل فى دراسة قبيلتى العلياب والعشاباب (البشارية والعبابدية) . وذلك من خلال التعرف على المصطلحات الوصفية والتصنيفية السائدة فى كل مجتمع من المجتمعات الثلاثة التى نستطيع من خلالها التعرف على الدرجات القرابية المختلفة والحقوق والواجبات الملزمة بها نحو أسرهم . ومن ناحية أخرى تهدف الدراسة الى التعرف على وظيفة المصطلح القرابى ومقارنته فى كل مجتمع من مجتمعات البحث فى حل المتناقضات بين السلوك الواقعى والصادر عن النظرية العامة . كما أن طبيعة الدراسة المقارنة للنسق القرابى تتطلب التركيز على دراسة النظم الداخلة ضمن النسق القرابى ، وهى نظام الزواج والنسب والانحدار ، بالاضافة الى التشعبات المختلفة للجماعات القرابية التى من خلالها يمكن التعرف على الخط القرابى الذى يشيع فى كل مجتمع من مجتمعات البحث الثلاثة ، وفى نفس الوقت الاهتمام بدراسة علاقة النسق القرابى بالأنساق الأخرى كالنسق الاقتصادى وما يشتمل عليه من نمط الحرف السائدة ونظم الملكية أو الحيازة ونظم تقسيم العمل ،

(*) عينة من أهالى أسوان الأصليين والمستقرين من سنة ١٩١٢ حتى وقت اجراء البحث .

وعلاقته أيضا بالنسق السياسى المتمثل فى بناء القوة السائدة وكيفية اختيار الممثلين السياسين ، وعلاقتـه بنسـق الضبط الاجتماعى (الرسمى وغير الرسمى) ٠

تساؤلات وفروض الدراسة :

تثير الدراسة التى نحن بصددها مجموعة من الاستفسارات الناتجة عن طبيعة الموضوع من ناحية والأهداف التى تسعى الدراسة للوصول اليها من ناحية أخرى :

■ الى أى مدى يؤدى الاختـلاف (التمـايز) السـكانى والثقـافى والاجتماعى بين جماعات أو مجتمعات البحث الثلاثة فى منطقة أسوان الى اختلاف من حيث الدرجة قوة أو ضعفا فى وظيفة النظام القرابى فى تحقيق التكامل الاجتماعى ٠

■ الى أى مدى قد يؤدى هذا التمايز السـكانى والثقافى والاجتماعى بين المجتمعـات الثـلاثة فى الاعتماد على القـرابة كمدخل أسـاسى لفهم المجتمع ، بمعنى أن هناك اختلافا بين مجتمعات البحث من حيث مدى التمسك بالزواج القرابى ومراعاتهم لمبدأ الزواج القرابى العاصب عنـد الاختيار للزواج ، ومدى خضوعهم للاختيار العائلى ، وما هى الدرجات القرابية المفضلة ؟ هل هناك تغير بين الأجيال القديمة والجيل الأخير ؟

■ هل تتفـاوت المجتمعـات الثـلاثة من حيث تمسكها واستخدامها للمصطلحات التصنيفية والوصفية فى الحديث المتبادل فى الحياة اليومية ٠

■ هل تتباين المجتمعات الثلاثة من حيث تمسكها بالالتزامات القرابية وهل هناك تغير بين الأجيال القديمة والجيل الأخير ولماذا ؟

■ الى أى مدى يتبـاين دور القـرابة فى مجتمعات البحث من حيث تاثيرها على نمط الحرفة الرئيسى القائم على الاحتكار العائلى من خلال مبدأ الوراثة ٠ بمعنى آخر ، هل مازال أفراد مجتمعات البحث الثـلاثة يحافظون على اشتراك الأقارب أو ساكنى المنطقة الواحدة فى العـمل فى

حرفة واحدة (كالتجـــارة فى مدينــة أســوان ، والزراعة فى قرية غرب أسوان ، والرعى فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية) • ويتعاون الأقارب فيما بينهم لسد احتياجاتهم الأسرية فى حالات الأزمات وكذلك يشتركون فى ملكية جماعية ، أم هناك تغير من الأجيال القديمة الى الجيل الأخير فى كل مجتمع على حدة • ولماذا ؟

■ هل تتبـاين مجتمعات البحث من حيث درجة التمسـك والأخذ بأساليب الضبط الرسـمى (القـانونى الوضعى) أو الضبط غير الرسمى (القانون العرفى وقوة العادات والتقاليد والالتزام القـرابى) وهل مازال يتعاون أفراد مجتمعات البحث بنفس الدرجة للوقوف كرجل واحد فى حالة تهديد سلامة تماسك وحدة الجماعة القرابية والأسرية •

■ هل تتباين مجتمعات البحث الثلاثة من حيث أخذها بشكل أو نمط بناء القوة المتمثل فى مجلس الشيوخ (مجلس القبيلة) وانتخابهم للعمـد وشيخ البلد والخفراء معتمدين فى ذلك على مبدأ السيطرة العائلية والوراثة فيمـا بين أعضـاء أسرة معينة من خلال ما يتمتعون به من قوة العصبية للجماعة القرابية والنفوذ الاقتصادى •

صياغة الفروض :

تتطلب منا الدراسـة الاعتماد على اجراء منهجى يمكن من الجمع والتوفيق بين أهداف الدراسة والتساؤلات التى تثـيرها ، وهذا الاجراء العلمى يتمثل فى صياغتنا لفروض الدراسة •

الفرض الأول : التغير فى نسق القرابة :

يميل مجتمع مدينة أسوان الى الأخذ بالتغيير بصورة أسرع من مجتمعى قرية غرب أسوان وتجمع بدو العبابدة والبشارية • ومن المتوقع أن تكون صورة التغير أكثر وضوحا فى مدينة أسوان عنهـا فى قرية غرب أسـوان وعنها فى تجمع بدو العبابدة والبشارية وهذا يظهر لنا بوضوح فى مختلف الأنساق الاجتماعية موضوع اختيارنا •

الفروض الثانى : نسق الزواج :

يميل مجتمع مدينة أسوان للأخذ بنظام الزواج الخارجى (الاختيار من بين عائلات المدينة وخارج المدينة) ، بينما يتمسك مجتمع قرية غرب أسوان بالزواج الداخلى مع اتساع دائرة الاختيار فيما بين أبناء العمومة والخؤولة للنجع وأبناء العمومة والخؤولة على مستوى القبيلة ، فى حين يتمسك مجتمع العبابدة البشارية بالزواج الداخلى ويتمثل فى صورة الالتزام بالزواج العاصب ٠

نمط السكنى :

يميل مجتمع مدينة أسوان للأخذ بنمط السكنى أو **الاقامة** المنفصا فى حين يسود نظام الاقامة أو السكنى المشتركة فى مجتمعى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية عند أهل الزوجة ، وبعدها ينتقل للسكنى بجوار الأب ٠

استخدام المصطلحات الوصفية والتصنيفية :

يميل مجتمع مدينة أسوان الى استخدام المصطلحات الوصفية والتصنيفية التى توضح لنا الخط الأمومى والأبوى فى حديثه العادى ، ولكن تقتصر الأدوار القرابية والحقوق والواجبات على أعضاء الأسرة ٠ فى حين نجد مجتمع قرية غرب أسوان أكثر اتساعا فى استخدامه للمصطلحات الوصفية والتصنيفية ذات الدلالة الامومية الأبوية والأدوار القرابية والحقوق والواجبات الملزمة لأعضاء وحدة البيت ٠ أما تجمع بدو العبابدة والبشارية فهو أكثر اتساعا عن المجتمعين السابقين فى استخدامه للمصطلحات الوصفية والتصنيفية والأدوار القرابية والحقوق والواجبات الملزمة للأعضاء المقيمين فى منطقة واحدة (الحلة أو النجع) ٠

الفرض الثالث : القرابة والنشاط الاقتصادى :

يميل مجتمع مدينة أسوان الى التنوع فى النشاط الاقتصادى والذى تضعف فيه سيطرة العائلة وعامل الوراثة واعتماده على التوصيف الوظيفى

كما يسود نمط الملكية الفردية ٠ فى حين يميل مجتمع قرية غرب أسوان للعمل بحرفة الزراعة من خلال سيطرة العائلة وعامل الوراثة ويسود فيه نمط الملكية الجماعية ،كما يعملمجتمعبدو العبابدةوالبشارية بحرفةالرعى معتمدين على بدأ الوراثة وسيطرةالقبيلة ويسود فيه نمط الملكيةالجماعية٠

الفرض الرابع : القرابة وبناء القوة :

ميل مجتمع مدينة أسوان للاعتماد فى تحديده لبناء القوة على عامل التعليم ومبدأ التوصيف الوظيفى وعلى الانتخابات الحرة لاختيار الممثلين السياسيين ٠ فى حين يميــل مجتمع قرية غرب أســوان فى تحديد بناء القوة الى الاعتماد على العصبية القرابية ومقدار الحيازة الزراعية لاختيار العمد ومشايخ البلد والخفراء وخضوعها لسيطرة العائلة والوراثة لاختيار الممثلين السياسيين٠كما يأخذ مجتمع بدو العبابدة والبشارية بالاعتماد على نمط الزعامة معتمدين على قوةالعصبيةالقرابية ومقدار الحيازة،وخضوعهم للسيطرة والاحتكار القرابى ومبدأ الوراثة فى اختيار الزعامات الحاكمة ٠

الفرض الخامس : القرابة والضبط الاجتماعى :

يميل مجتمع مدينة أسوان الى الأخذ بأساليب الضبط الرسمى المتمثل فى (القــانون الوضعى) والاستعانة بأساليب العقــاب البدنى من خلال الأجهزة والمؤسسات المتخصصة ٠ فى حين يميل مجتمع قرية غرب أسوان الى الأخذ بأساليب الضبط غير الرسمى المتمثل فى القــانون العرفى وقوة العادات والتقاليد والأدوار القرابية الملزمة من خلال مجلس المشايخ ٠ كما يميــل مجتمع بدو العبــابدة والبشارية الى التمسك بأساليب الضبط غير الرسمى المتمثل فى القانون العرفى والأدوار القرابية والعادات والتقاليد من خلال المحكمة العرفية ٠

عينة الدراسة وخصائصها :

التجمع الأول : مدينة أسوان :

تم اختيار عينة ممثلة لأهالى أسوان الأصليين الذين يغلب عليهم طابع الاستقرار فى منطقة واحدة ، أى قبــل التاثر بالتغيرات التى طرأت على

المحافظة . ومن جهـة أخرى لابد أن يتوفر فى العينـة الممثلة الاقامة لمدة ثلاثة أجيال على الأقل فى نطاق المدينة . ولذلك أختيرت عينة الأسر التى تكون أصلا مستقرة فى مدينة أسوان قبل عام ١٩١٢ حتى الوقت الحـالى فتركزت الدراسـة على عائلات وسط المدينـة ـ طبقا للتقسيم الادارى من شارع شندى حتى شارع المطار . (شرق البندر) .

التجمع الثانى : قرية غرب أسوان :

روعى عند اختيار التجمع النوبى البعد عن التجمعات النوبية التى تم تهجيرها من النوبة القديمة واسـتقرارها حاليـا فى منـاطق التهجـير بكوم أمبو .

ولقـد استقر الاختيـار على تجمع نوبى مستقر يتمثل فى قرية غرب أسوان . وتقع قرية غرب أسوان على الضفة الغربية لنهر النيل أمام مدينة أسوان ، نظرا لعدم تعرض هذه القرابة لعمليات هجرة وتهجير منذ التعلية الأولى لخزان أسـوان ، ومن ناحيـة أخرى لم يسبق دراستها اجتماعيا باستثناء دراسة الدكتور محمد الجوهرى(١) .

التجمع الثالث : بدو العبابدة والبشارية :

وهو عبارة عن تجمعات قبلية بدوية متفـرقة ، ينتشرون فى المنطقة الجنوبيـة الشرقية لمنطقة أسـوان ويعيشون فى قبائل ويشتغلون بحرفة الرعى ويتميزون بحياة اجتماعية متميزة .

ولقد أختيرت تجمعات بدو العبابدة والبشارية لغرض الدراسة المقارنة لدور القرابة فى التجمعات السكانية الثلاثة وعلاقتها بالأنساق الاجتماعية الأخرى . (تركزت الدراسة على قبيلتى العليـاب البشارية والعشـاباب العبادية لسهولة الاتصال بهما) .



---

(١) د.محمـد الجوهرى ، بعض مظـاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان ، دراسة أنثروبولوجية لاحدى التجمعات النوبية ، ١٩٧٥ .

الجماعات القرابيــة فى مجتمعات الدراســة

أولا : الأسرة النـــووية

لقد اجمعت التعريفات على اعتبار الأسرة النووية جماعة اجتماعيــة تتكون من الزوج والزوجة والأطفال الصغار يشكلون جميعهم وحدة مستقلة عن بقية المجتمع ٠

وتختص بأربعة وظائف هامة وأساسية لاستمرار الحياة الانسانية هى : الوظيفة الجنسية والاقتصادية والتناسلية والتربوية ٠

واذا نظرنا الى هذا التعريف نجده يتطابق مع النمط الأسرى حاليا فى مدينــة اســوان ٠ فالاسرة الأسوانية فى الجيل الأخير تتكون من الزوج والزوجة والأطفــال الذين يشــكلون وحدة مستقلة مكانيا (مسكن خاص بهم) ، واقتصــاديا يســود بينهم التعاون ومبدأ تقسيم العمل بين الزوج والزوجة كلا حسب قدراته الفيزيقية ٠ فالرجل يختص بالعمل الخارجى لتوفير احتياجات أسرته والزوجة تقوم بتربية أطفالها والقيام بالأعمال المنزليــة الأخرى ٠ والبعض الآخر من الزوجات يقمن بجــانب دورهن الاساسى فى المنزل بالخروج للعمل بالوظائف الحكومية والتدريس لتساعد بمرتبها الذى تحصل عليه لزيادة دخل الأسرة لتحقيق حياة أفضل لأبنائهم الذين يدخلون المدارس ، والاشراف عليهــم وتوجيههم بمســـاعدتهم فى الانتقال من مرحلة تعليمية الى أخرى حتى يصلوا الى التعليم الجامعى ٠ بعدها يبدأ الشاب أو الشابة استقلاله الاقتصادى والاعتماد على نفسه ٠ بالاضافة الى ذلك تقوم الأسرة بالوظيفة الجنسية والتكاثر والاقتصاد كذلك تقوم بدورها ــ ايضا ــ التوجيهى والتربوى للأبناء ومساعدتهم فى كيفيــة الاعتماد على النفس فى تحــديد مستقبلهم عن طريق الاشراف عليهم فى اختيــار نوع الدراسة التى يفضلونها والتى تتلاءم مع قدراتهم العقلية ،

ومن يفشل من الأبناء فى استكمال دراسته تساعده الأسرة بتوجيهه الى العمل الحرفى المناسب له ٠

أما بالنسبة للنمط الأسرى فى قرية غرب أسوان فلا توجد أسرة نووية مستقلة كما هو حاليا فى مدينة أسوان فى السكنى ٠ فهى بحكم نظام السكن السائد فى القرية تكون تابعة فى السنوات الأولى من تكوينها (١٠ سنوات) بالاقامة مع أهل الزوجة ، كما أنها غير مستقلة اقتصاديا لأن الزوج يكون مشتركا مع الجماعة القرابية العاصبة (الأب والاخوة الذكور والأعمام) فى الحرفة والملكية الجماعية ٠ الا أنه قد ظهر فى الجيل الأخير استقلال الشباب اقتصاديا من خلال العمل الوظيفى أو الخدمات ٠ فهذا لا يمنع استمرار التبعية الاقتصادية من خلال تعاون أسرة أهل الزوج بتقديم المساعدات اذا كان الزوج (ابنهم) مازال مجندا بالجيش أو يعمل خارج القرية وتأخر المبلغ المرسل لأسرته فيتولى الاخوة الذكور للزوجة ووالدها الصرف عليها ٠ أى أن الأسرة النوبية تكون ذات تبعية مزدوجة من جماعة الزوج (أهله) وأهل الزوجة ٠ وعندما تنتهى مدة الاقامة عند أهل الزوجة (٣ ـ ١٠ سنوات) يذهب الزوج ويقيم بالقرب من عائلة والده أو السكنى معه ٠ لذا نجد أن الأسرة النووية لا تقوم بجميع وظائفها بمفردها باستثناء الوظيفة الجنسية والتكاثر ٠ أما فيما عدا ذلك ، فتكون تابعة للجماعتين القرابيتين جماعة الزوج العاصبة وعائلة الزوجة (الأب واخوتها الذكور) ٠

وأما بالنسبة لمجتمع بدو العبابدة والبشارية فيخلو المجتمع من شكل الأسرة النووية المستقلة ولكن اذا وجد هذا الشكل فهو يكون تابعا فى السنة الأولى والثانية بالسكنى بالقرب من خيش أو ابراش أهل الزوجة ، ولكنه اقتصاديا مرتبط مع جماعته القرابية العاصبة بالعمل مع والده وفى نفس حرفته ٠ وبعد انقضاء فترة الاقامة بالقرب من أبراش أهل الزوجة ينتقل ليسكن بالقرب من خيش أو أبراش والده ٠

وتسود داخل الأسرة النووية ثمانية علاقات متميزة بين أعضائها تساعد على تماسك وحدة هذه الجماعة واستمرارها لتحقيق وظائفها ٠

١ ـ علاقة الزوج والزوجة (فى مدينة أسوان) :

تتسم العلاقة بين الزوج والزوجة فى مدينة أسوان بالتعاون ومبدأ تقسيم العمل والمسئولية المتساوية باعتبارهما العضوان الرئيسيان فى هذه الجماعة ٠ وتقوم الزوجة بتربية الأبناء وتوفير كافة احتياجات الأسرة (اذا كانت زوجة غير عاملة) داخل المنزل ٠ والبعض الآخر يقمن بدورين : الأول داخل المنزل ويتشابه مع دور الزوجة غير العاملة ، والدور الثانى يمثل خروجها للعمل والمساعدة بدخلها (المرتب) الذى تحصل عليه فى رفع مستوى المعيشة مع دخل الزوج ٠

أما فى قرية غرب أسوان ، فتسود بينهم علاقة السيادة والسيطرة من جانب الزوج باعتباره المصدر الأساسى للدخل بالنسبة للأسرة ، أما عن طريق للحرفة التقليدية مع جماعته القرابية (الزراعة والتجارة) واما بالعمل الحكومى والخدمة خارج القرية ٠ وفى السنوات الأولى من حياة الزوجين حيث يقومان مع أهل الزوجة ، تقوم أم الزوجة (الحماه) بمساعدة ابنتها وتعليمها كل شئون المنزل وتربية الأبناء ٠ ويبقى دور الزوجة قاصرا على الأعمال المنزلية وتربية الأبناء حتى بعد انتقالهم للسكنى بجانب أهل الزوج ٠ ولا يسمح لها بالخروج من منزلها الا باذن من الزوج فى كل خطوة تخطوها ، وعند بلوغها سن ٤٥ أو ٥٠ سنة يمكنها الخروج لتعاون الزوج فى العمل الزراعى ٠ وفى بعض الأحيان تقوم الزوجة بدور زوجها (نيابة عنه عندما يكون عمله خارج القرية ، وعندما يعود فى المساء يستكمل ما قامت به الزوجة (تقوم الزوجة برفع المياه لرى الأرض ، جنى المحصول ، ورعى الأغنام ، المساعدة فى تلقيح نخيل البلح) ٠

وأما بالنسبة لعلاقة الزوج والزوجة فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية فيغلب عليها طابع السيطرة من جانب الزوج ، بالاضافة الى سيادة مبدأ تقسيم العمل فيما بينهما ٠ فالعمل الخارجى من اختصاص الزوج وهو الرعى والتجارة ٠ أما الزوجة فتقوم بالعمل داخل حدود الخيشة بتربية

الأطفـال وصناعة السلال وخض لبن الماعز وغزل الصوف ، ويستمر هذا للعمل طوال السنوات الأولى من الزواج . وبعد مضى فترة على انجابها وتربية الأبناء يحق للزوجة الخروج والمشاركةفيالعمل الخارجى مثلالرعى فى حدود أودية القبيلة . والمساعدة فى نقل المياه من الآبار القريبة منهم .

٢ ـ علاقة الأب والابن :

مدينـة أسـوان : تتسـم علاقة الأب والابن فى مدينــة أسـوان قديما بالاحترام والطـاعة فى جميـع الأمور طوال فترة طفولته . وعلى الأب مسئولية توجيهه وتعليمه الدينى عند بلوغه سن ٧ سنوات فى الكتـاب ، والتركيز على مبدأ تحـريم الاختـلاط الجنسى على من لا يجوز له مثل اخوته . كما يسود التعاون الاقتصادى فى فترة شباب الابن باشتراكه بالعمل فى نفس حرفة الأب ، وقيام الأب من جانبه بتوفير كافة طلبات ابنه الشاب وأسرته بعد زواجه وسكنه مع والده فى نفس المسـكن . ولايحق للابن أن يعارض أمر والده مهما كان هذا الأمر . ولكن وقت اجراء البحث تغيرت طبيعة العلاقة بين الأب والابن ، وأصبحت تتسم بالطـاعة والاحترام من جانب الابن والتوجيه والمناقشة من جانب الأب لمحاولة اقناع الابن وتقديم النصح له والارشاد كلما لزم الأمر . كمـا يتولى الأب من جانبه القيـام بتعليم الابن حتى يحصـل على الشهادة التى تتفق مع قدراته العقليـة . وبعدها يبدأ الشاب فى الاعتماد على نفسه والرجوع الى الأب لأخذ مشورته كلما لزم الأمر . ولم يعد طابع الطاعة العمياء هو السمة المميزة للعلاقة بينهما ، بل مناقشة واقناع . وفى ضوئهما فى الأمور التى تخصه ، مثل نوع العمل الذى يقوم به (عمل حر أو فى وظيفة) ومجال الاختيار للزواج (من بين الأقارب أو من عائلات المدينة أو من خارجها) ولكن ومع ذلك ، يطالب الابن بتحمل مسئولية والده عند كبر سنه باعطائه مبلغا من المال كل شهر .

أما بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الأب والابن فى مدينة غرب أسوان ،

ففى الماضى كانت هذه العلاقة تتسم بالطاعة والاحترام من جانب الابن تجاه والده ، وعلى الأب مسئولية تربيته وتوجيهه ، كما يقوم الابن عند بلوغ سـن الثامنـة بالتعـاون مع والده فى حرفة الزراعة • وتستمر هذه العـلاقة حتى بعد زواجه وسكنه مع أهل زوجته • ويقـوم الأب بتقسيم العمـل فيمـا بينه وبين اخوته الذكور • أما فى وقت اجراء البحث فلم يحدث أى تغيير فى طابع العلاقة بين الأب والابن بالرغم من خروج كثير من الشباب للعمـل بغير حرفة الزراعة والتجـارة (الوظائف الحكومية والخدمات) وخلال العمل الفردى (الوظيفة) بدلا من العمـل الجماعى (الزراعة والتجارة) فعلى الابن تحمل مسئولية رعاية والده عند كبر سنه•

أما بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الأب والابن فى مجتمع بدو العبـابدة والبشارية ، فتتسم بطـابع الطاعة والتعاون بينهما منذ بلوغ الطفل سن السـابعة حيث يبـدأ الأب فى تدريبـه باصطحابه معه فى العمل وتهذيبه وتعليمه القواعد العامة للآداب واحترام كبار السن وأن يعاملهم على أنهم أعمام له • ومن واجب الابن طاعة الأب واحترامه واحترام أعمـامه وكل من هو فى سن الأب • وبالنسبة للبيوت التى سكنت بالقرب من المدن فلم يتغير طابع العلاقة بين الأب والابن إلا فى الانفصال الاقتصـادى واعتماد الشـاب على نفسه بالعمـل عندما يبلغ سن الثامنة عشرة فى غير حرفة التجارة والرعى ، بعمله فى الخدمات ، كمـا حصـل البعض على شهادات متوسطة وعمل فى المصالح الحكومية والمصانع •

٣ ـ علاقة الأم والابنة :

مدينة أسوان : تتوازى طبيعة العـلاقة بين الأم والابنة بالعـلاقة بين الأب والابن فى مدينة أسوان من حيث تولى الأم مسئولية تعليم وتوجيه الابنة شئون المنزل منذ بلوغها سن الثامنة مثل صناعة الخيط وطهى الطعام وحيـاكة الملابس وأشـغال الابرة ومسـاعدتها من جانب آخر فى تربيـة أخواتها • وكثيرا ما كانت ترفض الأم تعليم الابنـة فى المدارس بمجـرد

بلوغها سن العاشرة ، فتخرج البنت من المدرسة لتعلم شئون المنزل وتعدها لتكون زوجة . أما من ناحية الابنة فعليها الطاعة والاحترام لأمها ولكل من هو فى جيلها من الأقارب من جهة الأم أو من جهة الاب . أما وقت اجراء البحث ، فقد تغيرت طبيعة العلاقة بين الأم والابنة ، وظهر ذلك فى الجيل الأخير ، فلم يعد قاصرا أن تتعلم الابنة لكى تكون زوجة ، بل أصبحت الأم تؤيد خروج ابنتها للتعليم فى مراحله المختلفة حتى المرحلة الجامعية ، تقوم الأم بمهمة تدريب الابنة على الشئون المنزلية فى الأجازات الصيفية .

أما فى **غرب قرية أسوان** ، فمازالت علاقة الأم بابنتها تتسم بالطابع التعليمى واعدادها لكى تكون زوجة صالحة . وتستمر هذه العلاقة حتى بعد زواجها واقامتها فى نفس المنزل ، حيث تستمر الأم فى استكمال تدريبها وتعليمها تربية الأطفال نظرا لصغر سن الزواج للاناث فى القرية . وعلى الابنة طاعة الأم واحترامها وكل من هو فى جيلها من الأقارب من جهة الأم وجهة الأب . وبالرغم من التحاق بعض الاناث فى الجيل الاخير بالمدارس وحصولهن على شهادات متوسطة فلم تتغير طبيعة علاقة الأم بابنتها بمباشرة تعليمها وتوجيهها حتى بعد زواجها .

أما بالنسبة لمجتمع **بدو العبابدة والبشارية** (قبيلتى العلياب والعشاباب) فتتسم العلاقة بالطابع التوجيهى والتعليمى من سن سبع سنوات ، حيث يبدأ تدريبها على أعمال المنزل مثل طحن الحبوب وصناعة الخبز والمساعدة فى تربية أخواتها ، وتعليمها غزل الصوف وعمل السلال وخض لبن الماعز ، وبمجرد بلوغ البنت ، يبدأ اعدادها للزواج ، وتستمر علاقة التوجيه والمساعدة من ناحية الأم لابنتها حتى بعد زواجها ، لاستمرار اقامتها بجوار أمها لفترة حتى انجاب الطفل الأول والثانى لتساعدها فى تربيتهم .

٤ ــ علاقة الأم والابن :

فى**مدينة أسوان** ، تتسم علاقة الأم بابنها طوال فترة الطفولة بطابع

الحنان والتدليل من جانب الأم ، لأن الابن الذكر له وضع واعتبار كبيرين فى الاسرة الاسوانية · فجميع طلباته تعتبر أوامر بالنسبة للأم والأخوات الاناث · وعند بلوغه سن الثامنة الى العاشرة يتولى الأب مسئولية توجيهه · وبالنسبة للابن فعليه طاعة الأم واحترامها ، واحترام كل من هو فى جيلها من الأقارب من الجهتين · كما تلقى عليه مسئولية رعاية الأم عند موت الأب أو عند تقدمها فى السن فلا يتركها هو أو زوجته (يقيم معها فى نفس المنزل طبقا لنظام السكنى مع أبو الزوج) · وقد اتسمت طبيعة العلاقة بالاحترام والطاعة بين الأم والابن حتى وقت اجراء البحث ، وتقديم العون والمساعدة لها عند كبر سنها ، ولكن لا يصطحبها الابن للسكن معه فى منزله بعد انفصاله بسكن خاص به · ويفضل أن يتردد عليها بزيارة يومية فى المساء ، وتقديم المساعدة المادية لها فى صورة مبلغ شهرى تخفيضا لنشوب النزاع بين الأم وزوجة الابن ، بالاضافة الى خروج زوجة الابن للعمل ــ حاليا ــ فتقضى أكبر عدد من ساعات اليوم خارج المنزل ، فلا يكون لديها وقت لخدمة أم زوجها ·

أما بالنسبة للعلاقة بين الأم والابن فى **قرية غرب أسوان** ، فتتسم بطابع الحنان والتدليل فى فترة الطفولة والطاعة فى فترة الشباب · وبالنسبة للابن فعليه تقديم العون والمساعدة التى تتمثل فى ارسال الكسوة السنوية لها مع حلول مولد البسطاوى (نصف شهر شعبان) واعطائها مبلغا شهريا يكفى احتياجاتها · والملاحظ أن الأم لا تنتقل للسكنى فى منزل ابنها مهما تقدم بها السن ، بل تظل فى منزلها وتتولى بناتها خدمتها ورعايتها · ويقوم أبناؤها الذكور بزيارتها فى الصباح وتقبيل يدها طالبين منها الدعاء لهم بالتوفيق ، ثم يعود الابن فى المساء يقبل يدها ويجلس بجوارها قبل ذهابه الى منزله ·

وأما بالنسبة لمجتمع بدو **العبابدة والبشارية** فان طبيعة العلاقة تأخذ طابع الحنان والتدليل من جانب الأم والطاعة من جانب الابن · وبمجرد بلوغ الابن سن الثانية عشر ، تأخذ العلاقة طابع السيطرة والسيادة من جانب الابن على الأم وأخوته الاناث الصغار خصوصا فترة خروج الأب

للتجارة وحتى عودته ، كما يتكفل الابن بأمه عندما يموت الأب ويقوم برعايتها عندما تتقدم بها السن ولا يتركها لأن مسكنه بعد زواجه بجوارها .

أما بالنسبة للبيوت التى سكنت بالقرب من المدن ، فلم تتغير طبيعة العلاقة بين الام وابنها الا فى انتقال الأم عند كبر سنها وموت الاب للسكنى مع الابن فى منزله ، وذلك نظرا لبعد مسكن الابن عن مسكن الأب .

٥ ـ علاقة الأب والابنة :

يتسم طابع العلاقة بين الأب والابنة قديما فى مدينة **أسوان** بطابع التدليل من جانب الأب وتوفير كافة احتياجاتها طوال فترة الطفولة ، وعند الأمور الدينية وقواعد تحريم مخالطة الشباب الموجودين معها فى نفس المنزل (الاقامة المشتركة) . أما من ناحية الابنة فعليها الطاعة للأب واحترامه واحترام كل من فى جيل الأب من الأقارب من جهة الام أو الاب . كما تقوم بخدمة والدها فى حالة خروج الأم أو غيابها لقضاء أى واجب خارج المنزل . ولا تقتصر خدمتها لوالدها قبل زواجها بل أيضا بعد زواجها وخروجها الى مسكن أهل زوجها . فعندما يمرض تكون أولى الناس بخدمته ، كما يكون من واجب الأب (والأعمام) أن يقدموا المساعدات المادية فى صورة «المواسم» (اللحوم والخضروات والفاكهة) ، وحلاوة المولد النبوى ، ومبلغ من المال فى صورة عيدية فى الأعياد ، ولم تتغير طبيعة العلاقة بين الأب والابنة حتى وقت اجراء البحث . ولكن كثيرا ما تقوم الابنة بجانب الخدمة عند مرضه أو كبر سنه بتقديم مبلغ من المال شهريا اذا كانت تعمل .

أما بالنسبة **لقرية غرب أسوان** فنجد أن البنت من سن السابعة حتى العاشرة تعاون والدها فى حرفته (الزراعة) خصوصا فى موسم جنى المحصول ، كما يقوم الأب من جهته بتلقينها المبادىء الدينية والتركيز على عدم الاختلاط بالشباب . وتتولى الابنة خدمة والدها قبل زواجها وبعد زواجها (لاقامتها السنوات الأولى من حياتها الزوجية فى نفس

المنزل) . وحتى بعد انتقالها للسكن بجوار أهل الزوج لا تنسى دورها نحو والدها خصوصا عندما تتقدم به السن ، فتقوم بزيارته وخدمته وخاصة اذا كانت أكبر الاناث . ومن جهة الأب يقوم بتقديم المساعدات لها طوال فترة اقامتها معه فى نفس المنزل وخاصة اذا كان الزوج لا يعمل أو مجندا أو خارج القرية . وعندما تنتقل الزوجة مع زوجها للسكن بجوار أهل الزوج ، يقوم الأب بارسال نصيبها من كل محصول يقوم بزراعته .

وأما بالنسبة للعلاقة بين الأب والابنة فى قبائل **العشاباب والعليـاب** فيسودها طابع التعاون من جانب الابنة تجاه والدها فى حرفة الرعى من سن مبكرة حتى زواجها . كما تقوم بعد زواجها فى السنوات التى تسكن فيها بالقرب من مسكن أهلها أو معهم بمساعدة والدتها فى خدمة اخواتها الصغار وخدمة والدها خصوصا فى حالة مرض الأم وكبر سن الأب ، وحتى بعد انتقالها للسكنى الى جوار خيشة أهل زوجها . كما يقوم الأب من ناحيته بتقديم العون لابنته خصوصا بعد عودته من رحلة التجارة وبيع محصول الفحم النباتى ويرسل جزء منه الى ابنته المتزوجة ،ويرسل كسوة لابنته وأبنائها الصغار خصوصا على مولد سيدى أبى الحسن الشاذلى . .

٦ ـ علاقة الأخ الأكبر بالاخ الاصغر :

تتسم طبيعة العلاقة بين الأخ الأكبر والاخ الاصغر بطابع اللعب وتعاون كل منهما للدفاع عن أخيه اذا ما اعتدى عليه طفل آخر ، وبتطور السن تتطور العلاقة بينهما وتأخذ طابع احترام الأخ الأصغر لاخيه الاكبر . كما يقوم الاخ الاكبر بنفس دور الأب فى عملية التوجيه والتعليم لأخيه الاصغر . وعليه الطاعة ومساعدة أخيه فى العمل والحرفة التى يقومون بها . ولكن تغيرت العلاقة بين الاخ الاكبر والاخ الاصغر فى **مدينة أسوان** عما كانت عليه فى الماضى ، فقد يكون هناك احترام بينهما ولكنه لا يأخذ صفة الالزام ولا الطاعة التى كانت تتسم بها العلاقة بين الأخين قديما . فمثلا ، لا يرجع الأخ الاصغر لاستشارة أخيه الأكبر عند قيامه بعمل كما كان من قبل . ونتيجة لانفصال الاخوة فى المسكن والعمل بعد زواجهم أصبحت العلاقة

تتسم بالطابع الرسمى وتقتصر على الزيارات الرسمية فى المناسبات والاعياد • فمثلا ، فى الماضى كان الأخ الاصغر لا يستطيع تدخين سيجارة أمام أخيه الأكبر • أما الآن فقد أصبح هذا السلوك شيئا عاديا وانهم أنداد لبعضهما •

أما بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الاخ الاكبر والاصغر فى **قرية غرب اسوان** فما زالت تتسم بطابع الاحترام وعدم التعدى على الاخ الاكبر فى أى شيء • وأن الأخ الاكبر هو أب فى حالة غيابه أو سفره أو وفاته • وعلى الجميع أن يراعوا ذلك فى سلوكهم ، وبالرغم مما حدث لبعض الشباب وتركهم العمل بالزراعة واشتغالهم فى الوظائف ، فلم يغير هذا من طبيعة العلاقة ، فيعود الاخوة فى المساء للعمل المشترك فى الزراعة ويساعد الأصغر أخاه الأكبر حفاظا منهم على ملكية الأسرة والعائلة والبيت •

أما بالنسبة لعلاقة الاخوة فى مجتمع **العبابدة والبشارية** ، فمازالت تتسم بالتماسك بين الاخوة بمحافظة كل منهم على اعتبار السن فى المعاملة ، بمعنى أن الطفل يربى منذ الصغر على أن يحترم ويطيع كل من يكبره سنا ، ولذا نجد أن الأخ الأكبر فى العائلة يقوم مقام الاب بحكم طبيعة الحرفة التى تفرض غياب الاب بعيدا عن العائلة لفترات قد تصل الى ثلاثة أشهر فى السنة • فلابد أن تكون هناك سلطة بديلة لسلطة الأب من حيث توجيه الاخ الاصغر وتعليمه • وعليه الطاعة ومساعدة أخيه الاكبر ، حتى المزاح والضحك الذى كان يسود بينهما فى سن الطفولة يقل تدريجيا حتى ينعدم عند كبرهم •

٧ ــ علاقات الأخ بالأخت :

مدينة اسوان : تأخذ علاقة الأخ بأخته فى مدينة أسوان طابع تمييز الوالدين بين الجنسين فى المعاملة حتى ولو كان الاخ أصغر من أخته سنا • فالابن الذكر يمثل السلطة على أخته وطلباته بالنسبة لأخته أوامر حتى ولو كانا متقاربين أو كان يصغرها • وهذا الوضع ناتج عن المكانة التى

يحتلها الذكر فى العائلة الاسوانية باعتباره حامل اسم العائلة ويحافظ على ملكيتها . أما البنت فهى تابعة لزوجها ولأسرته ، ولا يستفيد منها والدها بشىء بعد زواجها ، ولهذا ينشأ الطفل الذكر منذ طفولته بشعور الأفضلية على الانثى حتى ولو كان يصغرها سنا . وبتطور أعمارهم تتطور هذه العلاقة وتأخذ طابع الاحترام والطاعة لأخيها عندما يكبر حتى بعد زواجها . وهو بدوره يتحمل مسئوليته تجاه أخته فى الوقوف بجانبها ومساعدتها فى أوقات الشدة أو مرض زوجها أو سفره . فيشارك مع أخوة الزوج فى الاشراف على أبنائها حتى يعود زوجها كى يقوم مقام الأب فى تقديم الهدايا والمواسم الى أخته فى بيتها بعد زواجها .

واستمرت طبيعة العلاقة متسمة بالسيطرة من جانب الأخ على أخته حتى بعد تعليم البنت وحصولها على شهادات والتحاقها بالعمل الحكومى. وهناك بعض الشابات اللائى يحاولن تغيير طبيعة هذه العلاقة عن طريق المناقشة والاقناع من جانبها فى الأمور التى تخصها عند حديثها مع أخيها . ولكن نجد القليل من الشباب ــ بالرغم من تعليم الفئة القليلة منهم ــ من يقتنع برأى أخته ويأخذ به ، الا أن الغالبية مازالوا يمارسون نفوذهم على أخواتهم بالضغط لأنه على رأى المثل السائد هناك (طلعت ولا نزلت برضه بنت) .

أما بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الأخ والاخت فى **قرية غرب أسوان** ، فهى تتصف باللعب سويا فى فترة الطفولة والتعاون فيما بينهما فى العمل الزراعى والرى مع والدهم . ولكن عند البلوغ تتغير طبيعة العلاقة بينهما وتتحول الى سيطرة وسيادة من جانب الاخ والطاعة من جانب الاخت . فلا يحق لها أن تجلس أمامه أو تتحدث معه واذا رأته فى الطريق لا تقف لتتحدث معه . كما يقوم هو من ناحيته بمد يد العون والمساعدة لأخته وأبنائها فى أوقات الشدة ومرض الزوج أو وفاته . كما يتولى مسئولية الأسرة والاشراف على أخته فى حالة غياب الأب بالسفر للعمل خارج القرية.

بمعنى أنه لا يمكن أن تخرج البنت لزيارة احدى القريبات فى القرية أو تحضر فرحا ما لم تأخذ الاذن من أخيها أو والدها ٠

أما بالنسبة لبدو **العبابدة والبشارية** فتتسم العلاقة منذ السنوات الأولى فى فترة الطفولة بالتعاون فى اللعب ثم التعاون فى مساعدة والدهما بالخروج وراء الاغنام لرعيها وسقايتها ٠ وعندما يكبر تتغير طبيعة العلاقة وتأخذ صورة السيادة والسيطرة من جانب الأخ تجاه أخته وعليها الطاعة خصوصا فى فترة غياب الأب فى التجارة ٠ ولا يحق لها الخروج خارج الخيشة الا بعلم أخيها ٠ أما بعد زواجها فكثيرا ما يقف الأخ بجانب أخته فى أوقات الشدة والأزمات الاقتصادية بأن يقاسمها ما لديه من حبوب وتمر حتى تنقضى الأزمة ٠

٨ ـ الأخت الكبرى والأخت الصغرى :

فى مدينة أسوان ، تحتل الأخت الكبرى ـ قبل زواجها ـ مكانتها بأنها اليد اليمنى التى تعتمد عليها الأم فى مساعدتها فى شئون المنزل وتربية أخواتها وتوجيههم وتعليمهم الأصول العامة وقواعد الآداب والاحترام خصوصا البنات ألا يتحدثن أمام السيدات الكبار أو يجلسن فى مجلسهن ٠ ولا بد من طاعة من هو أكبر سنا ومن هى فى جيل الأم وجيل الاب من الاقارب (الذكور من الأعمام والأخوال والاناث والخالات والعمات) وكذلك الجيران فى نفس الحى ، وأن تلبى نداء كل من يحتاج اليها من الجيران وتساعده ٠ ويكون على الأخت الصغرى الطاعة والاحترام لجميع الأخوات اللائى يكبرنها سنا من الذكور والاناث ٠ ولم يقتصر هذا الدور للأخت الكبرى قبل زواجها بل يستمر هذا بعد زواجها ، وأنها تقوم بدور الأم ٠ فنجد أن الأم كثيرا ما تستعين بها بعد زواجها لكى تساعدها للاعداد لزواج أخوتها الاناث ٠ وفى حالة مرض الأم أو موتها نجد أن الأخت الكبرى تقوم بالاشراف على اخوتها بأن تخصص لهم يوما أو يومين فى الأسبوع تحضر فيه من منزلها لكى تقوم برعاية أخواتها ٠ كما نجد الأخت الصغرى

دائمة الاستعانة بأختها حتى بعد زواجها ، فهى تمثل لها الصدر الحنون والسند الذى يقف بجانبها فى جميع الظروف بل واحيانا توجيهها فى كيفية معاملة أم الزوج وأبو الزوج وأخوة زوجها . ولم تتغير طبيعة العلاقة بين الأخت الكبرى والصغرى فىمجتمع مدينة أسوان حتى وقت اجراء البحث.

أما فى **قرية غرب أسوان** فتتشابه علاقة الأخت الكبرى بالصغرى بعلاقة الأختين فى مدينة أسوان من حيث سيادة الطابع الودى فى مرحلة الطفولة . ثم بتطور السن فتقوم الأخت الكبرى بدور الأم بالنسبة لاختها الصغرى من حيث التوجيه وتعليمها شئون المنزل ومعاونتها فى أوقات الشدة وفى أوقات حملها وعند زواجها . وتتردد عليها فى حالة مرضها لمساعدتها والاشراف على تربية أبنائها . وعلى الأخت الصغرى الاحترام وسماع النصائح . وكثيرا ما تنوب الأخت الصغرى فى حالة وفاة الأخت الكبرى بالزواج من زوج أختها لتربية أبنائها .

ولا تختلف طبيعة هذه العلاقة عن طبيعة العلاقة السائدة بين الأختين فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية سواء بالنسبة للبيوت التى بالصحراء أو البيوت التى تسكن بالقرب من المدن .

ثانيا : الأسرة الممتدة (المشتركة)

أوضحت الدراسة الجينيولوجية بأن الأسرة المشتركة فى مجتمعات البحث الثلاثة (مدينة أسوان الجيل الأول ـ وقرية غرب أسوان ، وبدو العبابدة والبشارية فيما عدا بعض البيوت القريبة من المدن) ، هى النمط الأسرى الشائع حتى وقت اجراء البحث .

وتتكون الأسرة الممتدة (المشتركة) من الأب والام والابناء الذكور والاناث غير المتزوجين والذكور وزوجاتهم وأبنائهم (فى مدينة أسوان وبدو العبابدة والبشارية)(*) والاناث المتزوجات وابنائهن وأزواجهن لاحتوائها

(*) يشيع استخدام مصطلح «عيلة» على الاسرة فى المجتمعات الثلاثة.

على أكثر من جيل ، وتتسم الأسرة المشتركة فى مجتمعات البحث بنظام الاقامة المشتركة ولها صورتان :

ـ اقامة فى مسكن والد الزوج أو بالقرب منه كما هو فى مدينة أسوان قديما ومجتمع بدو العبابدة والبشارية ٠

ـ أو اقامة عند أهل الزوجة كما فى قرية غرب أسوان (وتستمر ١٠ سنوات) ٠

(أ) نظام السكن مع الأب (والد الزوج) :

يسود نظام السكنى فى مدينة أسوان وبدو العبابدة والبشارية الاقامة المشتركة بعد زواج الأبناء مع أسرة والدهم فى نفس المسكن ٠ ونجد جميع البيوت لأهالى أسوان الاصليين ، يعمل الاب حساب ترك طابق بدون سقف (صبة) لحين بلوغ الشاب سن الزواج ، ثم استكمال هذه الغرف للسكنى معه فى نفس المسكن والاشتراك معه فى المعيشة ٠ ويتولى والد الزوج مسئولية الصرف وتلقى عليه جميع المسئوليات ٠ وبذلك تتكون الأسرة المشتركة المقيمة مع والد الزوج من الأب والام والابناء غير المتزوجين ذكورا واناثا والابناء الذكور المتزوجين وزوجاتهم ٠ ويمثل امتلاك البيت للأب عند زواج ابنه شرطا أساسيا لقبول العائلة للشاب للزواج من ابنتهم ٠

وتمثل وحدة هذا البيت وحدة سكنية اقتصادية قرابية عاصبة ، بمعنى أن كل من الأب والابناء الذكور يعملون فى حرفة واحدة ٠ ويتولى الأب رئاسة هذه الاسرة والكلمة الاولى والاخيرة لا بد وأن تكون له ٠ وليس لأبنائه حق الخيار أو الرفض كما يقوم بتقسيم العمل بين الابناء الذكور فى الحرفة التى يعملون بها مراعيا فى ذلك تدرج السن بين الأبناء الذكور ، فيضع للابن الأكبر وضعه بين اخوته الصغار من الذكور والاناث ٠ ويدربه الأب على أن يقوم بدوره عند غيابه للسفر أو لمرضه ٠ كما يقوم الأب بتوفير جميع طلبات الاسرة من المأكل اليومى ، فلا تخرج النساء لقضاء

حاجات المنزل لأن ذلك عيب فى نظر المجتمع · كذلك يقوم باحضار الكسوة الشتوية للنساء والذكور وكذلك الكسوة الصيفية ، وتتولى أم الزوج مهمة تقسيمها على أبنائها الذكور وزوجاتهم وأبنائهم · وتسود داخل الاسرة المشتركة نمط من العلاقات بين أعضائها ·

١ ـ علاقة زوجة الابن بوالد زوجها :

يطلق على والد الزوج مصطلح العم (لأن نظام الزواج فى المدينة قديما هو الزواج العاصب) ، وعلاقة زوجة الابن بوالد زوجها تتسم بالطاعة والاحترام والاحتشام معه فى الحديث وفى ملبسها · فلا تظهر أمامه الا فى زى محتشم وأن يكون رأسها مغطى ، كما لا يسمح لها بالجلوس أمامه أو الضحك ، ولكنه عند غياب أم الزوج (العمة) تتولى هى القيام بدورها لتلبية طلبات والد الزوج واخوته الذكور غير المتزوجين ·

أما فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية ، فان زوجة الابن تنادى والد زوجها بمصطلح «عمى» باعتباره يمثل السلطة العليا فى الاسرة ، وهو فى نظرها امتداد لسلطة والدها · فتتولى الخدمة واعداد الطعام فى حالة سفر أم الزوج أو مرضها أو وفاتها ·

٢ ـ علاقة زوجة الابن بأم الزوج :

تنادى زوجة الابن أم زوجها بمصطلح (عمة) لأنها من أقارب الأب ، أى أنها زوجة العم ، كما تمثل فى نظرها امتداد لسلطة الأب ، فتقوم أم الزوج بتقسيم العمل بين زوجات أبنائها طوال أيام الاسبوع (واحدة تختص بصنع الخبز والثانية طهو الطعام والثالثة غسل الملابس) ، وملاحظة أن هذا العمل يتم يوميا نظرا لكبر حجم الاسرة · كما لا يحق لزوجة الابن أن تعترض أو ترد بأى لفظ أو كلمة خارجة على أم الزوج وعليها الطاعة ، واذا حدث وان عابت فيها أم الزوج فانها تؤجل ذلك الى حين حضور زوجها ، وعندما تنفرد به فى غرفتها الخاصة تقوم بالشكوى له ، وهو يقوم بعد ذلك بالتحدث مع أمه وعتابها على تصرفها مع زوجته ·

واذا حدث وأن أخطأت الزوجة مع عمتها (عابت فيهـا) يقوم زوجهـا بضربها أمام أمه ردا لاعتبارها ومحافظة على كيانها وكلمتها فى المنزل أمام زوجات أبنائها ٠ والابن الذى لا يفعل ذلك يناله السخرية هو وزوجته ٠

وتتفق قبائل بدو العبابدة والبشارية من حيث شكل الأسرة المشـتركة (الممتدة) والمرتبطة بالسكنى بالقرب من والد الزوج بعد مضى من سنة الى سنتين من الاقامة بالقرب من أهل الزوجة ٠ وتتكون الأسرة المشتركة فى قبيلتى العلياب والعشاباب من الأب والأم والابناء الذكور والاناث غير المتزوجين والذكور المتزوجين وأبنائهم والاناث المتزوجات بأزواجهن ولكن لفـترة محدودة ٠ وبعدها ينتقلون للسكنى مع أهل الزوج ٠ وبالنسبة لعـلاقة أم الزوج بزوجات أبنائها فتتسم بطـابع الاحترام والطـاعة لها ٠ وعادة ما يطلق عـلى أم الزوج المصطلح التصنيفى الذى يحـدد لنـا الدرجة القرابية ، بمعنى أنه اذا كانت زوجة الابن من أقارب زوجها تناديها زوجة ابنها بمصطلح عمة باعتبارها زوجة عمها ، أما اذا كانت زوجة الابن من أقارب أم الزوج فتنـادى أم الزوج بالمصطلح التصنيفى الذى يدل عـلى قرابتها ، (من أهل والدها تناديها بمصطلح عمة واذا كانت من أهل والدتها تناديها بمصطلح خالة) ، ويأخذ طابع العلاقة الاحترام والطاعة من جانب زوجة الابن نحو أم الزوج واستشارتها وأخذ رأيها فى كل شىء ٠ فتتولى أم الزوج تقسيم العمل فيما بين زوجات أبنائها الذكور فى خيشهم القريبة ، ولقد لاحظت أن طابع المعيشة يأخذ الشكل الجماعى بمعنى أن تتولى كل زوجة ابن عملا طبقا لتقسيم أم الزوج ٠ فاحداهن تتولى طحن الحبوب والأخرى تتولى خض اللبن والثالثة تتولى طهى الطعـام ، ثم تأخذ كل زوجة فى النهاية الجزء الذى يكفيها هى وأبنائها الى خيشتها ٠

٣ ـ علاقة زوجة الابن بالأخوة الذكور للزوج :

تتسم هذه العـلاقة بطـابع التحاشى بالنسبة للأبناء الذكور البـالغين وزوجات اخوانهم الذكور ٠ فلابد أن يراعى الأخ الأعزب عند دخول المنزل أن يعلن عن دخوله باطلاق كلمات (يا ساتر أو يكح) حتى تأخذ زوجات

الاخوة حرصهن وان يلتزمن بالاحتشام . أما من ناحية زوجة الأخ ، فعليها أن تقوم بتنفيذ جميع احتياجاته واعداد الطعام له وغسل ملابسه . وكذلك لا بد أن تراعى فى حديثها الالتزام بالاحتشام ، فلا تطلق ضحكات عالية أمامه أو تتفوه بكلمات خارجة . وعادة ما ينادى أخ الزوج الأعزب زوجات أخواته بأسـماء أبنائهن (الذكر الأكبر أو الانثى الكبرى) وأما زوجة الأخ فتنادى أخوة زوجها بأسمائهم .

أما عند العبابدة والبشارية ، فتتسم علاقة زوجة الابن بأخوة زوجها بالتحاشى ، بمعنى انه لا يمكن لأخ الزوج الدخول فى خيشة أخيه فى غيابه. واذا تطلب الأمر الزيارة ، فعليه أن ينادى على أخيه أو أحد ابنائه حتى لا يكسر حشم الخيشة بدخوله بدون علم . كما يلاحظ عادة أن هناك قسم من الخيشـة أو خيشة خاصـة للأبناء أو الاخوة الذكور غير المتزوجين فى خيش الأسرة المشتركة فى البيوت التى تسكن الصحراء .

أما بالنسبة لشـكل الأسرة فى البيـوت التى سكنت بالقرب من المدن فنجدها تختلف فى شـكلها وتركيبها عن مثيلتها . اذ لا يوجد نمط الأسرة المشتركة عند أبو الزوج أو السكنى المتقاربة منه ، طبقا لاختـلاف طبيعة المنطقة التى تقيم فيها هذه البيـوت ، فلم يشترط أن يسكن الابن بجوار والده لتدخل عدة اعتبارات ، الأول نظام الحرفة أو العمل الذى يقوم به الابن قد يتطلب منـه أن يسكن بجواره (اذا كان عاملا فى أحد مصـانع ادفو) واذا كان عاملا فى مصانع كيما فى أسوان فيقيم بالمستعمرة السكنية الخاصة بالشركة . بالاضافة الى عدم التزام سـاكنى هذه البيوت طبقـا للتدرج القرابى عند استقرارها فى المناطق القريبة من المدينة ، بالاضافة الى صغر المسـافة بين كل بيت وآخر يمنـع أى ابن أن يبنى الى جوار والده . وذلك لا يعتبر الأسرة المشتركة ذات سكنى عند الأب والتى تتضمن أكثر من جيل هى النمط الأسرى الرئيسى أو الشائع فيما بين هذه البيوت هى الأعم باستثناء احتفاظه بمبدأ اقامة البنت وزوجها بعد زواجها لمدة سنة أو سنتين لحين تدبير مسكن خاص له ولأسرته .

٤ ـ علاقة الاخوة الاشقاء وغير الاشقاء :

أوضحت الدراسة الجينيالوجية لعينة من عائلات أسوان كثرة نظـام تعدد الزوجات فى العائلة فى مدينة أسوان فى الجيل الأول ، وأخذت تقل فى الجيل الثانى حتى انعدمت فى الجيل الثالث والرابع . ويرجع انتشار هذا النظام التعددى للزوجات بالنسبة للشباب وذلك من أجل انجاب الذكر أو بسبب عقم الزوجة الاولى . وكثيرا ما يتدخل الوالدان فى زواج الابن للمرة الثانية من أجل الانجاب وبالتالى يكون هناك نوعان من الاخوة : الأشقاء من أم وأب واحد ، وغير الأشقاء من أب واحد وأمين مختلفتين . وتتسم علاقاتهم بطابع الشجار وروح الكراهية المستمرة منذ طفولتهم لأنهم بذلك يمثل كل طرف منهم حالة والدته وتستمر هذه الروح بينهم حتى سن البلوغ والشباب . وكثيرا ما نجدهم منقسمين على بعضهم بمجـرد وفاة الأب . فيبدأ كل أخ باخوته الاشقاء وتحديد نصيبهم فى الملكية ثم الفصل . كما تتفق عائلات العبابدة والبشارية فى وجود الاخوة الاشقاء وغير الاشقاء فى سكنى متقاربة . ويكون ذلك نتيجة لموت الزوجة أو مرضها أو عقمها .

(ب) الأسرة المشتركة والاقامة عند أهل الزوجة :

تتكون الأسرة المشتركة من الأب والام وأبنائهما الذكور والاناث غير المتزوجين ، وبناتهما الاناث المتزوجات وأزواجهن وأبنـائهن . ويلاحظ أن جميع عائلات قرية غرب أسوان تضع فى اعتبارها منذ ميلاد الانثى أن يكون لها جزء فى منزل والدها يترك لها وعلى اسمها (وهو عبارة عن قبوتين أمامهما حوش والقبوتان بدون سقف) . وعند بلوغ الفتاة سن الزواج يبدأ الأب فى بناء سقف الغرفتين ، ويأخذ المنزل النوبى فى قرية غرب أسـوان الشكل الطولى بحيث يتسع لسكنى جميع اناث الأسرة . ويلاحظ أنه يوضع باب فاصـل بين سكن الابنة وزوجها وبين مسكن والدها حتى لا يحد من حركة العـائلتين (عائلة الأب وعائلة الابنة) . وتتولى أم الزوجة طوال الفترة (٣ ـ ١٠ سنوات) التى تقيم فيها ابنتها معها هى وزوجها ، تقوم بمساعدتها فى تربية أبنائها واستكمال تدريبها على الأعمال المنزلية لصغر سنها وتحملها مسئولية أكبر منها .

أما بالنسبة لطبيعة العلاقات داخل هذه الأسرة فتتسم بطابع التحاشى من جانب زوج الابنة بالنسبة لكل من أم الزوجة واخواتها الاناث ، فهو لا يعتبر فى هذه الحالة قريبا ولكن نسيب (زوج ابنتهم) . ولذا تتحاشى أم الزوجة أن تظهر أمامه بكثرة الا اذا كانت فى زى محتشم وتكتفى بالسلام عليه وبعدها تختفى من أمامه . كما لا يسمح لأم الزوجة بالجلوس فى المجلس الذى يوجد فيه زوج ابنتها أو التحدث فيه . ولا بد من مراعاة عدم ارتفاع صوتها أو الضحك أمامه . أما بالنسبة لأخوات الزوجة الصغار فى السن ، فيتحدثن اليه على أنه قريب . أما الاناث اللاتى يقترب سنهن من سن الزواج فلا يخرجن أمامه الا فى زى محتشم . كما لا يحق لها أن تقف وتتحدث معه فى الطريق العام أو تتحدث اليه أو تمشى الى جواره . واذا كانت تقف أمام البيت ومر هو أمامه تسارع بالدخول وغلق الباب حتى يمر . وعلاقة التحاشى هذه لا تقتصر على الاناث اللاتى فى سن الزواج بل تشمل أيضا النساء الأخريات اللاتى يقمن فى نفس المنزل مع أزواجهن . فمن العيب أن تقف الأخت المتزوجة أمام زوج أختها أو تتحدث معه . واذا حدث يكون بصورة سريعة خاطفة وسرعان ما تجرى الأخت من أمامه . كما لا يحق لزوج الابنة الدخول من باب مسكن أبو الزوجة الا اذا طرق على الباب ونادى ليعلم بدخوله حتى تختفى النساء من طريقه .

أما بالنسبة لعلاقة زوج الابنة ووالد زوجته :

فهو يناديه بالمصطلح التصنيفى الذى يدل على درجة قرابته ، فاذا كان من أقارب أم أبو الزوجة يناديه بمصطلح خالى واذا كان من أقارب والد أبو الزوجة يناديه بمصطلح عمى . وينطبق هذا المصطلح على جميع الاقارب سواء من الدرجات القرابية القريبة أو البعيدة من داخل القبيلة حتى ولو كانوا يسكنون فى نجوع مختلفة .

أما بالنسبة للعلاقة بين زوج الابنة وأخوتها الذكور الأصغر منه سنا ، فيعامل على أنه أخ كبير لهم . يحترمون وجوده فى المجلس ، فلا يتفوهوا بكلمات خارجة . أما بالنسبة للاخوة المتقاربين معه فى السن فيعاملونه

على أنه أخ لهم ، يستعينون به ويقف معهم فى جميع المواقف خصوصا اذا كان ابن عم قريب من داخل جماعة البيت العاصب • أما اذا كان من درجة قرابية أخرى ـ ابن خال أو خالة ـ فانه يقف معهم فى الشدة والنزاعات موقف المحايدة ، يتدخل لحسم الخلاف وليس للاشـتراك فيه كابن العم القريب •

ونخلص من ذلك الى أن الأسرة المشتركة هى وحدة قرابيـة عاصبة (مزدوجة) واقتصادية متعاونة يمثل فيها الأب الرئيس المنظم لها لأنه هو الذى يقوم بتوزيع الادوار الوظيفية بين أبنائه • ففى المجتمع الزراعى أو المجتمع التجارى يقوم بتوزيع الاختصاصات والأعباء بين أبنائه (مثـل مدينة أسوان وقرية غرب أسوان) من فصل الى آخر • أما فى المجتمع الذى يعتمد على حرفة الرعى والتجارة (مجتمع بدو العبابدة والبشارية) فنجد أيضـا أن الأب يقـوم بتقسيم الاختصاصات بين أبنـائه • فمنهم من يقوم باعداد القافلة المسافرة ، ومنهم من يقـوم بالرعى • ويلاحظ أن سـمة الاشـتراك فى وحدة سـكنية واحدة أو وحدات سكنية متقـاربة من أهم السمات التى تختص بها الأسرة المشتركة ، بالاضـافة الى سيادة الملكيـة الجماعية على الملكية الفردية طوال حيـاة الأب ، ومن بعـده ينوب عنه الأخ الأكبر لتنظيم ومراعاة استمرار تماسك الوحدة الاقتصادية القرابيـة العاصبة ، فيما عدا مدينة أسوان التى تتغير فيها الظروف الاقتصـادية وبالتالى تاثر كل من شكل الملكية ونظام الاقامة والنمط الأسرى •

ثالثا : البـــدنة

تمثل العيلة (البدنة) فى مدينة أسوان أكبر الجماعات القرابية العاصبة التى تتكون من مجموعة بيوت ، وكل بيت يتكون من مجموعة من الأسر جميعهم ينتمون الى جد مشترك •

ويصل عمق العلاقات فى مدينة أسوان من ثلاثة الى خمسة أجيال وتضم بدورها جميع الأعضاء الأحياء والموتى من الجد المؤسس لها حتى الجيل

الحالى (وقت اجراء البحث) . والمرأة فى العيلة العاصبة تنتسب الى عيلة والدها. أما بعد زواجها ينتسب أبناؤها الى عيلة والدهم. وتلقب كل عائلة فى مدينة أسوان حاليا باسم الجد المؤسس لها . ويتناقل اسم كبيرهم (مؤسسها) طوال الأجيال كنوع من التفاخر لأعضائها لنسبتهم الى هذا الجد والى عائلته . ولذا نجد أن الآباء والأبناء يحافظون على تكرار اسم هذا الجد . ويعتبر هذا أحد عوامل تماسك العائلات فى المدينة . كما كانت العيلة فى الماضى فى أسوان وحدة قرابية عاصبة تتمثل فى وقوف جميع أعضائها باختلاف الأجيال للدفاع عنها اذا وجهت اهانة الى أى عضو أو اعتداء . كما يقفون موقف الرجل الواحد فى حالة حدوث أى نزاع بين أى عضو من بيوتها أو الأسر التابعة لها . كما تمثل فى نفس الوقت وحدة سياسية اقتصادية مستقلة ، وذلك ما يسود بين أعضائها ويعرف بالحقوق والواجبات التى تكون ملزمة وعلى الجميع أن يراعى تنفيذها (الزواج من ابنة العم اللزم ، تأدية العزاء والاشتراك فيه طوال فترة الحداد ، مساعدة العضو المريض وأسرته فى حالة عدم اشتغاله أو حدوث تلف أو خسارة فى تجارته ، وتعاون رؤساء البيوت فى تقديم المساعدة المادية له والعون لكى يستعيد مركزه التجارى) . كما تفرض اشتراك الاعضاء فى العيلة فى حرفة اقتصادية واحدة (التجارة) الى سيادة نظام الاقامة عند والد الزوج (أبو الزوج) . وتشتهر عائلات أسوان كل باسم الجد المؤسس لها بالاضافة الى الحرفة التى تشتغل والتى تتناقل مع اسم الجد المؤسس طوال الأجيال حتى الجيل الحالى . فمثلا تشتهر عائلة غربى بتجارة الأقمشة والادوات المنزلية والحلوى والسجاير ، وتشتهر عائلة بيومى بتجارة الجمال والاغنام من أسوان الى السودان . ومشالى أبو زيد بتجارة البلح والحبوب من أسوان للقاهرة والسودان ، وعائلة سنيم بامتلاكهم العقارات وصنادل النقل فى النيل لنقل البضائع . وحتى وقت اجراء البحث يتفاخر أعضاء كل أسرة منها بنسبتهم الى بيت من بيوت هذه العائلات ، لما كانت تتمتع به هذه العائلات فى مجتمع المدينة من مكانة اجتماعية ومكانة اقتصادية وقوة التماسك القرابى العاصب من خلال الزواج الداخلى (الزواج من بنات العم

المباشرين) ثم اتساع دائرة علاقاتهم من خلال الزواج الخارجى من عائلات المدينة ومن القرى المحيطة بمدينة أسوان (الجعافرة) فأصبحت العائلة بأبعادها الثلاثة (المكانة الاجتماعية والوضع الاقتصادى ، والعلاقات القرابية) تمثل بذلك وحدة مستقلة تتسم علاقاتها بمستويين :

الأول : علاقات مع بقية عائلات محافظة أسوان بصفة كلية .

والثانى : اتصال عائلة بعائلة أخرى فتكون العلاقة على مستوى العائلات وتكون أيضا على مستوى البيوت والأسر المكونة لها .

وبذلك نصل الى القول بأن العيلة فى مدينة أسوان تقوم أساسا على القرابة العاصبة لأنها هى الأساس فى تكوين الاسرة النووية التى تولد فيها العلاقات للنسق القرابى ، والتى تكبر وتترعرع معه . كما نجد الفرد يشعر دائما شعور الفخر بالمكانة الاجتماعية التى تحتلها عائلته . وهو يستمد منها مكانته أمام أى عضو غريب عنها للحفاظ على وحدتها الاجتماعية . فكان فى الماضى لا يستطيع الذكر بعد زواجه أن ينفصل بسكنى مستقلة لأن العائلة ومجتمع المدينة (عائلات المدينة) لا يرحبان بذلك ، وحتى لا تضعف أو تتفكك وحدة العيلة وبيوتها ، الا أن هذا لم يستمر وظهر لنا فى الأجيال الأخيرة ـ عند دراسة شجرة النسب لاحدى عائلات مدينة أسوان (عائلة غربى) سيادة روح الانفصال فى العمل والمسكن بين شبابها . فى حين فى الماضى لم يكن ليتغير هذا الوضع الا فى حالة موت الأب للبيت أو للاسرة ويترتب على ذلك حدوث خلافات بين الأبناء الذكور المتزوجين المشتركين فى التركة والمسكن ، بالاضافة الى اختفاء الزواج الداخلى فيما بين بيوت العيلة والاتجاه الى الزواج من خارج المحافظة مما أدى الى سيادة طابع المصلحة الفردية على روح التعاون ومصلحة الجماعة .

البدنة(*) فى قرية غرب اسوان : تعتبر جماعة قرابية عاصبةتتكون من

(*) البدنة = (أولاد) يكثر استخدام مصطلح أولادفىحديثهمالعادى.

عدد من البيوت ،وكل بيت يتكون من مجموعة من العائلات التى تتكون من مجموعة من الأسر النووية ،وجميعهم ينتمون الى جد مشترك .ويصل عمق البدنة فى قرية غرب أسوان الى سبعة أجيال (من ٤ ـ ٧ أجيال) يرجع نسب كل من الذكور والاناث غير المتزوجين والذكور المتزوجين وأبنائهم الى الأب (الجد المؤسس) . أما بالنسبة لأبناء الاناث فينسبون الى أزواجهن . ولقد أوضحت الدراسة الجينيالوجية شيوع تكرار اسم الجد المؤسس للبدنة (حميد) حتى الجيل الخامس . ومع بداية الجيل الخامس أخذ يختفى التمسك بالتسمية بهذا الاسم . وتمثل البدنة فى قرية غرب أسوان وحدة سياسية اقتصادية مستقلة من خلال البيوت التى تتكون منها العائلات أو الأسر المشتركة التابعة لها . وهذا يظهر فى أوقات الشدة ، فالجميع يتعاون ويتساند . وعند وفاة أحد الاعضاء يتعاون الجميع فى تأدية العزاء وفى مساعدة أسرة أو بيت المتوفى فى زراعتهم وتلبية احتياجاتهم الأخرى . كذلك فى الأفراح ، يتعاون الجميع بالاشتراك بمجهودهم وتقديم الهدايا والنقود الملزمة . كما يقفون موقف الرجل الواحد فى حالة حدوث نزاع بين أى عضو من أعضاء أحد البيوت التابعة للبدنة مع عضو خارجى للدفاع عنه . أما فى الخلافات الداخلية فيسارعون بالتدخل بالصلح وحسم الخلاف ومنعه من الاتساع كما يظهر لنا هذا التساند كوحدة سياسية قرابية مستقلة فى انتخابات العمدية حاليا ، ورئيس وأعضاء الجمعية التعاونية فى صراع وتنافس ومحاولة كل بدنة أن يخرج من بيوتها عضو يمثلها فى المجالس النيابية (الحزب الوطنى) والوظائف القيادية . وبذلك تحتل البدنة فى المجتمع النوبى مكانة اقتصادية واجتماعية وقوة قرابية عاصبة من خلال محافظة البدنة على الزواج الداخلى من بين بيوتها ، وهذا يزيد من قوة التماسك العاصب للبدنة . كما تبدو لنا البدنة كوحدة مستقلة تتمثل لنا فى طبيعة العلاقات التى تنتج عنها . فهناك علاقات على مستوى القرية ككل ، وهناك طبيعة بين بدنة وأخرى متمثلة فى البيوت والعائلات المكونة لها .

كما كان لنظام الاقامة فى قرية غرب أسوان دور هام أن يجمع بين القرابتين ـ العاصبة والأمومية ـ فى منطقة واحدة (الاقامة عند أهل الزوجة) وعودة الأبناء الذكور للسكنى مع والدهم ، أو بالقرب منه ـ فان ذلك يزيد من قوة تماسك البدنة كوحدة مستقلة ليس فقط نتيجة لاشتراك الابن مع والده فى نفس الحرفة (الزراعة أو التجارة) ولكن نتيجة لقوة القرابة الأمومية جنبا الى جنب الى القرابة العاصبة بالرغم من سيادة النسب العاصب فى قرية غرب أسوان حافظت على عدم استقلال الشاب فى الاقامة أو الحرفة حتى وقت اجراء البحث حتى لا يضعف من تماسكها ٠

ونوجز القول بأن البدنة فى قرية غرب أسوان تقوم فى الأساس الأول على عامل القرابة متمثلا فى أسرة باعتبارها الجماعة الأولية التى تظهر فيها أولى العلاقات الأساسية والأولية للنسق القرابى ٠ بالاضافة الى أن عضو البدنة مع الغرباء يفتخر بانتمائه الى الجد المؤسس لها ، لأنه يستمد منها مركزه مع مراعاة المحافظة على تقاليدها وعدم الخروج عنها ٠

كما أوضحت لنا الدراسة الجينيالوجية أنه قد تتوفر الظروف الايكولوجية والاجتماعية لأحد الأعضاء لبيت من البيوت (حسين أرباب من بيت آل أرباب) من بدنة حمد الى مساعدته فى الانفصال عن بدنته والاقامة فى مجتمع قرية (غرب سهيل) ٠ ولقد كان لنظام الزواج المفضل فى قرية غرب أسوان فيما بين أبناء العمومة والخؤولة أن قام حسين أرباب بالزواج من ابنة خاله الذى يسكن بدوره فى قرية (غرب سهيل) خلف خزان أسوان ٠ فاضطر هذا العضو الى ترك الاقامة مع أعضاء بدنته فى قرية غرب أسوان والهجرة للاقامة فى قرية غرب سهيل ٠ ولقد ساعدته الظروف الاقتصادية الميسرة من حيث الأرض الزراعية وتوفر المياه ٠ فلم يعد للاقامة مع أسرة الوالد بعد انقضاء فترة الاقامة عند أهل الزوجة ٠ واستمر يقيم فى هذه القرية وأنجب خمسة ذكور وأربعة اناث ٠

وبمرور الأجيال كبرت جماعة حسين أرباب من خلال المحافظة على

نظـام الزواج الداخلى من داخل البيت الواحد ومن بين بيـوت البدنة الرئيسية بقرية غرب أسوان . فنجد جميع أبنائه وبناته تزوجوا من أبناء عمومتهم وخؤولتهم واستقروا فى نفس هذه القـرية . واستمروا جميعـا بحكم الاقامة تحت اسم جماعة أو بيت «حسين أرباب» الذى تناقل اسمه بين أجيال أبنائه وأحفاده حتى الجيل الأخير وأصبحت تسمى جماعتـه المقيمة فى قرية غرب سهيل باسم حسين أرباب .

ولكن برغم هذا الانفصـال الذى يبدو ظاهريا من حيث تغـير مكان الاقامة الا أن جماعة حسين أرباب وأبناؤه مازالوا ملتزمين بالواجبات التى تحدث فى بدنتهم ، وعليهم حقوق نحوها . فمازالوا يشاركوهم فى مآتمهم وأفراحهم بانتقال أعضاء جماعة «حسين أرباب» من قريتهم للاقامة فترة عنـد حدوث أى ظرف طارىء ليشاركوا بمجهودهم وبالتعـاون معهم فى الأفراح ومواساتهم فى المآتم ، ويمكثون مدة أسبوع هناك ، كما يشـاركون بالنقوط . وفى أيام الانتخابات تسارع جمـاعة «حسـين أرباب» بالعودة للوقوف الى جانب بدنتهم وبيوتهم لتعضيدهم فى الانتخابات . ويظهر لنا فى محافظة الجماعات القرابيةالمشتقة عنالبدنةالاصلية(حمد)علىالزواجمن بيوت بدنتهم الرئيسية . ولقد حدث أثناء الدراسة الميدانية أن حضر أحد أحفاد حسين أرباب من قرية غرب سهيل للزواج من احدى حفيدات بيت عمـه شعبان الذى يقيم فى قرية غرب أسوان والاقامة مع أهل زوجتـه فى قرية غرب أسوان .

وهكذا بالرغم مما حدث من انفصـال أحد أعضـاء البدنة الرئيسية (حمـد) فى قرية غرب أسوان فى الجيل الثالث وتكوينه لجماعة قرابيـة أخرى تدعى باسمه فى قرية غرب سهيل نتيجة لتوافر عدد من الظـروف منها نظام الزواج من بين أبناء العمومة والخؤولة ونظام الاقامة عند أهل الزوجة وتوافر ظروف اقتصادية أيسر (امتلاكه أراضى زراعية جديدة بقرية غرب سهيل) . ساعدت هذا العضو (حسين أرباب) على الانشـقاق من بدنته الأصلية (حمد) . ولكن بالرغم من أن البدنة فى قرية غرب أسوان

تمثـل نسق انقسامى الا أنها تعتبر نسقا متكاملا مع الجمـاعات المنشقة منهـا ٠ ويظهر لنا فى صور الالتزامات التى يقوم بها أعضـاء الجماعات المنشقة نحو أعضاء بدنتهم الرئيسية ومحافظتهم على نظام الزواج الداخلى بين البدنة الرئيسية وبيوتها والجماعات المنشقة بالرغم من البعد المكانى ٠

أما البدنة (عمائر) عند بدو العبابدة والبشـارية فلا تحـدد بحـدود واضحة أو لهـا اقليم مكانى ثابت كمـا هو فى قرية غرب أسوان ٠ ولكن نظرا لتدخل الظروف الايكولوجية وعدم الاستقرار ، تؤدى الى اسـتقرار جماعات البدنة وبيوتها ٠ فى مناطق متفرقة ، وكثيرا ماتكون فى أماكن بعيدة وعلى مسافات شاسعة عن الموطن الأصلى للقرية ٠

وتمثل وحدة البدنة فى مجتمع العبابدة والبشارية جماعة قرابية عاصبة تتكون من مجموعة من البيوت ، وكل بيت يتفرع الى عديد من العائلات وجميعهم ينتسبون بانتمائهم الى الجد المشترك المؤسس لهذه الجماعة ٠ ويصـل عمق البدنة من خمسة الى ثمانية أجيال ٠ والجميع يرجع نسبه الى الخط العاصب ، ولذا يكون لجميـع الذكور والاناث غير المتزوجين والذكور المتزوجون وأبنـــائهم حق الميراث فى ممتلكات هذا الأب ٠ أما بالنسبة للاناث المتزوجات وأبنائهن فينسبون لأزواجهن ٠

كما أشارت لنا الدراسة الجينيالوجية لقبيلتى العليـاب البشـارية والعشاباب العبادية تمسك الآباء وأبنائهم الأحفاد بتكرار اسم رئيس هذه الجماعة القرابية (البدنة) التى تعرف بمصطلح (عمائر) فيما بين بيوتها وعائلاتها ٠ ويدل هذا على وحدة تماسك هذه الجماعة على مر الأجيال حتى الجيل السادس ٠ ولكن فى الجيل السابع ظهر فى البيوت التى هاجرت وسكنت بالقـرب من المدن قلة التمسك بأسماء الآباء والأجداد وأدخلوا تسميات جديدة تأثرا بأسماء المدن التى اقتربوا منها ٠

وتمثل البدنة فى مجتمع العبابدة والبشارية ـ وحدة اقتصادية وسياسية وقرابيـة عاصبة بيوتها وفروعهـا ٠ ويظهر ذلك فى أوقات الشدة خصوصا

فى مواسم الجفاف الطويل الذى تجدب فيه المراعى وتقل فيه ميـاه الآبار وبالتـالى تتعرض كثير من قطعان الأغنام للهلاك . الا أنه قد يكون لدى أحد بيوت هذه البدنة وفروعهـا حظ أحسن من غيرها من البيوت بحيث يكون استقرارها بالقرب من واد تقترب فيه المياه من سطح الأرض فيمكنهم الحصول على ماء يساعدهم على سقاية الاغنام ونمو الاعشاب للرعى وأن يكون لدى البدنة قدرا وافرا من المياه ، فيقوم هذا البيت بتقـديم العون لبقية بيوت البدنة التابع لها والقريبة منه أو تسمح لعائلات البيت القريب منها برعى أغنامه فى مراعيها .

كما تظهر لنا صورة التماسك فى أوقات النزاع التى تحدث بين أى عضو من أعضائها مع عضو غريب أى من خارج البدنة . فجميع أعضاء البيت الواحد يقفون موقف المساند والمدافع عن العضو باعتبارهم أقارب عاصبين وينسبون جميعهم الى جد مشترك هو مؤسس بدنتهم . كمـا تقف البدنة موقف الرجل الواحد هى وبيوتها عند اعتداء أى بيت من البيوت القريبة منهم على أغنامهم أو بالحرق أو بتسميم مياه آبارهم ، أو استخدام المياه والمراعى بدون استئذان . فان الخسـارة لبطن من البطون تمثـل اهانة وتعديا على جماعة البدنة ككل .

وكثيرا ما تساعد الظروف الايكولوجية غير المستقرة لمجتمع قبـائل العبـابدة والبشـارية على حدوث انشـقاق داخل وحدة البـدنة الواحدة واستقرارهم فى مكان بعيد عن بقية بيوت بدنتهم . وتعتبر عملية الانفصال هذه من الأمور المتعارف عليها فى المجتمع الصحراوى للعبابدة والبشـارية خصوصا اذا توافرت فى أعضاء أحد هذه البيوت مواصفات الزعامة . ومن المعروف أن طبيعة حياة البدو تصبغ الشباب منهم بصفات الزعامة منـذ صغره (الاعتمـاد عـلى النفس والشجاعة ، الصـبر ، وقوة التحمـل ، والاعتزاز بالنفس) . فكثيرا ما تساند هذه الصفات الشخصية مع الظروف الايكولوجية الصعبة وغير المستقرة الى حدوث الانشقاق .

فاذا أخذنا على سـبيل المثال بدنة (كرباب) فى المجتمـع البشـارى

وبدنة (حداب) في المجتمع العبادى نجد أن بدنة (كرباب) انفصل عنها أحد أعضائها ويدعى (كرار) وكون له جماعة قرابية اشتملت على أبنائه الذكور وأسرهم وسكنت بالقرب منه طبقا لنظام الاقامة السائد ، اقامة الابن بالقرب من والده بعد زواجه ، وبناته وأزواجهم لفترة محدودة ، واستقروا في صحراء عيداب بالقرب من جبل جميرة . وبمرور الأجيال وبمحافظتهم على نظام الزواج الداخلى ، أى من الدرجات القرابية العاصبة والاقارب من ناحية الأم . كبر حجم هذه الجماعة وتفرعت منها بيوت وعائلات وأصبح كرار هو الجد الأكبر لهذه الجماعة القرابية العاصبة . يتناقل بين أجيال هذا القسم (البدنة) حتى وقت اجراء البحث (بالنسبة للبيوت التى تسكن الصحراء،البعض منهم استقر بالقرب من الحدود السودانية والبعض الآخر مازال يسكن صحراء عيذاب) .

وبالمثل ساعدت الظروف الايكولوجية والسمات الشخصية لأحد أعضاء بدنة (حمداب) العبادية وهو (عبد المتعال) بالانفصال عن بدنته مكونا جماعة اشتملت على أبنائه الذكور وأسرهم وبناته وأزواجهم لفترة محدودة . وبمرور الزمن كبر حجم هذه الجماعة وارتبط اسمها باسم الجد (عبد المتعال) .

وبالرغم من توافر الظروف المهيئة لحدوث الانفصال فى البدنة لدى المجتمع العبادى ، والبشارى ، الا أن هذا الانفصال يمثل انفصالا ظاهريا . واستمر التكامل بين الجماعات المنشتقة (البدنة الصغرى) بالجماعة الكبرى(البدنة الرئيسية)فى جميع المواقف الاجتماعية ، كالمآتم والزواج وأوقات الأزمات الاقتصادية والنزاع والبحث عن القاتل للأخذ بالثأر منه ، ومحافظة أى من البطون التى تسكن المناطق الصحراوية على الزواج الداخلى . وبالرغم من البعد المكانى بين البدنات ، فهناك بدنات تستقر على الحدود السودانية مثل بدنة (جامات العبادية) وبدنة (سعدلاب) البشارية ، نلمس حرصهم على الزواج من أقاربهم من البدنات الأخرى على الرغم من هذا البعد المكانى .

رابعا : القبيــــلة

هى جماعة قرابية كبيرة تتكون من تجميـع لعدد من البـدنات (أو البيــوت) كما فى المجتمــع النوبى وكما هو لدى جماعات بدو العبــابدة والبشارية • وكما هو معروف فى الكتابات الانثروبولوجية ، مع مراعاة أنه لا تتفق القبيلة فى خصائصها مع البدنة من حيث الاكتفاء الذاتى والتمايز وصغر الحجــم ، ولــكن يرجع انتمــاء القبيــلة مع ذلك الى جد واحد مشترك ، اذا نظرنا الى الناحية البنائية للقبيلة ومكوناتها ، نجدهما قد يتقاربوا ويتباعدوا بنائيا حسب التسلسل الجينيالوجى لمؤسس القبيلة • أما بالنسبة للأولاد المكونة للقبيلة ، تجدها أقرب بنائيا لبعضهم البعض عن أى جماعة أخرى تنتمى الى بيت آخر من بيوت القبيلة • ولهذا نجد أنه يسود بينهم نظــام الزواج الداخلى فيما بين «الأولاد» الواحد • أى أن الشاب عندما يتزوج يبدأ الاختيار فيما بين البيــوت الأخرى من نفس القبيــلة كمــا يراعى فيه أن يكون الزواج لنــوع خط النسب السائد فى القبيلة ، أى اذا كان نسب أبوها يختار فيما بين الأقاب العاصبين أما اذا كان نسبا فى خط أمومى فيختار فيما بين أقارب الأم •

ولهــذه الجماعة الكليــة (القبينة) قواعد وحقوق والتزامات لا بد أن يراعيها أعضاؤها نظرا لاشتراك أغلب الأعضاء فى الحرفة والملكية وبعض الشئون الأخرى • ففى الملكية مثلا تنقسم طبقا لأقسام القبيلة (البيــوت) ولكن ليس للفرد حق التصرف بالبيع فيما يملكه ، الا أنه لا يجوز له طبقا لعرف أو لقانون القبيلة لأنه عار •

وقد استقر رأى الباحثة أن تختار من كل مجتمع من مجتمعات بحثها قبيلة ، وقامت بدراســتها جينيالوجيا • ففى قرية غرب أســـوان قامت باختيار قبيلة الونساب • باعتبارها أكبر القبائل فى قرية غرب أسوان من حيث الحجم لأنهــا تضــم حوالى ٤٠٪ من ســاكنى القرية • وفى مجتمع العبابدة اختارت الباحثة قبيلة العشاباب نظرا لقرب توزيع فروعهــا من

مدينة أسوان . وفى مجتمع البشارية اختارت الباحثة قبيلة العلياب نظرا لقربها أيضا من مدينة أسوان . أما فى مجتمع مدينة أسوان فقد اختارت الباحثة عائلة «غربى» .

١ ــ قبيلة الونساب(*) : قرية غرب أسوان

تعد هذه القبيلة أكبر القبائل الموجودة فى القرية من حيث الحجم ، اذ تضم حوالى ٤٠٪ من أهالى القرية ، كما أنها أكبر القبائل انتشارا ، فاقامتها لا تقتصر على نجع واحد ، بل تتوزع فروعها فى نجوع متعددة .

وقد تناولت الباحثة هذه القبيلة بالتحليل من خلال دراسة شجرة النسب «لبيوتها» «وأولادها» . وقد اتخذتها كنموذج للقبائل التى لم تستقل بالاقامة فى نجع واحد ، كما نلاحظ من ناحية أخرى استقلال بعض فروع منها بالسكنى خارج القرية .

وترجع تسمية قبيلة الونساب الى الجد الأكبر المؤسس لها وهو «الونس» . وتتكون هذه القبيلة من أربعة بيوت هم : العدلاناب ، والأرخباب ، والحمدلاب ، والتهاماما . وترجع تسمية هذه البيوت الى الأبناء الاربعة للجد الكبير «الونس» . (انظر الرسالة ، حيث تجد دراسة مفصلة لشجرة نسب هذه القبيلة على صفحات ٢٨١ ــ ٢٨٨) .

٢ ــ قبيلة العلياب(**) : البشارية

هى احدى القبائل البشارية الموجودة فى جنوب الصحراء الشرقية ، ويتوزع أغلب فروعها داخل الحدود المصرية . وقد اختارت الباحثة هذه القبيلة كعينة لدراستها للتجمع البشارى الموزع فى الصحراء الجنوبية الشرقية لقرب أغلب بيوتها من منطقة أسوان . ذلك أن أغلب

(*) يلاحظ اضافة مقطع «آب» الى كل كلمة أواسم يدل على القبيلة ذلك لأن آب فى اللغة النوبية الكنزية تدل على النسبة للقبيلة .

(**) يلاحظ أن كل كلمة تنتهى بـ «آب» يعنى بها فى اللهجة البجاوية الأبناء أو الأولاد ، فالعلياب هم أبناء على .

القبائل البشارية تتوزع داخل الحدود السودانية ، باستثناء قبيلتى العلياب (بجوار أسوان) والحمدوراب (بجوار دراو) ٠ وقد تناولت الباحثة هذه القبيلة بالتحليل من خلال دراسة شجرة النسب لبيوتها وعائلاتها أو بطونها(*) (انظر الرسالة ، صفحات ٢٨٩ ـ ٣٠٢) ٠

وترجع تسمية قبيلة العلياب نسبة الى الجد الأكبر المؤسس لها «على» ٠ وهى تتكون من ثمانية «بيوت» هى : كرباب ، وهلاكى ، ومنسراب ، وحسينات ، وسعداب ، وعامراب ، وكراراب ، وأميرلاب ٠ وهذه البيوت مسماة نسبة الى الأبناء الثمانية للجد المؤسس على ٠

٣ ـ قبيلة «غربى» : مدينة أسوان

هذه القبيلة هى احدى عائلات أسوان التى اختارتها الباحثة عينة لأهالى مدينة أسوان الأصليين ، الذين يغلب عليهم طابع الاستقرار فى منطقة واحدة ، أى يتميزون بقلة تأثرهم نسبيا بالتغيرات التى طرأت على المحافظة عامة والمدينة خاصة(**) ٠

ومن جهة أخرى راعت الباحثة عند اختيارها لهذه الأسر أن تكون اقامتها المتصلة لمدة ثلاثة أجيال على الأقل فى نطاق المدينة ، ولذلك تعتبر عائلة «غربى» احدى العائلات المستقرة فى مدينة أسوان من قبل عام ١٩١٢ الى وقت اجراء البحث (حوالى عام ١٩٨٠) ٠

(*) يشيع استخدام مصطلح بطن ليدل على العائلة فى حديث كبار السن من العبابدة والبشارية فى موضوع تسلسل شجرة النسب للبيت أو القبيلة ٠

(**) تعرضت مدينة أسوان فى سنة ١٩٣٠ لسيل شديد أدى الى هجرة بعض الأسر الى خارج نطاق المدينة ؛ ثم عاد بعضها مرة أخرى ٠ وهناك بعض العائلات الاسوانية التى خرج منها أبناء استقروا خارج المدينة بسبب التجارة (مع السودان ، أو مع القاهرة والوجه البحرى) أو لنقل أحدهم من عمله الحكومى الى مدينة أخرى فى محافظة أخرى ، فاستقروا فى تلك البلاد الى وقت اجراء البحث ٠

وقد تناولت الباحثة هذه العائلة بالتحليل من خلال دراسة شجرة النسب لبيوتها بدءا من الجد المؤسس لها ، وعلى امتداد أربعة أجيال وصولا الى الجيل الحالى ٠ وهى فى نفس الوقت نموذج للعائلات التى تمتد بيوتها الى الشلال (قبل بناء السد العالى طبعا) ٠

وتتكون هذه العائلة من ثمانية بيوت نسبت الى أبنائه : على ، محمد ، صالح ، أحمد ، صادق ، عبد الجليل ، عبدالحليم ، عطية ٠ كما انجب ثلاث من الاناث ٠ وقد اهتمت الباحثة فى دراستها لشجرة نسب هذه العائلة باظهار الاناث كفرع أو كبيت فى العائلة بهدف اظهار خط الزواج السائد فى العائلة عبر الاجيال المختلفة والدرجات القرابية المفضلة فى الزواج ومدى التمسك بها من جيل الى آخر ٠

ويلاحظ من دراسة شجرة النسب أن الجد المؤسس على تزوج من اثنتين ، ولذا نجد أن هناك أخوة أشقاء وهم : على ومحمد وصالح (واثنتين من الاناث) ، واخوة غير أشقاء بالنسبة للمجموعة الأولى وهم : صادق ، وعبد الجليل ، وعبد الحليم ، وأحمد ، (وأنثى واحدة) ٠ كما يلاحظ أن كل ابن من أبناء على قد كون له بيتا مستقلا سمى باسمه ٠ (انظر تفاصيل دراسة شجرة نسب هذه العائلة ، وكذلك التحليلات المستخلصة منها ، فى الرسالة المذكورة ، على صفحات ٣٠٣ ـ ٣١١) ٠



أسس تصنيف القرابة فى مجتمعات الدراسة

لقد أظهرت لنا الدراسة الميدانية لمجتمعات البحث الثلاثة ما اتفق عليه علماء الانثروبولوجيا من ان معنى القرابة لا يقتصر على الرابطة البيولوجية (الدموية) ، ولكن هناك صلات وعلاقات اجتماعية تسود فى مجتمعات البحث ، موضوع الدراسة الحالى ، بحيث يستخدم لها نفس مصطلحات القرابة الدموية . بالاضافة الى ذلك تميز مجتمعات البحث - فى الحديث اليومى بين الأقارب - بمصطلحات خاصة من خلالها توضح لنا نوع القرابة اذا كانت من جهة الأب فلهم مصطلحات خاصة بهم . واذا كانت من ناحية الأم فلهم مصطلحات خاصة بهم ، بالاضافة الى أن هناك مصطلحات خاصة تستخدم للأقارب المصاهرين .

ومن أسس تصنيف القرابة السائدة فى مجتمعات البحث نذكر :

أساس الجيل :

تقسم الاقارب فى مجتمعات البحث الى أجيال وكل جيل له مصطلحات خاصة به .

ففى جيل الوالدين : نجد فى مجتمع مدينة أسوان يطلق على الأم مصطلح (يايو أو يا أمى) ويطلق على الأب مصطلح (يا بويه أو بابا) .

وفى مجتمع قرية غرب أسوان يطلق على الأب مصطلح (امباب) وعلى الأم (انين) وفى مجتمع بدو العبابدة والبشارية يطلق على الأب (بابوك). والأم (ديتوك) .

أما مصطلح عم فيطلق على جميع اخوة الأب الذكور وعلى جميع أقاربه الذكور من الدرجات القرابية الأخرى ، مثل أبناء عم الأب وأبناء عمه وأبناء خالته وأبناء خاله حتى الدرجات الخامسة والسادسة فى

المجتمعات الثلاثة ٠ **وفى مدينة أسوان** ينادى العم بمصطلح (عم) وفى **قرية غرب أسوان** ينادى بـ (أمينه) وفى بدو العبابدة والبشارية(دوروك)٠

أما مصطلح خال فيطلق على اخوة الأم الذكور وعلى جميع أقاربها الذكور بدرجاتهم المختلفة : أبناء العم وأبناء العمة وأبناء الخال وأبناء الخالة وأبنائهم الكبار فى السن حتى الدرجة الخامسة والسادسة ٠

وفى **مدينة أسوان** ينادى الخال بـ (خال) وفى **قرية غرب أسوان** ينادى بـ (انجى) وفى بدو **العبابدة والبشارية** (دوروك وديتركن) ٠

ويطلق مصطلح العمة ـ فى المجتمعات الثلاثة ـ على اخوة الأب الاناث وعلى جميع أقاربه الاناث بجميع درجاتهن : بنات العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة وبناتهن الكبار فى السن حتى الدرجة الخامسة والسادسة ٠ وفى **مدينة أسوان** يطلق على العمة (عمة) وفى قرية **غرب أسوان** تنادى العمة بـ (امبانة) وفى بدو **العبادة والبشارية** (دوروك) ٠

ومصطلح الخالة يطلق على اخوات الأم الاناث وعلى جميع أقارب الأم الاناث بدرجاتهن القرابية المختلفة : بنات العم والعمة وبنات الخال والخالة وبناتهن الكبار فى السن حتى الدرجة الخامسة والسادسة ٠

وفى مدينة أسوان تنادى الخالة بـ (خالة) وفى قرية غرب أسوان تنادى بـ (انكدجى) ، وفى بدو العبابدة والبشارية درايتن ٠

الجيل الثانى :

هو جيل الأبناء : الأخ والاخت وأبناء العم والعمة (الذكور والاناث) وأبناء الخال والخالة (الذكور والاناث) ٠

ويعامل أعضاء هذا الجيل فى المجتمعات الثلاثة على أنهم اخوة وأخوات بالنسبة لجيل الوالدين ٠

والمصطلحات المستخدمة فى كل منطقة هى :

المصطلح القرابى	مدينة اسوان	غرب اسوان	بدو العبابدة والبشارية
أخ	خيى	أمبس	سانوكو
الأخت	خيتى	أناى	كوتوكتو
ابن العم	ابن عم لزم	امبنة دور	دريك آر
ابن الخال	ابن الخال	أنجى تود	درايتى آر
ابن العمة	ابن العمة	أماتستود	داتوى آر
بنت العمة	بنت العمة	امبا نستورو	داتوك آر شقيقى تك
بنت الخال	بنت الخال	أنجى بورو	درايتى آشقيقا
بنت الخالة	بنت الخالة	انكدجى بورو	دوروك آر شقيقى تيك

الجيل الثالث : جيل الأحفاد :

الابن : يعامل جميع أفراد هذا الجيل فى المجتمعات الثلاث معـاملة تتصف بالحنـان من جانب الأخوال وأقارب الأم ، أما من ناحية الاعمام وأقارب الأب فهى علاقة تأخذ طابع السلطة كامتداد لسلطة الأب .

المصطلح القرابى	مدينة اسوان	غرب اسوان	بدو العبابدة والبشارية
الابن	ولد	تود	ادروكو
البنت	بنت	بورو	أوتكوتو

الأساس الثانى : النـوع

تفرق مجتمعات البحث الثلاثة بين الأقارب طبقا للنوع (ذكر أو أنثى) ويخصص لكل نوع منهم مصطلح معين .

يعامل الأقارب الذكور من جيل الأب فى مجتمعات البحث الثلاثة حتى الدرجة الخامسة والسادسة كأخوة الأب فيطلق على الذكور منهم مصطلح عم وعلى الاناث منهم مصطلح عمة . والأقارب الاناث من ناحية الأم ــ ومن

هن فى جيـــل الام ـ مصطلح خالة والأقارب الذكور من هم فى جيلهـــا مصطلح خال ٠

أما فى جيل الابناء فيستخدم الذكور مصطلح أخ والاناث مصطلح أخت وللأقارب الذكور من ناحية الأب ومن نفس الجيل يستخدم مصطلح أبناء العم ، والاناث بنـات العم ٠ والاقارب الاناث من ناحيـة الأم ومن نفس الجيـل مصطلح بنـات الخالة والأقارب الذكور من ناحية الأم ومن نفس الجيل مصطلح أبناء الخال ٠

جيل الأحفاد : يفرق بين الذكور والاناث بمصطلحات بنات وأولاد ٠

الأساس الثالث : أساس صلة القرابة (خط الانتساب) :

تفرق مجتمعات البحث الثلاثة بين نوعين من الاقارب : أقارب عاصبون (لزم) و (لحمة) والأقارب من ناحية الأم ٠ بمعنى أن المجتمعات الثلاثة تفرق بين الاقارب بحسب صلة القرابة التى تربطهم بهم ٠ فالأب وأخوته الذكور وأبناؤهم وبناتهم يمثلون الدرجة الأولى والملزمة من ناحية الحقوق والواجبات ، كذلك يمثلون امتداد سلطة الأب وعائلته ٠ وتشاركهم العمة فقط نفس المكانة خصـوصا العمة الكبـيرة فى السن ، أما أبنـاؤها الذكور والاناث فلا يمثلون درجة قرابية ملزمة أو عاصبة لأنهم ينتسبون الى عائلة والدهم وهم يعاملون مثلهم مثل الاقارب من ناحية الأم (الخال والخالة وأبناؤهم) فهناك الأقارب العاصبون (اللزم) من ناحية الأب ، والاقارب فقط وهم ـ من ناحية الأم ٠ وبالرغم من انه فى قرية غرب أسوان تتوازى درجة الاقارب من ناحية الأب والاقارب من ناحيـة الأم ، الا أن هنـاك «مقطـع» يضـاف الى مصطلح ابن العم وهو مقطع «لزم» ليوضح درجة القرابة العاصبة التى لا تضاف الى مصطلح ابن الخال أو العمة أو الخالة ٠

الأساس الرابع : الصلة الدموية والمصاهرة :

يلاحظ فى مجتمعات البحث الثلاث أن علاقة المصاهرة لا تخلق علاقة جديدة بل هى تقوى من علاقة القرابة الدموية قبل الزواج ، وذلك نظرا

لسيادة نظام الزواج الداخلى (من العيلة فى مدينة أسوان قديما) ومن داخل البيت والقبيلة فى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية • ولذا لا يوجد مصطلحات خاصة لقرابة المصاهرة الا فى مدينة أسوان حاليا •

فابو الزوج يطلق عليه مصطلح (عم أو خال) وأم الزوج يطلق عليها مصطلح عمة أو خالة • أما فى مدينة أسوان فظهرت مصطلحات خاصة بعلاقة المصاهرة نتيجة لتغير نظام الزواج من الزواج الداخلى الى الزواج الخارجى فأصبح هناك ارتباط بين عائلتين لا تربطهم صلات دموية انما تنشأ بينهم علاقة أو صلة من خلال زواج أحد أعضائهم • فأصبح يطلق على أخ الزوج (صهرى) وزوج أخت الزوجة (عديلى)، وأبو الزوج أو الزوجة (نسيبى) وأم الزوج (عمتى) وأم الزوجة تنادى باسم أكبر أبنائها (أم فلان) أى مصطلح خالتى باعتبارها من جيل الأم •

الأساس الخامس : ظروف الاقامة والمعيشة :

اذا نظرنا الى نظام الاقامة فى مجتمعات البحث الثلاث، فنجد أنه فى مدينة أسوان، فى الماضى، كان يقيم الأبناء الذكور بعد زواجهم مع عائلة والدهم، وتفرض المعيشة المشتركة على الأعضاء نوعا من الالتزامات لا يستطيع التخلى عنها • ففى حالة وفاة أحد الاخوة الذكور يتقدم أحد أخوة الزوج للزواج من أرملة أخيه (وعادة الأخ الأعزب) • واذا لم يوجد من هو فى سن الزواج، يتقدم أحد الاخوة المتزوجين للزواج منها لكى يقوم بتربية أبناء أخيه المتوفى والمحافظة على الملكية الجماعية للأسرة من دخول أحد غريب يشاركهم فيها فى حالة زواج أرملة أخيهم من شخص خارج الأسرة • أما حاليا، فلم يعد لنظام المعيشة أو الاقامة المشتركة فى مدينة أسوان وجود، وحل محله نظام السكنى المنفصلة • وهو الذى ساعد على تخلى الشاب من شرط الزواج من أرملة أخيه المتوفى • ويكفى أن يقوموا بزيارتهم بصورة دورية وتقديم العون المادى لهم فى صورة مبلغ شهرى •

كما يتفق مجتمع بدو العبابدة والبشارية مع نظام الاقامة والمعيشة بالقرب من خيشة الأب بعد زواجهم، كما يفرض على الشاب اذا توفى أحد

أخوته الذكور المتزوجين أن يتزوج من أرملة أخيه حتى يحافظ على الملكية الجماعية للعائلة . أما فى حالة وفاة الزوجة ، فعادة ما يتزوج الزوج من أختها حتى تكون أقرب لأبناء أختها ويمكن أن يوكل اليها مهمة الاشراف ، كما أنها تكون صادقة فى تقديم الحنان بدلا من الأم لأبناء أختها ، كما أنه مرتبط بالفترة التى يقيم فيها الشاب بعد زواجه مع أهل زوجته قبل أن ينتقل للسكنى بجوار والده .

ويلاحظ أن هذا النظام مازال موجودا حتى وقت اجراء البحث فى قبائل بدو العبابدة والبشارية حتى فى البيوت التى هاجرت وسكنت بالقرب من المدينة مع ملاحظة أنه اذا لم يوجد للزوجة المتوفاة أخوات اناث فان الزوج الأرمل يتزوج من الخارج أو من احدى القريبات .

أما فى قرية غرب أسوان فيعيش الزوج مع أهل زوجته بعد زواجه منها وحتى انجاب الطفلين الأولين . واذا حدث فى أثناء هذه الفترة أن توفيت زوجته يكون من الملزم له أن يتزوج من أختها لكى تتولى تربية أبناء أختها .

الأساس السادس : ظروف العمل والحيازة المشتركة :

لقد لاحظت الباحثة فى زياراتها الميدانية لمجتمعات البحث فى مدينة أسوان قديما وقرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية أن الذين يعملون بحرفة واحدة هم الأقارب العاصبون . ففى مدينة أسوان أظهرت جميع الشواهد الميدانية سيادة نظام الحرفة المشتركة فى العيلة باعتبارها وحدة فقرابية عاصبة تضم الجد المؤسس وأبناءه الذكور وأحفاده وجميعهم يعملون بنفس حرفة الجد المؤسس . فاذا كانت حرفة الجد التجارة ، نجدها عند جميع الأبناء الذكور وأبناؤهم يتوارثونها ويحافظون عليها وعلى استمرارها .

وفى قرية غرب أسوان يعمل الأقارب العاصبون بحرفة الزراعة أو التجارة . ومازال حتى وقت اجراء البحث الملكية والحيازة الزراعية

عاصبة تجمع جميع أعضاء البيت الواحد . كذلك فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية أيضا جميع أعضاء الأسرة والبيت ذى القرابة العاصبة يشتركون فى حرفة واحدة هى التجارة والرعى (حتى وقت اجراء البحث) .

مصطلحات القـرابة :

ولا يقتصر تصنيف القرابة فى مجتمعات البحث الثلاثة على أسس مثل الجيل والنوع وصلة القرابة (خط الانتساب) ، والصلة الدموية والمصاهرة ، ظروف المعيشة وظروف العمل ، ولكن أظهرت الدراسة الميدانية أن هناك مصطلحات متمايزة كثيرا ما يتداولها أعضـاء مجتمع البحث فى الحديث العادى واليومى يمكن أن نعتمد عليها أيضا فى توضيح نوعية العـلاقة القرابية بين أى عضوين داخل المجتمع .

فهنـاك مصطلحات خاصة ، وهى قاصرة على أعضـاء الأسرة مثل مصطلح (الأم والاب) (والاخ والاخت) ، (والابن والابنة) .

ففى الأسرة الاسوانية تنطق باللهجة الاسوانية الأم (يايو) وحاليـا (يا أمى) وللأب (يا بويه) وحاليا (بابا) والأخ (خيى) وحاليا ينـادى الأخ باسمه والأخت (خيتى) وحاليا تنادى باسمها والابن (ولد) والابنـة (بنت) والعـم والجدة والجدة العاصبة ، والعمـة (عزبة) أبناء العـم (ذكور واناث) .

أما فى الاسرة النوبيـــة تنطق باللهجـة الكنزية : الأم (انين) الأب (امباب) الأخ (امبس) الأخت (أناى) الابن (تود) البنت (بورو) .

أما فى الأسرة الصغيرة (البيت) فى مجتمع العبابدة والبشارية فينطق باللهجـة البجـاوية (البـداوية) الأب (بابوك) الأم (ديتوك) ، الأخ (سانوكو) الأخت (كوتوكتو) الابن (ادروكو) البنت (اوتكوتو) .

واذا خرجنـا من اطار مصطلحـات وحدة الأسرة المشـتركة الى المصطلحات المستخدمة داخل منطقة سكنية واحدة:الحى فى مدينةأسوان، النجع فى قرية غرب أسوان ، الفريق أو الحلة فى بدو العبابدة والبشارية ،

فنجد أن هنـاك نوعا آخر من المصطلحات ذات الشكل المركب يستخدم ليدل على نوعية الرابطة بين الشخصين ، اما أن تكون بيولوجية وزواجية ، علاقة اجتماعيـة بحكم الجوار فى منطقـة واحدة • **ويتكون هذا المصطلح الوصفى** من مقطعين الأول المصطلح الخاص الذى يستخدم داخل الاسرة ، يضاف اليه مقطع آخر لزيادة توضيح نوعية الرابطة ، ففى أسوان يشـاع استخدام مصطلح عم على من هم فى جيـل الأب سـواء كانت تربطهم به رابطة بيولوجية أو زواجية أو جوار فى منطقة واحدة ، ولكن يفرق بين الرابطة البيولوجيـة وغيرها باستخدام مصطلح عمى أخو أبويا (عمى اللزم) أو عمى فلان •

كذلك يستخدم مصطلح أبا فلان او جدى فلان على كل من هم فى جيل الجد سواء ممن تربطهم رابطة بيولوجية وغيره من الأقارب ، ولكن يضاف مقطع آخر بجانبه (جدى أبو أبويا) أو ابو أمى للتفريق بين الذى تربطه بهم رابطة بيولوجية عن غيره من الأقارب •

ويرتبط **بالمصطلح الوصفى** فى مدينة أسوان تحديد الواجبات والحقوق الملزمة على الأفراد الذين تنطبق عليهم هذه المصطلحات دون غيرهم من الدرجات القرابية الأخرى ، بحيث يعاقب عليه العرف والتقاليد لمن يحاول التخلى عنها •

أما المصطلحات الوصفية الشائعة فى قرية غرب أسوان هى التى تميز بين الاقارب التى تربطهم رابطة بيولوجية ويسكنون فى منطقة واحدة وبين الاقارب ذوى الدرجات القرابية البعيدة والمصاهرين والذين يسكنون فى منطقة واحدة بحكم الجوار ، فنجدهم يضيفون الى المصطلح الأساسى مقطعا للتمييز بين الدرجة القرابيـة الأولى وبين غيرها ، فيقـال ابن عم لزم (امبنـا تود لزم) وابن عم قبيلة (امبنـا تود قبيلة) • ومن المصطلحات المستخدمة أيضا والتى تميز بين أبناء العم والعمة الذكور وأبناء الخـال والخالة الذكور : (امبنة وامبانة تود) (انجى وانكدجى تود) • وبنـات العم والعمة وبنات الخال والخالة (امبنه وامباته بورو) (انجى وانكدجى

بورو) · ابن الأخ وابن الأخت (امبسى وأناى تود) بنت الاخ وبنت الاخت (امبسى واناى بورو) وكثيرا ما يردد أفراد المجتمع فى ندائه مصطلح ابن عمتى وابن خالى أو عند الترحيب ، كما قد يعرفه فى مجلس بانه (ابن عم أبويا) وقد لا يكون من درجة قرابية قريبة ولكن مجرد قريب من ناحية الأب · واذا استمعنا الى الأغانى النوبية نجد جميع الحاضرين يرددون «أبشر يا ابن العم» تشجيعا للمغنى ·

كما يتفق مجتمع بدو العبابدة والبشارية مع مجتمع قرية غرب أسوان فى استخدامه المصطلحات الوصفية للتمييز بين أبناء العم وأبناء الخال ، فأبناء العم الذكور يستخدم لهم (دريك آر) وأبناء الخال الذكور يطلق عليهم مصطلح (درايتى آر) ، وبنات العم الاناث مصطلح (درينيك آر شقيقى تيك) بنات الخال الاناث (درايتى آر شقيقا) ·

كما لا توجد مصطلحات وصفية تميز بين أبناء الأخ الذكور وأبناء الأخت الذكور ، فجميعهم يطلق عليهم (سانيوك آر) وبنات الأخ والاخت يطلق عليهم مصطلح واحد (كوتيوك آر) ·

الى جانب ذلك يشيع استخدام مصطلح عم وخال والعمة والخالة على جميع الأقارب سواء منهم من يرتبطون بهم برابطة دم (من الدرجة الأولى) أو الدرجات الأخرى ، وتربطهم بهم رابطة عن طريق الزواج أو جوار فى السكن فى منطقة واحدة (الفريق أو النجع) · ويستطيع أى فرد أن يلاحظ المصطلحات الوصفية اذا حضر أى مناسبة من المناسبات الاجتماعية ، أو عندما يدخل عضو من أعضاء المجتمع على مجلس الرجال (بدو العبابدة والبشارية) · فيرد الجميع (أهلا يا ابن الأخ) أو (أهلا يا ابن العم) وقد يكون هذا الشخص من خارج نطاق قرابتهم ولكنه يعتبر قريبا مادام من نفس مجتمع القبيلة ومن نفس جيل الأخ أو ابن العم ·

ومن خلال المصطلحات الوصفية المتداولة فى مجتمعات البحث الثلاثة ، يتضح لنا الحقوق والالتزامات والواجبات على درجة قرابية دون غيرها ·

وتتفق مجتمعات البحث الثلاث فى تعميم استخدام المصطلحات التصنيفية (مثل عم) على جميع الأقارب الذكور سواء من ناحيــة الأب ، وللاقارب من جهة الأم الذين تبعد درجة قرابتهم لدرجة أنها لا تتضح لتوالى الأجيال ولتفرع العائلة أو القبيلة بيوتها المختلفة ، كذلك ، على الأقارب المصاهرين والجيران الذين يقيمون فى منطقة سكنية واحدة (الحى بالنسبة لمدينة أسوان) و (النجع فى قرية غرب أسوان) و (الفــريق والحلة عند بدو العبــابدة والبشارية) . كمــا لوحظ أيضا فى مجتمعات البحث استخدامهم لمصطلح الأب ، ولكن بعد أن يضاف اليه اسم الابن الأكبر للشخص للتفرقة بينه وبين الأب الحقيقى ، الى كل من هم فى جيل الجد (آب أحمد) أو ذكر اسم آب قبل اسم الشخص نفسه (آب عبد السلام) .

وكذلك تعميم مصطلح خالة على جميع النساء القريبات وغير القريبات والجيران ممن فى جيل الأم . ويطلق مصطلح أم على كل منهن فى جيل الجدة ، وتنادى باسم ابنها الأكبر أو ابنتها الكبرى (أم فلان ، أم فلانة) . وهذا يؤكد لنا مدى المكانة التى يحتلها كبار السن فى مجتمعات البحث الثلاثة من حيث الحكمة ورجاحة العقل وكثرة التجارب ودورهم فى التحكيم لحل النزاع بين العائلات أو بيوت القبيلة ، ولذا ينظر اليهم نظرة احترام وتقدير وينظر لتصرفاتهم على أنها مثال يحتذى به . ولذا يكون من غير المستحب أن يتزوج رجل كبير فى السن فى جيل الجد من فتاة صغيرة (الا فى بعض حالات كما هو فى مدينة أسوان لغنى الرجل المسن وفقر أسرة الفتاة وحاجته لانجاب ذكور) ،وعدا ذلك فلايفضل هذا التصرف من كبار السن.

دراسة بنائية وظيفية للنظام القرابى.

يمثل هذا الجزء (الباب الرابع من الرسالة ، من صفحة ٣٣٢ ـ ٤٧٨) صلب الرسالة . وهدفها الأكبر واسهامها الحقيقى فى تجلية طبيعة العلاقة بين النظــام القرابى والنظم الاجتماعية الأخرى الرئيسية فى مجتمعــات الدراســة .

وقد درست الباحثة فى هذا الجزء علاقة نظام القرابة بنظام الزواج ، والعلاقة بين النظام القرابى والنظام السياسى ، وأخيرا العلاقة بين النظام القرابى والنظام الاقتصادى ٠

وفيما يتعلق بالموضوع الأول ، وهو القرابة والزواج ، أشارت الباحثة الى اتفاق الكتابات المتخصصة فى ميدان دراسة القرابة على التلازم الوثيق بين القـرابة ونظـام الزواج كمدخل أسـاسى للدراسة ٠ ويتضح ذلك من دراسات علماء الاجتماع والانثروبولوجيا للنسق القـرابى فى المجتمعـات البسيطة التقليدية ، باعتبارها مدخلا يمكن من خلاله تفهم طبيعة العلاقات وتحديد نطاق الأقارب الدمويين والمصاهرين ٠

كما حاولت الباحثة عند دراستها لنظام القرابة فى مجتمعات مدينـة أسوان ، وقرية غرب أسوان ، وبدو العبابدة والبشارية أن تتخذ من دراسة وتحليـل نظـام الزواج فى تلك المجتمعات مدخلا يمكن من خلاله تفهم طبيعة القرابة ووظيفتها فى المجتمع ، وذلك من خلال تركيز دراستها على الموضوعات التالية : دائرة الزواج المفضل ، وموضوع سن الزواج ، وطريقة الاختيار ، والمصطلحات القرابية ، والادوار القرابية الملزمة ، ونظام الاقامة (السكنى بعد الزواج) ٠ ويمثل هذا الموضوع محور الفصل الأول من الباب الرابع من صفحة ٣٣٢ حتى صفحة ٣٨٣ ٠

أما ثانى فصول هذا الباب فيستعرض العـلاقة بين القرابة والنظـام السياسى فى مجتمعات البحث ٠ وتلاحظ الباحثة فى مطلع هذا البحث أن التراث السوسيولوجى والانثروبولوجى فى دراسة النسق السياسى يكاد يتفق اتفاقا تاما حول تصنيف الانماط السياسية طبقا لتفاوت المراحل التى تمر بها المجتمعات الانسانية من حيث درجة البساطة والتعقيد ٠ فالمجتمعات البسيطة والتقليـدية يعتمد بناء القوة فيها على البعـد القرابى والبعـد الاقتصادى والدينى ، فى حين نجد أن فى المجتمعات التى تخطو بخطوات واسـعة نحو التقـدم والتصنيع والتعقيد يعتمد بناء القوة على الأجهزة

التنفيذية وعلى القانون ، ومن خلال تنفيذ العقاب البدنى لتحقيق النظام الداخلى ٠

وقد اختارت الباحثة لدراسة العلاقة بين القرابة والنظام السياسى فى مجتمعات البحث الموضوعى : السلوك الانتخابى (على المستويين القومى والمحلى) ، والتنظيمات السياسية (الحزبية) والأجهزة الادارية والحكومية على المستويين المحلى والقومى ٠ (ويمثل هذا الموضوع محور الفصل الثانى من الباب الرابع من صفحة ٣٨٤ حتى صفحة ٤١٤) ٠

وانصب الفصل الثالث من هذا الباب على دراسة العلاقة بين النظام القرابى والنظام الاقتصادى ، ويعد هذا الموضوع من أهم وأبرز جوانب الدراسة الوظيفية للقرابة فى البحوث الانثروبولوجية ٠ فالنظام الاقتصادى مدخل هام وأساسى لفهم الحياة فى أى مجتمع ، وبالتالى لفهم طبيعة النظام القرابى ومدى تداخله فى سائر أنساق البناء الاجتماعى ٠

ولقد اختارت الباحثة فى دراستها للوظيفة الاقتصادية للقرابة التركيز على موضوعين رئيسيين فقط تجنبا للتوسع واختصارا للحجم ، هما النشاط الاقتصادى العام ، أى نمط النشاط الاقتصادى التقليدى وما استجد عليه من أنشطة أخرى فى كل مجتمع من مجتمعات البحث ، مع التركيز على نظام تقسيم العمل ٠ والموضوع الثانى هو نظام الملكية السائد فى كل مجتمع منها ٠ (ويمثل هذا الموضوع محور الفصل الثالث من الباب الرابع من صفحة ٤١٥ حتى صفحة ٤٤٥) ٠

وتطرقت دراسة الباحثة فى الفصل الرابع من هذا الباب (من صفحة ٤٤٦ حتى صفحة ٤٦٧) الى دراسة الوظيفة الضابطة للنظام القرابى ، أو العلاقة بين القرابة والضبط الاجتماعى ٠ وقد أشارت الباحثة فى مطلع هذا الفصل الى أهمية دراسة الضبط الاجتماعى فى المجتمعات البسيطة ، حيث يغلب عليه الطابع غير الرسمى والتقليدى ، والى العلاقة الوثيقة بين صور الضبط وأساليبه وأجهزته وبين النظام القرابى فى المجتمعات البسيطة ٠ وأوضحت تغير أنماط الضبط تبعا لتغير البناء الاجتماعى فى أى مجتمع ٠

ولقد اختارت فى دراستها للقرابة ووظيفة الضبط الاجتماعى فى مجتمعات الدراسة الثلاث بعض أساليب الضبط الاجتماعى الأكثر فاعلية فى تنظيم سلوك أعضاء المجتمع والتحكم فيه من خلال توجيهه وترشيده للمحافظة على التواؤم والاجماع داخل المجتمع ٠ ولاحظت فى هذا الصدد أنه كانت للعرف (القانون العرفى) والعادات والتقاليد نفس قوة القانون الرسمى من حيث قبول وارتضاء أعضاء المجتمع له ٠ كما اختارت التركيز على عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها العملية التعليمية الأولى التى يتلقى من خلالها النشء الجديد منذ سنوات الحياة الأولى الأنماط السلوكية والعادات والتقاليد والقيم والقواعد الدينية والأخلاقية للتكيف مع الحياة فى مجتمعه ٠

●★●

أوضح هذا البحث بكل جلاء أهمية النسق القرابى فى البناء الاجتماعى للمجتمعات البسيطة والتقليدية ، لأنه يمثل المحور الأساسى لتحقيق التكامل الاجتماعى والمحافظة عليه فى المجتمعات القروية والبدوية ذات التنظيم القبلى ٠ ويضطلع بنفس الدور الذى يؤديه النسق السياسى فى المجتمعات المتقدمة ٠ ولذا جاءت غالبية نتائج التراث الانثروبولوجى تؤكد هذا الدور واعتماد الغالبية العظمى من الباحثين فى ميدان الانثروبولوجيا على القرابة كمدخل أساسى وملائم لفهم المجتمعات البسيطة التقليدية ٠ ولقد اعتمدت الدراسة الحالية على القرابة كمدخل لفهم التجمعات المتمركزة فى منطقة أسوان والتى تتباين سكانيا وبنائيا وثقافيا ، وذلك بهدف المقارنة بين طبيعة القرابة ومفهومها ، ودور أو وظيفة النسق القرابى ، وتأثيره فى تحقيق التكامل الاجتماعى ، وتأثير القرابة على الأنساق الأخرى كالنسق الاقتصادى والسياسى والضبط الاجتماعى والتعرف على ما اذا كانت القرابة تمارس دورها بنفس الدرجة والقوة فى المجتمعات الثلاثة ، أم أن هناك تباينا أو ميلا الى التغير ؟ وما هو السبب فى ذلك ؟

لقد أكدت الدراسة الميدانية أن هناك تباينا واضحا بين التجمعات

الثلاثة (مدينة أسوان ـ قرية غرب أسوان ـ وبدو العبابدة والبشارية) من حيث قوة تأثير القرابة ومدى الثبات النسبى أو الميل الى التغير فى وظيفة النسق القرابى وعلاقته بالأنساق الأخرى ·

تعتبر مدينة أسوان أكثر ميلا الى التغير من مجتمعى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية ، وبالتالى ضعف دور القرابة اذا قارنا بين ما كان سائدا فى الماضى (الجيلين الأول والثانى) وبين الوقت الحالى (الجيلين الثالث والرابع) · **ففى نظام الزواج** ، يميل مجتمع مدينة أسوان فى الجيلين الأول والثانى الى تفضيل الزواج فى سن مبكرة بالنسبة للاناث من ١٢ ـ ١٦ وللذكور من ١٨ ـ ٢٠ عاما ، أما الجيلين الثالث والرابع فقد وصل سن الزواج للاناث من ٢٥ ـ ٢٨ عاما وللذكور من ٣٠ ـ ٣٥ عاما ·

فى حين أن سن الزواج فى قرية غرب أسوان تغير عما كان فى الماضى ولكن بفارق بسيط · ففى الماضى كان سن الزواج للاناث من ١٣ ـ ١٦ سنة وللذكور من ١٨ ـ ٢٢ سنة ، وحتى وقت اجراء البحث للاناث لم ينله تغير الا بالنسبة للفتيات اللاتى حصلن على قسط من التعليم فوصل ١٨ ـ ٢٠ سنة ، والذكور من ٢٥ ـ ٢٨ عاما ·

أما مجتمع بدو العبابدة والبشارية فهو يميل الى الثبات النسبى فى سن الزواج من الماضى الى الحاضر باستثناء البيوت التى سكنت بالقرب من القرى والمدن التى ارتفع فيها سن الزواج بالنسبة للذكور فقط · ففى فروع قبيلة العشاباب ، سن الزواج للذكور من ١٨ ـ ٢٠ عاما وللاناث من ١١ ـ ١٥ وفى فروع قبيلة العلياب سن الزواج للذكور من ١٦ ـ ٢٠ عاما وللاناث من ١٢ ـ ١٦ عاما ·

بالاضافة الى أنه كان يسود مجتمع مدينة أسوان نظام الزواج الداخلى الذى يأخذ بقاعدة التدرج القرابى العاصب ويخضع للاختيار العائلى ، ويستخدم المصطلحات الوصفية والتصنيفية فى حديثهم اليومى ، والتزامهم بالحقوق والواجبات والأدوار القرابية الملزمة التى تتسع وتشمل جميع

أعضاء الأقارب داخل العائلة المشتركة ويتعداها الى الدرجة القرابية الرابعة • فى حين نجد مجتمع مدينة أسوان فى الجيلين الثالث والرابع يميل الى التغير بصورة واضحة وسريعة عن مجتمعى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية ، الذى يظهر فى ضعف نظام الزواج الداخلى وسيادة نظام الزواج الخارجى(*) (بين عائلات المدينة وتعداها الى خارج مجتمع المدينة) ، وعدم الخضوع للاختيار العائلى العاصب وسيادة الاختيار الفردى • ومازال مجتمع المدينة حتى اليوم يستخدم المصطلحات الوصفية والتصنيفية فى حديثه اليومى ، أما بالنسبة للأدوار القرابية الملزمة فاقتصرت على الأقارب من الدرجة الأولى •

أما مجتمع قرية غرب أسوان ، فهو أكثر ميلا الى الثبات النسبى عن مجتمع مدينة أسوان من الماضى الى الحاضر من ناحية الأخذ بنظام الزواج الداخلى (من أبناء العمومة والخؤولة) والزواج الخارجى فى حدود اطار الجماعة القرابية الكبرى وهى القبيلة بفروعها (الجيل الأخير) • ومازال مجتمع القرابة يلتزم بمبدأ التدرج القرابى فى الاختيار للزواج والخضوع للاختيار الجماعى ، واستمرار استخدامهم للمصطلحات الوصفية والتصنيفية فى حديثهم اليومى ، وما يستتبع ذلك من أدوار قرابية ملزمة حتى الدرجة القرابية الرابعة •

واذا نظرنا الى مجتمع بدو العبابدة والبشارية ، نجده أكثر ثباتا نسبيا من الماضى الى الحاضر بالمقارنة بمجتمعى مدينة أسوان وقرية غرب أسوان باستثناء بعض الحالات الفردية التى ظهرت فى الجيل الأخير بالنسبة للبيوت التى هاجرت وسكنت بالقرب من القرى والمدن التى أخذت

(*) يظهر فى الجيل الرابع اتساع دائرة الزواج من عائلات المدينة • ولكن هناك ٧ حالات تمثل الزواج من خارج نطاق المدينة بالنسبة للذكور والاناث ، ٢ اناث واحدة تزوجت من الزقازيق والثانية من قنا ، ٥ ذكور ما بين سوهاج ـ الاسماعيلية ـ المنيا ـ قنا ـ النوبة •

بنظام الزواج من خارج القبيلة(*) . أما فيما عدا ذلك ، فلم ينله التغيير . فمازال المجتمع يراعى التدرج القرابى العاصب فى الاختيار ـ الأخذ بالاختيار الجماعى ـ واستخدامهم للمصطلحات الوصفية والتصنيفية فى حديثهم اليومى ، ومازالت تمارس الأدوار القرابية الملزمة دورها بنفس القوة فى جميع المناسبات حتى الدرجة الرابعة والخامسة والسادسة ، فيما عدا البيوت التى سكنت بالقرب من المدن والقرى فاقتصرت على دوائر الأقارب فى حدود جماعة البيت .

كما تغير شكل المهر والنقود فى مدينة أسوان ، من الجيلين الأول والثانى حيث كان المهر يتراوح بين ١٠ ـ ١٥ جنيه ثم وصل الى ٣٥ جنيه ويقوم الأب بتدبيره وتصحبه بعض الهدايا الأخرى . أما النقوط فكان يأخذ شكل هدايا عينية من أقارب العريس والعروس العاصبين (الاعمام) ، (بيت نخلة ـ حصة فى محل تجارى ، أوقية فضة أو ذهب) وبالنسبة لبقية الاقارب يكون النقوط فى صورة مبلغ نقدى من جنيه حتى ٥ جنيهات ، فى حين نجد أن المهر آخذ فى الارتفاع فى الجيلين الثالث والرابع حتى وصل ٦٠٠ ـ ٨٠٠ ـ ١٠٠٠ جنيه.وظهر فى الجيل الرابع رفض الاناث المتعلمات للمهر على أن يشترك الطرفان فى تأثيث المنزل . أما النقوط فقد تغير وأخذ شكل مبالغ نقدية من ٥ ـ ١٠ جنيهات وليس هناك فارق واضح بين نقود الاقارب العاصبين وغير العاصبين كما كان الحال فى الماضى .

فى حين نجد أن مجتمعى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية أكثر ميلا الى الثبات النسبى عن مجتمع مدينة أسوان من الماضى الى

(*) قبيلة العشاباب فى الجيل الثامن ٥ حالات زواج من قبيلة البشارية ، ٢ فى بيت محمود لاب ، ٢ فى بيت سعدناب ، ١ حمد لاب . فى الجيل التاسع ظهرت ٥ حالات ، ١ فى بيت المحمود لاب من مدينة كوم امبو ، ٢ من أسوان . أما قبيلة العليناب فى الجيل الثامن ٤ حالات زواج خارجى ١ فى كرياب من مدينة دراو ، ١ من مدينة ادفو تزوج من عبادية ، ١ من بيت العمر لاب تزوج من عبادية ، آخر من بيت كرار تزوج من عبادية .

الحاضر فى قيمة المهر ، اذ تطور من ١٠ ـ ١٥ جنيها فى الماضى الى ٨٠ ـ ١٠٠ ـ ٤٠٠ جنيها فى الوقت الحالى ٠ ويقوم الأب باعداد قيمة المهر مع بقية الاخوة ، ونجد فى الجيل الأخير ظهور نزعة للاستقلال نتيجة لعمل بعض الشباب بالوظائف الحكومية وقيامهم بتدبير أمر المهر ٠ أما الفئة غير المتعلمة من الشباب ، فمازال الأب يقوم بتدبير قيمة المهر ٠

أما النقوط ، ففى الماضى كان يتمثل فى صور هدايا عينية من الأعمام والأخوال (نخيل ـ بقر ـ قيراط أرض) ، أما فى الجيل الأخير فاصبح النقوط يأخذ شكل هدايا ومبالغ نقدية ٠

وفى مجتمع بدو العبابدة والبشارية فمازال المهر يقدم فى صورة ابل وأغنام ، وكان فى الماضى من ١ ـ ٣ جمال ، ووصل حاليا الى ٥ جمل ، ومازال الأب يتولى تدبير قيمة المهر ، باستثناء الجيل الأخير البيوت التى سكنت بالقرب من القرى والمدن ، التى ظهرت فيها بعض حالات الاستقلال الاقتصادى وبدأ الشباب يتولى تدبير قيمة المهر بنفسه ٠

أما النقوط فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية ، ففى المناطق الصحراوية يتراوح بين ١٠ قروش و ٥٠ قرشا ، وفى المناطق القريبة من المدن من جنيه واحد الى ١٠ جنيهات ٠

نظـــام الاقامة :

يميل مجتمع مدينة أسوان فى هذه المنطقة أيضا الى التغير ٠ فمن الأخذ بنظام الاقامة المشتركة مع عائلة الأب ، بعد زواج الابن ، فى الجيلين الاول والثانى نظرا للتبعية الاقتصادية باشتغال الابناء بنفس حرفة الأب ، الى سيادة نظام الاقامة المنفصلة فى الجيل الرابع نظرا للاستقلال الاقتصادى للابناء عن آبائهم بعملهم بحرف ووظائف أخرى غير حرفة الآباء ٠

فى حين نجد أن مجتمع قرية غرب أسوان أميل الى الثبات النسبى عن مجتمع مدينة أسوان من الماضى الى الحاضر فى استمرار الأخذ بنظام السكنى المشتركة مع أهل الزوجة لفترة من ٣ الى ١٠ سنوات ، بعدها

ينتقل للسكنى بالقرب من أسرة والده نظرا لاشتراك الابناء مع آبائهم بالعمل فى حرفة واحدة وجميعهم يشتركون فى حيازة جماعية ٠ وبالرغم من عمل الجيل الأخير ـ بعض الشباب ـ بالوظائف الحكومية فلم يغير هذا من نظام السكنى المشتركة أو العمل بالحرفة التقليدية ـ الزراعة ـ بعد العودة من العمل الوظيفى ٠

ونجد أن مجتمع بدو العبابدة والبشارية أكثر تمسكا بنظام الاقامة المشتركة مع أهل الزوجة لفترة ٣ سنوات بعدها ينتقل للسكنى بجوار خيمة أبيه ٠ نظرا للتبعية الاقتصادية ٠ باستثناء بعض البيوت من قبيلتى العلياب والعشاباب التى استقرت بالقرب من المدن والقرى ٠ وظهر فى الجيل الأخير السكنى المنفصلة بحكم الاقامة بجوار العمل بعد انقضاء الاقامة مع أهل الزوجة ٠

ونخلص أن هذه النتائج تؤيد ما أشار اليه الفرض الأول الذى تعتمد عليه الدراسة الحالية ٠

النظــام الاقتصــادى :

يتميز النظام الاقتصادى فى مدينة أسوان فى الجليين الأول والثانى بنمط الحرفة التقليدية المتمثل فى التجارة والصناعة اليدوية والنشاط السياحى ٠ من خلال سيطرة طابع الاحتكار العائلى القائم على مبدأ الوراثة فيما بين أعضاء الوحدة القرابية (العائلة المشتركة) ٠ فى حين تغير نمط النشاط الاقتصادى وظهر التنوع فى النشاط الاقتصادى باعتماده على التوصيف الوظيفى وبالتالى ضعف الاحتكار والسيطرة العائلية والوراثة فيما بين أعضاء العائلة المشتركة نتيجة لدخول التعليم بمستوياته المختلفة وكثرة المشاريع الصناعية (خزان أسوان ـ شركة كيما ـ مناجم الحديد ـ السد العالى) التى خلقت فرصا أخرى للعمل غير الحرف التقليدية ، ساعدت هذه الظروف على تقوية النزعة الفردية فى الجيلين الثالث والرابع وأدى الى تمكين أعضاء الجيل الثالث من الاستقلال عن حرفة الآباء

والعمل اما فى نفس الحرفة أو بحرفة أخرى ، ولكن بعيـدا عن السيطرة العائلية ، فى حين فضـل البعض العمل فى الوظائف الحكوميـة المتنوعة ٠

ونجـد مجتمع قرية غرب أسـوان أقل ميلا للتغـير فى نمط النشـاط الاقتصادى التقليدى المتمثل فى حرفة الزراعة وتسويق محاصيلها واعتمادهم على مبدأ الوراثة من الاجيال القديمة الى الجيل الحالى ٠ ومازال مجتمع القرية يزاول العمل الزراعى حتى الجيل الأخير جنبا الى جنب مع العمل بالوظائف الحكوميـة ، والخدمات نتيجة لدخول التعليم حتى المرحلة الاعدادية فى القرية ، وخروج البعض منهم لاستكمال دراسته حتى مرحلة التعليم المتوسط (ثانوى ، فنى) فى مدينة أسوان ، ثم اشتغالهم بالعمل الحكومى بعد حصولهم على شهادات ٠

كمـا نجد مجتمع بدو العبـابدة والبشارية أكثر ثباتا عن مجتمعى قرية غرب أسوان ومدينة أسوان من حيث استمرار اشتغال أعضائه بالحرفة التقليـدية المتمثلة فى الرعى والتجـارة القائمـة على مبـدأ الوراثة بين الأجيال ، باستثناء البعض من شباب الجيل الأخير لبعض البيـوت التى سكنت بالقـرب من المدن والقـرى ، والتى ظهـر فيها ميل البعض الى تفضيل العمل الحكومى والخدمات والعمل فى المشاريع الصناعية نتيجـة لحصـول بعضهم على شـهادات متوسطة ساعدتهم على الالتحـاق بتلك الوظائف الحكومية ٠ ومن ناحية أخرى لم ينل البعض منهم شهادات ولكن الفرد كان يجمع بين العمل فى الخدمات وشركات المناجم وذلك لحصوله على دخل ثابت من عمله جنبا الى جنب مع قيامه بالحرفة التقليـدية ، والبعض منهم مازال يعمل بحرفة التجارة التقليدية فى سوق دراو ٠

نظـام الملكيـة :

تغـير نمط الملكية فى مدينة أسوان من الجيل الأول والثانى من نمط الملكية الجماعية لجميع أعضاء الجماعة القرابية العاصبة المتمثل فى الاسرة المشـتركة الى سيطرة نمط الملكية الفردية فى الجيـل الثالث والرابع ٠

ويحدث ذلك باستقلال كل عضو فى الأسرة المشتركة بعد وفاة رئيس العائلة نتيجة لكثرة النزاعات بين الاخوة ومطالبة كل عضو منهم بتحديد نصيبه وانفصاله عن الملكية الجماعية • كما ظهر فى الجيل الرابع تفضيل أعضاء المجتمع الاسوانى نتيجة لدخول التعليم بجميع مراحله لحصولهم على شهادات ، أدى الى تقوية النزعة الفردية والميل الى الاستقلال الاقتصادى وتفضيلهم نمط الملكية الفردية على النمط الجماعى منعا للمشاكل بين الأعضاء الاقارب المشتركين • وهذا بدوره أثر فى انفصال المسكن أيضا •

ونجد أن مجتمعى قرية غرب أسوان وبدو العبابدة والبشارية أكثر ثباتا نسبيا من مجتمع مدينة أسوان باستمرار نمط الملكية الجماعية من القديم الى وقت اجراء البحث بالرغم مما تعرض له مجتمع قرية غرب أسوان من دخول التعليم وحصول البعض من الجيل الأخير على شهادات أهلتهم للعمل بالحكومة •

كذلك ظهر فى الجيل الأخير لقبيلتى العلياب والعشاباب ، فى البيوت التى سكنت بالقرب من القرى والمدن • تفضيل شباب الجيل الأخير العمل بالحكومة وبالخدمات التى تتميز بثبات الدخل فى صورة المرتب الشهرى بعكس ما تتميز به حرفتهم التقليدية من صعوبة نتيجة لقسوة البيئة الصحراوية على المشتغلين بها • ومع ذلك لم يؤثر التعليم والاشتغال بالعمل الحكومى فى ضعف نمط الملكية الجماعية فى مجتمع بدو العبابدة والبشارية ، كما لم يؤثر قلة حيازة الأرض ، وزيادة عدد السكان ودخول التعليم والاشتغال بالعمل الحكومى فى قرية غرب أسوان فى أن يضعف أو يغير من نمط الملكية الجماعية المتمثل فى حق الانتفاع للأعضاء المشتركين من خلال مبدأ الوراثة دون أن يكون لأى عضو حق التصرف أو التبديد • وتحقق هذه النتائج الفرض الثالث من فروض هذه الدراسة •

النظام السياسى :

اختلف تحديد بناء القوة فى مجتمعات البحث الثلاثة : مدينة أسوان

قرية غرب أسـوان ، بدو العبابدة والبشارية ، على أساس قوة العصبية للجماعة القرابية والمستوى أو المكانة الاقتصادية أو على أسـاس التعليم والمراكز الوظيفية . وبذلك سنجد مدينة أسوان أكثر التجمعات ميـلا الى التغير من القديم الى وقت اجراء البحث .

ففى الماضى كانت تعتمد مدينة أسوان على الادارة التقليدية المتمثلة فى العمدة وشيخ البلد والخفراء ، من خلال تطبيق القانون العرفى . ومن ناحية أخرى نمط الأسلوب الانتخابى فى الجيلين الأول والثانى لاختيار القادة السياسيين يخضع لأساس القوة العصبية للجماعة القرابية والمكانة الاقتصادية من خلال اعتمادهم على مبدأ الوراثة والاحتكار لعائلات معينة دون غيرها من بين عائلات المدينة .

فى حين نجد فى الجيل الرابع تغير نمط الادارة فى مجتمع المدينـة من الشكل التقليدى الى الاعتماد على الأجهزة الحكومية والمؤسسات المتخصصة والمحـاكم القضائية وأقسام الشرطة ، والتى تقوم على أسـاس التعليم والتوصيف الوظيفى فى اختيار أعضاء الأجهزة الادارية والحكومية بالاضافة الى الاعتماد على أسلوب الانتخاب الحر فى اختيار القادة السياسيين لمجتمع المدينـة لتحقيق المصلحة العـامة ، وضعف أساس القوة العصبية والمكانة الاقتصادية واحلال عامل التعليم بدلا منه ، وتقديم المصلحة العامة للمجتمع على المصلحة الفردية للطبقة الحاكمة ، بالاضافة الى تقبل المجتمع الاسوانى لاشتراك المرأة فى المجالس السياسية والحزبية .

أما قرية غرب أسوان ، فهى أكثر ثباتا نسبيا عن مجتمع مدينة أسوان من حيث استمرار نمط الادارة التقليدية على أسـاس عامل الوراثة من القـديم الى وقت اجراء البحث ، المتمثل فى العمـد والمشـايخ والخفراء واعتمادهم على القانون العرفى لحفظ الأمن الداخلى . كمـا يميـل نمط الأسلوب الانتخابى فى القرية لاختيار القادة السياسيين على أسـاس القوة العصبية للجماعة القرابية ومقدار الحيازة .

وبالرغم من دخول التعليم فى الجيل الأخير فى مجتمع القرية وتبعية القرية اداريا لمركز أسوان (مركز شرطة أسوان) فلم يتغير نمط الادارة التقليدى المعتمد على القانون العرفى ، فى المحافظة على الأمن الداخلى للقرية ، ولم يتغير نمط الأسلوب الانتخابى القائم على قوة العصبية ومقدار الحيازة ، ولكن الذى استحدث هو قبول المرأة كعضو فى المجلس الشعبى المحلى وذلك من خلال الاختيار بين الاناث المتعلمات فى القرية .

أما بالنسبة لمجتمع بدو العبابدة والبشارية ، فهو أميل للثبات النسبى عن المجتمعين السابقين فى سيادة نمط الزعامة فى الحكم القائمة على مبدأ الوراثة بالتدرج من زعامة وحدة البيت (لأكبر العاصبين سنا) حتى شيخ القبيلة . ومازال المجتمع يعتمد على القانون العرفى بالرغم من هجرة بعض بيوت من فروع قبيلتى العلياب والعشاباب للسكنى بالقرب من المدن والقرى ، فلم تحاول هذه البيوت الخضوع للنظام الادارى والأسلوب الانتخابى لهذه المدن أو القرى ، ولكنهم مازالوا يرتبطون بالنظام الادارى المتمثل فى نظام الزعامة السائد فى مجتمعهم الأصلى واعتمادهم على القانون العرفى وأحكامه من خلال مجلس القبيلة أو المحاكم العرفية .

الفصل الخامس

الجيرة

دراسة انثروبولوجية لانماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى فى مجتمع محلى حضرى(*)

مقـــــدمة :

تعد الدراسة من حيث **طبيعتها** دراسة **انثروبولوجيـة** تحاول وصف ، وفهم ديناميكية العلاقات بين جماعة من الأفراد وتعيش فى موقع جغـرافى معين ، وتتأثر بكافة الظروف الاقتصـادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية للمجتمع الكلى التى هى جزء منه .

واذا أردنا تحديدا **لموضـوعات** الدراسـة ، فهى فى مجملها **فولكلورية سوسيولوجية** ، حيث تمت مراعاة التركيز ـ فى كل فصل ـ على البنـاء التقليدى للعلاقات ، مع الاهتمام بعادات الفرد فى المجتمع المحلى من حيث المراسيم الاجتماعيـة المختلفة ـ العـلاقات بين الكبير والصغير ، والذكر والانثى ، وبين مهن معينة ، والعلاقات الأسرية ، حيث تم الاهتمام بمركز الأب والابناء والأم ، والموقف من الغريب والخارج عن المالوف ، والروتين اليومى ، وفض المنازعات وهى كلها موضوعات تقع ضمن مجال الفولكلور .

(*) عرض لرسالة دكتوراه قدمتها الدكتورة سعاد عثمان احمد المدرس بقسم الاجتماع بكلية بنات عين شمس ، باشراف أ.د.علياء على شكرى الى قسم الاجتماع ، كلية البنات جامعة عين شمس ، وأجيزت عام ١٩٨٥ .

كمـا اهتمت الدراسـة فى المجـال السوسيولوجى بمستويات التفـاعل الاجتماعى فى نطاق الجيرة ، حيث تم استخدام مفهوم الوجه للوجه الذى رأى كولى أنه أحد سمات الجماعة الأولية، التى هى اساسية أو جوهرية فى تشكيل الطبيعة الاجتماعية . فتلك العلاقة تميز الجماعات التى تنشأ بين أفرادها ارتباطات حميمة تجعل الفرد يندمج فى الكل ، وتصبح خصوصيته هى الحياة العامة، وهدف الجماعة . ولعل أبسط مصطلح لوصف هذا الكل هو ما يعرف «بالاحساس بالنحن» وقد حدد كولى أهم مجالات ذلك المستوى من العلاقات فى جماعات الأسرة ، واللعب ، وجماعة الجيرة أو الجمـاعة المحلية . فهى جميعا جماعات أولية عالمية تنتمى الى كل الأوقات ، فهى أساس ما هو عالمى فى الطبيعة البشرية .

وحول **الأهمية النظرية** للموضوع ، فان تحليل المادة الميدانية للبحث قد انطلق من القضايا العامة لنظرية التبعية باعتبارها اطارا تصوريا ملائما للبحث فى دول العالم الثالث . وفى ضـوء تلك النظرة ، لا يتم فهم واقع الجـيرة الا من خلال فهم العـلاقة التى تربطهـا بالمجتمع على المستوى المحلى ، والقومى ، وأيضا العالمى . فهى جزء يؤثر ، ويتأثر بذلك الكل الذى ينتمى اليه .

والى جانب ما سبق ، كانت هناك بعض التصورات الهامة ـ العامل الايكولوجى ، عمالة المرأة ، والمهن ـ التى برزت فى أفق مجال البحث ، وارتبطت به قبل البدء فيه ، وأثناء القيام بأبحاث أخرى فى نفس مجتمع الدراسة . وقد شكلت تلك المتغيرات جانبا من الأسس التى روعيت أثناء اختيـار مجتمع البحث ، فى سـبيل اختبار تأثيرها على تفاعل علاقات الجيرة .

وتكمن **الأهميـة التطبيقيـة** للبحث فى كونه خطوة على طريق فهـم المجتمـع المصرى بصفة عامة ، من خلال فهـم واقع جزء صغير من ذلك المجتمع ، والمجتمع الحضرى التقليدى الشعبى بصفة خاصة . وبالتـالى

يمكن أن تنسحب بعض نتائج هذا البحث الى مستوى اكثر عمومية بحيث تسهم فى فهم الحياة الحضرية فى بعض بلدان العالم الثالث ، وما يمكن أن يقدمه ذلك الفهم للمجال التطبيقى العملى ٠

●✱●

أبواب وفصـول الدراســة

تمت معالجة الموضوع بتقسيمه الى خمسة أبواب تتضمن خمسة عشر فصلا ، سوف تتضح معالمها خلال العرض التالى :

الباب الأول حول **«موضوع الدراسة ، ومجتمع البحث»** ، وضم أربعة فصول ، **الأول** منها بعنوان **«نظرية التبعية ودراسة المدن ، مدخل لدراسة الجيرة»** ، حيث اهتم بمعالم الاطار النظرى الذى تم من خلاله تحليل المادة الميدانية ولما كان هذا الاطار يتخذ من نظرية التبعية نقطة انطلاق ، فقد كان من الضرورى أن يتناول الموضوعات التالية :

١ ـ القضايا العامة لنظرية التبعية٠حيث تم تناول قضايا تقسيم العمل الدولى ، والتبادل اللامتكافىء ، والوحدات المكونة للنسق الرأسمالى العالمى ـ التوابع ، وأشباه التوابع ، والمركز ـ ثم قضية تنميــة التخلف ٠

٢ ـ نظرية التبعية ودراسة المدن فى العالم الثالث ٠ ويعرض لاسـهام نظرية التبعية فى دراســة المدن من خلال عرض فروض بعض الدراســات التى انطلقت من هذه النظــرية ، وما طورته هذه النظــرية فيمــا يتعلق بدراسة المدن ٠

٣ ـ المدينة المصرية فى السياق التاريخى البنائى ٠ وتناول المدينــة المصرية فى سياقها العام ، وما طرأ عليهــا اثر اندماج المجتمع المصرى فى النسق الرأسمالى العالمى،وذلك من خلال تناول نشاة وتطور الرأسماليةفى

مصر ، والطبقات الحضرية ، والصناعة كنشاط اقتصادى جديد ، وتفكك النظام الحرفى ، ثم التحضر وتغير النسق الثقافى ٠

٤ ـ الجيرة فى السياق التاريخى البنـائى ٠ وناقش الجيرة كجزء من المدينة الكبرى التى هى مركز رأسمالى يخضع ما به من مناطق وأحياء ، وجيرات الى متطلبـات علاقات السـوق مما يعمـل على تغير الأنشطة ، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل الجيرة ، كما يعمـل على تغـير الأبنية الثقافية لها ٠

واهتم **الفصل الثانى** بتقديم **«عرض نقـدى للدراسـات السابقة التى أجريت عن الجيرة فى المجتمعات المتخلفة»**٠ وقد تنوعت تلك الدراسات منهجيا ، وموضوعيا ، وتاريخيا ٠ فقد استخدمت بعضها مناهج البحث السوسيولوجى ، وبعضها استعانت بطريقة القياس السوسيومترى ، بينما استعانت دراسات أخرى بمنهج البحث الانثروبولوجى ٠ وقد اعتمد بعضها على فريق من الباحثين لجمع المادة الميدانيـة ، بينما قام بجمـع المادة فى بعضهـا الآخر باحث واحد فرد ٠ كمـا تفـاوتت الحبكة المنهجيـة لتلك الدراسات من حيث دقتها ٠

وموضوعيا ، فقد أجريت بعض تلك الدراسات على مجتمعات أمريكية أو آسيوية ، بيما أجرى بعضها الآخر فى مجتمعنا المصرى ٠

وتفاوتت تلك الدراسات من حيث تاريخ صدورها ، فبعضها قد صدر فى الخمسينيات بينما بعضها الآخر دراسات حديثة أجريت فى الثمانينيات٠ وقد تم تناول تلك الدراسات وفقا للتصنيف الأخير ـ الزمنى ـ الذى ضم فى نفس الوقت التصنيف السابق له ـ دراسات عن مجتمعات أجنبيـة ثم مصرية ـ كمـا أنه يعكس الى حد بعيـد التطور المنهجى حيث تمـيزت الدراسات الحديثة بحبكة منهجية على مستوى عال من الدقة ٠

وقد قدم هذا الفصل عرضا نقديا لكل دراسة من حيث اطارها العام ، وأهميتها ، وأهدافها ، ومجالاتها الجغرافية والبشرية والزمنية ثم خطواتها

المنهجيــة وأدوات جمــع المادة فيهــا ، ثم اطارها النظــرى ، وأخيرا موضوعاتها .

وقد حاولت الدراسة الاستفادة من الجوانب الايجابية والسلبية لتلك الدراسات ــ على حد سواء ــ فمن مجال الايجابيات تنطلق الدراســة فى محــاولة لتحقيق مزيد من الايجابيــة والفهم لواقع الجيرة ، ومن مجال السلبيات تحاول الدراسة تلافى أوجه القصور التى وقعت فيهــا بعض تلك الدراسات .

وفيما يلى عرض بمؤلفى وعناوين تلك الدراسات :

١ ــ جويل سميث ، «التآلف المحلى فى مدينة متوسطة الحجم» .

٢ ــ ايوجين ليتواك ، «تماسك الجيرة فى حالات الحراك» .

٣ ــ تيودور كابلو ، «البيئة الحضرية» .

٤ ــ سوتيلز ، «الطبقة الاجتماعية فى حى متخلف» .

٥ ــ ايوجين ليتواك ، «أبنية الجماعة الأولية ووظائفها» .

٦ ــ جوزيف تامنى ، «التماسك فى منطقة متخلفة» .

٧ ــ جوكانو ، «التخلف كطريقة للحياة» .

٨ ــ نوال المسيرى ، «مفهوم الحارة» .

٩ ــ أونى ويكان ، «الحياة عند فقراء القاهرة » .

١٠ــ أحمد عبد الله زايد ، «المثقــافة الشعبية والاستهلاك فى المنــاطق الحضرية النامية» .

وتناول الفصل الثالث «طبيعة الدراسة وقضايا الموضوع والمنهج» . وقد انقسم الى سبعة أجزاء اهتم أولها ببعض المفاهيم التى تم استخدامها فى البحث وهى **مفهوم الجيرة** ، **والمجتمع المحلى** ، وعلاقة **الوجه للوجه**، ونمط السكن **المستقل** ، **والمشترك** . بينما عرض الجزء الثــانى لفروض الدراسة التى انقسمت الى مجموعتين ، انبثقت الاولى منهــا من بعض

الملاحظات الميدانية لمجتمع الدراسة ، بينما انطلقت المجموعة الثانية من مسلمة أساسية استقتها الدراسة من الاطار التصورى ، ومن الدراسات التى استلهمت فروضها الأساسية منه .

وقد تمت صياغة فروض الدراسة فى التساؤلات التالية :

١ ـ هل تعد ايكولوجية الموقع ـ أو نمط المسكن ـ ، وعمالة المرأة ، والمهنة ، متغيرات حتمية تلعب دورا حيويا فى تشكيل العلاقات داخل الأسرة ، وفى نطاق الجيرة والمجتمع الخارجى ؟

٢ ـ هل تنتمى تلك المتغيرات ، أو بعض منها الى مجال تأثير المجتمع الخارجى ؟

٣ ـ هل علاقات الجيرة مازالت باقية فى المجتمع المحلى ـ الشعبى التقليدى ؟ وما هى مستقبلها ؟

بينما انطلقت تساؤلات المجموعة الثانية من المسلمة التالية :

ان مجتمع الحارة لا يمكن أن يدرس بمعزل عن اطاره المحلى ، والقومى ، والعالمى . ذلك أن مجتمع الحارة لم يعد منعزلا عما يحدث حوله منذ أن تخللته علاقات السوق فضلا عن خضوعه الدائم والمستمر للقرارات المركزية . فالحارة فى علاقاتها بالمدينة الأم تتأثر بالحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية منها ، مما ينشأ عنه أوضاع جديدة هى وليدة تلك العلاقة .

ومن هنا تساءلت الدراسة :

٤ ـ هل أثرت تبعية الجيرة للمجتمع الخارجى على طبيعة العلاقات داخل الأسرة ، وفى نطاق الجيرة ؟

٥ ـ الى أى مدى تغيرت الأطر الثقافية للجيرة فى ضوء علاقتها بالمجتمع الكبير ؟

٦ـ ما هى طبيعة العلاقات الاجتماعيـة ، والسياسية بين الجـيرة ، والمجتمع الخارجى ؟

٧ ـ الى أى مدى تغير النسق الانتاجى للجيرة فى علاقتها بالتغـيرات فى نطاق السوق الخارجى ؟

وأخيرا ، فان هناك تساؤل جمع بين اهتمامات مجموعتى الفروض :

■ هل تعنى تلك العلاقة بالمجتمع الأكبر ذوبان مجتمع البحث فى الكل الذى ينتمى اليه ؟ حتى طمست ملامحه ، وطابعه الخـاص ، وشخصيته المميزة ؟

وناقش الجزء الثالث أسس اختيـار مجتمع البحث فى أربعة مستويات هى مستوى الحى (الخليفـة) ، والشياخة (البقلى) ، والحـارة (الشركسى)،ووحدات المعيشة.حيث تم اختيار ثلاث وأربعين أسرة،منها ثلاث عشرة أسرة هى عينـة الدراسة المتعمقة ، وثلاثين أسرة هى عينـة دراسة الحالة التى تم اختيارها بعد مضى عام كامل من العمل الميدانى ، حيث كانت هناك بعض الموضوعات التى ظلت غامضة مثل امتداد الجيرة ، واتجاهها ، وغير ذلك . فقد كانت منازل العينة المتعمقة قريبة ومتلاصقة ، ومن هنا تم اختيار أسر موزعة على امتداد الحارة ، وفى عطفاتها وأزقتها بحيث يسمح اختلاف الموقع بتتبع ايكولوجية الموقع وتأثيرها على بعض الموضوعات الخاصة بالعلاقات داخل الأسرة ، وفى نطاق الجيرة والمجتمع المحلى .

وبينما تناول الجزء الرابع فى نفس الفصل الخصائص العامة لحالات الدراسـة ، من حيث نسبة أفراد عينة البحث ، الى أفراد الحـارة ككل وتوزيعهم ـ بشـكل عام ـ وفقـا للديانة ، والسـن ، ومستوى التعليم ، والمهنة ، وسنوات الاقامة .

وقدم الجزء الرابع بيانات حول مدة الدراسة الحقلية ، التى بدأت فى

أول سبتمبر سنة ١٩٨٣ ، واستمرت بصفة منتظمة بواقع زيارة أو زيارتين أسبوعيا ـ لأسر عينة الدراسة المتعمقة ـ بينما تم اختيار أسر عينة دراسة الحـالة فى أكتوبر سنة ١٩٨٤ ، حيث استمرت الزيارات لمجتمـع البحث بواقع من ثلاث الى أربع زيارات أسبوعيا حتى الانتهاء من تغطية بنود الدليـل لتعـود الزيارات الى معدلها السـابق ، حيث اسـتمرت حتى كتابة البحث .

وضم الجزء السادس مناهج البحث وأدوات جمع المادة ، حيث تمت الاسـتعانة بمجموعة من مناهج البحث هى المنهج الايكولوجى ، ومنهج دراسة المجتمع المحلى ، وتحليل الدور ، ودراسة الحالة ، حيث تضافرت جميعا مع المنهج الانثروبولوجى ووسائل جمع المادة فيه ، وفى مقدمتها دليـل العمل الميـدانى ، والملاحظة ، والملاحظة المشـاركة ، والمقابلات المتعمقة ، والاخبـاريون ، والأسئلة المباشرة ، والتصـوير الفوتوغرافى ، والمصادر التاريخية ، والسجلات والبيانات الاحصائية ، تضافرت جميعا من أجل الوصول الى مزيد من الفهم لواقع الجيرة .

هذا ، بينما خصصت الباحثة الجزء السابع والأخير فى هذا الفصـل لبعض الملاحظات ، والخبرات المنهجية ، والتوصيات التى استخلصتها من واقع الخبرة المتواضعة فى هذا البحث .

وعرض **الفصل الرابع «لمجتمع الدراسة»** من حيث **الخلفية التاريخيـة** على ثلاثة مستويات ، هى القسم ، والشياخة ، والحارة ، وقد تم فى كل منها تناول أصل التسمية ، وأهم المعالم التاريخية ، كمـا انفردت الحارة ببعض الحكايات التاريخية ، وحكايات أخرى تتعلق بمعتقـدات ارتبطت بأجزاء من الحارة ، وقد رواها الاخباريون من كبار السن . كما تنـاول الفصل الرابع **الوضع الجغرافى** على أربعة مستويات هى القسم والشياخة ، والحارة ثم مبانيها ، وأيضا **خصائص السكان** من حيث السمات السلوكية العامة للسكان ، بالاضافة الى بيانات تفصيليـة عن الديانة ، والتعليـم

والمهنة على مستوى الحى ، والشياخة ، وحالات الدراسة • وبذلك نقل الفصل الرابع صورة واضحة المعالم لمجتمع البحث على المستوى التاريخى ، والفيزيقى ، والديموجرافى •

●✶●

أما **الباب الثانى** فهو بعنوان **«الجيرة بين التراث والواقع»** حيث تناول الشق الأول مفهوم الجيرة نظريا ، بينما تناول الشق الثانى الجيرة امتدادها واتجاهها ومشكلاتها ، وواجباتها ، وعوامل تفضيلها وسلوكياتها كما اتضحت من خلال الدراسة الميدانية حيث خصص لكل منهما فصل خاص هما الفصلان الخامس والسادس على التوالى •

وقد اهتم **الفصل الخامس بمفهوم الجيرة نظريا** من خلال عدة مصادر مختلفة هى على التوالى الجيرة لغويا بهدف التعرف على المعنى الاصطلاحى للكلمة فى بعض قواميس اللغة العربية ـ المصباح المنير ، والقاموس المحيط ، ثم الجيرة **فى الاسلام** بهدف التعرف على ما تعنيه الجيرة فى الدين الاسلامى من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وما يشملانه من آيات وأحاديث توصى بالجار ، وتوضح اتجاه الجيرة ، وحدودها ، ومراتبها ، واكرام الجار وحقوقه حيث تمت الاستعانة بتفسيرات العالمين القرطبى وابن شرف النووى • كما اهتم الفصل بمفهوم الجيرة فى **قواميس علم الاجتماع** ـ العربية ، والأجنبية ـ وفى **الدراسات السابقة** ، التى تم تقديم عرضا نقديا لها فى الفصل الثانى ••

وانقسم **الفصل السادس** وهو بعنوان **«الجيرة • امتدادها ، واتجاهاتها ، وواجباتها ، وعوامل تفضيلها ، وسلوكياتها»** الى خمسة أجزاء تناول الأول منها **امتداد الجيرة** بمعنى تعيين حدودها ، حيث اتضح أن هناك بعض العوامل المؤثرة فى احساس الانسان بحدود جيرته مثل الموقع الجغرافى للمسكن ، وطول الاقامة ، ومكان الاقامة السابق ،

واقامة بعض الأقارب أو الأصدقاء فى حارة أو زقاق قريب ، بالاضافة الى بعض المعاملات الاقتصادية والدينية ٠

بينما تناول الجزء الثانى **اتجاه الجيرة** المفضل الذى تبدو من خلاله أنماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل داخل الجيرة ٠ أهى الجيرة البعيدة ـ على امتداد الحارة ـ حيث يسمح البعد المكانى باحتفاظ كل أسرة بخصوصيتها ؟ أم الجيرة القريبة حيث تنتفى تلك الخصوصية الى حد بعيد ؟ كما تناول هذا الجزء مشكلات الجيرة القريبة ـ حول الأطفال ، والمرافق ، وبعض السلوكيات ، والمشكلات العقارية ـ وأيضا ايجابيات تلك الجيرة ٠

وناقش الجزء الثالث **واجبات الجيرة** ، والتى تمثل الجانب الايجابى من العلاقات ، والتى تعكس معنى الجيرة من وجهة نظر سكان الحارة ٠ حيث قدم هذا الجزء نبذة عن الواجبات التى اختفت من الجيرة الحالية ، ثم الواجباتالتى مازالت قائمة وفى مقدمتها واجبات دورة الحياة،وواجب زيارة المرضى ، وفض النزاع ، والنجدة ، والسؤال عن الغائب ، والتحية ، وتآزر الجيران فى مواجهة الغرباء ، والنيابة عن الجار ، الى جانب بعض الواجبات النابعة من مواقف خاصة يعيشها الانسان فى الحارة ٠

وتتبع الجزء الرابع **تفضيل الجيرة** وعوامل ذلك التفضيل ، وعدم التفضيل ، الى جانب تتبع علاقات من انتقلوا من الحارة بجيرتهم القديمة ٠ وقد اهتم الجزء الخامس والأخير ببعض **السلوكيات** التى تميز الانسان فى الحارة ، من منطلق كون تلك السلوكيات ذات تأثير واضح على تفاعل العلاقات داخل نطاق الجيرة ، لذا تم تناول سلوكيات الغيرة ، والمعايرة ، والشماتة ، والنأورة ، والمواجهة ، والمعاملة بالمثل ، والجار أولى بالشفعة ، والمزاح ٠

وقد كانت أهم استخلاصات الباب الثانى ما يلى :

فيما يتعلق بمعان الجيرة،تضمنت بعض مجالات التراث معانى للجيرة

اقتربت من واقعنا المصرى ، بينما ابتعدت بعض المعانى الأخرى فى بعض المجالات عن ذلك الواقع . فقد طالعتنا قواميس علم الاجتماع والدراسات السابقة بمعان عامة ومجردة اتفقت وواقعنا المصرى مثل كون الجيرة مكان ، وسكان ، وعلاقات فى جزء ينتمى الى كل أكبر منه . بينما قدمت معانى خاصة بعدت عن ذلك الواقع مثل كون الجيرة وحدات مطورة ، ومخططة اصطنعها المخططون ، والعاملون ، فى مجالات الخدمة الاجتماعية والتخطيط من أجل أفراد يشبعون احتياجاتهم ، وتقدم اليهم التسهيلات والخدمات كافة فى مقابل مشاركتهم فى تقديم الخدمات المحلية، وتحقيق الأهداف الاجتماعية .. الخ .

وأمدتنا لغتنا العربية ببعض الخصائص العامة ، والخاصة التى رغم تعددها ، وتعدد اشتقاقاتها الا أنها تعبر ـ غالبا ـ عن معان وموضوعات واقعية تمت مناقشتها ، ودراستها فى البحث الحالى . فقد أشارت الى خصائص عامة مثل الجوانب الايجابية من العلاقات حيث يعد الجار حليفا ، وناصرا ، يأمن جاره ويؤمنه ، كما ضمت بعض الجوانب السلبية مثل معانى الجور والظلم . كما تضمن المعنى اللغوى بعض خصوصيات الجيرة مثل اتجاهها ـ الجيرة الافقية ـ بيت بيت ـ ، والرأسية (فى العقار) ـ وأحد واجباتها ـ الحراسة فى حال غياب أصحاب المنزل .

وأمدنا التراث الاسلامى بالكثير من خصوصيات الجيرة ، حيث وصى بالجار ، ورفع مرتبته الى مرتبة تلت الوالدين والأقربين ، كما تناول العديد من خصائص الجيرة مثل الجيرة **القريبة** ـ أولى بالهدية ، وبالشفعة ـ **وحدود** الجيرة ـ أربعون دارا ، أو هى تمتد مع امتداد صدى الصوت أو الآذان ـ كما تناول الاسلام **اكرام انجار وحقوقه** ، والتى مازال مجتمعنا يحتفظ ببعضها ـ تأثرا بتراثه ـ ، بينما ندر حدوث بعضها الآخر .

أما الجيرة فى الواقع ، فقد لعبت بعض المتغيرات دورا هاما فى فهم ذلك الواقع فى مقدمتها العامل الايكولوجى ، **وعمالة المرأة** ، **والمهن** .

فقد كان لموقع المنازل فى بداية الحارة ، أو منتصفها ، أو نهايتها ، كما كان لموقع النوافذ ، والمداخل ، الى جانب عمر علاقة الانسان ببيئته ، أو وجود علاقة ببيئات قريبة كانت مقرا لسكنى الاقارب أو الاصدقاء ، كلها عوامل اشتركت فيها البيئة مع الانسان فى تحديد الامتداد الذى يمكن أن تمتد الجيرة اليه ٠

واذا كان الاقتراب المكانى هو أحد العوامل المدعمة للاحساس بالجيرة، فانه أيضا أحد العوامل المؤثرة فى وجود كم من المشكلات (السلبيات) والواجبات (الايجابيات) التى تتضح فى ظل ذلك الاقتراب ، وتصبح أكثر كثافة فى نمط السكنى المشتركة عنها فى السكنى المستقلة ٠ كما كان لذلك الاقتراب دوره فى تغذية بعض السلوكيات مثل الاحساس بالغيرة ، وتخفيض الاحساس بالخصوصية ٠

أما فيما يتعلق بمتغير عمالة المرأة ، فقد اتضح أن خروج المرأة للعمل قد خفض الى حد بعيد مشكلاتها مع الجيرة فلم يعد هناك متسع من الوقت لنشوب الخلافات ٠ كما تضاءلت واجباتها تجاه الجيران حتى أصبح العمل بالنسبة لها بمثابة رخصة اعفاء من كثير منها (الذى يتطلب مجاملة فورية) ٠

وفيما يتعلق بمتغير المهنة وعلاقته بالجيرة فى الواقع ، فقد اتضحت تلك العلاقة من خلال العمل الحرفى ـ وغير الحرفى ـ الذى يقضى باستعانة الحرفيين بصبية من نفس الحارة ، أو من حارة مجاورة ، وبالتالى تتدعم العلاقات بين السكان فى الحارة ، وأيضا مع المناطق القريبة مما يعمل على اتساع نطاق الجيرة ، وذلك على خلاف ما يحدث مع الموظفين الذين تنحسر علاقاتهم ، ولا تضطرهم مهنهم الى مثل تلك التعاملات ٠

والجدير بالذكر ، أن بعض جوانب المتغيرات السابقة ، يمكن تفسيرها فى ضوء تبعية مجتمع الدراسة الى المجتمع الأم ٠ فالعديد من سلبيات الجيرة تقوم أساسا على مشكلات تتعلق بالمرافق العامة مثل مشكلات انقطاع

المياه ، أوصعوبة صعودها الى الطوابق العليا ، أو ما وصلت اليه شبكات المجارى من سوء حال ٠٠ الخ كما أن لمشكلات الاسكان ، وأزماتها ، تأثيرها فى ذلك ٠

هذا ، كما كان لانتشار بعض الخدمات ، وبعض الادوات التكنولوجية ـ التليفزيون والغسالة ٠٠ الخ ـ وخروج المرأة للعمل (على المستوى العام) كان لذلك ولغيره دورا فيما طرأ على واجبات الجيرة من تغير ٠

ومع كل ما سبق من تأثيرات فرضها المجتمع الكبير على أجزائه واكتسبتها ، وتأثرت بها تلك الأجزاء،لتظل منتمية الى الكل ، مع الكل هذا ، ظلت الجيرة موضوع البحث محتفظة بقدر من السلوكيات والسمات التى تميزها ، وتمنحها طابعها الخاص ٠

* ● *

وتناول **الباب الثالث «العلاقات داخل الأسرة»** ، ومدى تأثيرها على تفاعل علاقات الجيرة ٠ حيث تم تناول الموضوع مقسما الى ثلاثة فصول عالجت علاقات الزوج بالزوجة ، والأم بالابناء ، والأب بالابناء ، وهى الفصول من السابع الى التاسع ٠

فقد ناقش **الفصل السابع «علاقات الزوج بالزوجة»** من حيث ظاهرة تغيب الزوج أغلب ساعات اليوم ، وقضاء وقت الفراغ فى بعض المتع الشخصية ٠ ثم حرص كثير من الزوجات على أزواجهن ، وتبرير أخطائهم ٠ وأخيرا ممارسة القوة من جانب المرأة والرجل ٠ وقد تم تناول الموضوعات السابقة من حيث تأثيرها على علاقة الزوجين داخل الأسرة ، وتأثير ذلك على تفاعل علاقات الجيرة ، والى أى مدى تأثرت تلك التفاعلات بالمجتمع الخارجى ٠

وتناول **الفصل الثامن «علاقات الأم بالأبناء»** فى مرحلتين عمريتين من مراحل عمر الابناء ، أولهما مرحلة الطفولة التى يعتمد فيها الاطفال على

أمهاتهم اعتمادا ملحوظا ، ثم مرحلة الشباب وفيها يبدأ الابناء الاستقلال الى حد ما عن والديهم .

ودار **الفصل التاسع** حول «**علاقة الأب بالأبناء**» ، حيث تم تناولها فى مرحلتين من مراحل عمر الابناء هما الطفولة ، والشباب . وحول المرحلة الأولى تمت مناقشة مشكلة غياب الأب عن المنزل ، وعلاقته بالاطفال ، وأثر التدرج المهنى للآباء ، وظروف عملهم على تلك العلاقة . وتدريب الأطفال على العمل الحرفى . أما عن المرحلة الثانية ، فقد تمت مناقشة أثر غياب الأب على علاقاته بالابناء فى سن الشباب من الجنسين ، وحرص الابناء على مزاولة العمل الحرفى ، وأثر ذلك على العلاقة بالآباء فى سن التقاعد حيث تمت معالجتها على محورين أساسيين هما أداء الواجب تجاه الآباء،وصراع الجيلين . وسوف يقدم الفصل التالى من هذا الكتاب عرضا مفصلا لمحتويات هذا الباب بفصوله الثلاثة .

●★●

أولى**الباب الرابع بعنوان «العلاقات بين الأسر فى نطاق الجيرة»** اهتمامه لأنماط التفاعل والعلاقات التى تنوعت بين علاقات اقتصادية ، وسياسية وقانونية ، واجتماعية ، وترويحية وثقافية ، حيث خصص فصل لكل منها لتشكل الفصول من العاشر حتى الثالث عشر .

وانقسم **الفصل العاشر عن «العلاقات الاقتصادية»** الى أربع نقاط أساسية ، يدور أولها حول التدرج المهنى لسكان الحارة فى جيلى الآباء والابناء ، مع الاهتمام بالفروق النوعية ـ بين الذكور والاناث ـ وتتلخص تلك التدرجات فى **الموظفين** من حيث النظرة اليهم ، وأدائهم للأعمال الاضافية ، ثم **الحرفيين** من حيث النظرة اليهم ، وتوارث الحرف ، والتكافل ، ووظيفة المقهى فى ايجاد فرص العمل . ثم **العمال غير المهرة** من حيث النظرة اليهم ، وتوارث العمل ، ومدى الاقبال عليه . أما النقطة الثانية فى هذا الفصل فهى عن النشاط التجارى فى الحارة ، وتتناول مختلف

الانشطة التجارية المرخص بها ، وعلاقة القائمين عليها بسكان الحارة ، واهم العوامل المؤثرة على تلك العلاقات · أما النقطة الثالثة فهى عن السوق ، وتتناول تقسيم النشاط المتعلق بالسوق بين افراد الأسرة ، كما تتناول موضوع الاكتفاء الذاتى ، ومدى الاحتياج الى الخدمات خارج الحارة · وتناولت النقطة الرابعة والأخيرة الباعة الجائلين ، كجزء من النشاط التجارى المرتبط بالحياة فى الحارة ·

وناقش **الفصل الحادى عشر «العلاقات السياسية والقانونية»** فى مجتمع الدراسة فى ثلاثة موضوعات هى على التوالى بناء القوة غير الرسمية ممثلة فى بعض سكان الحارة الذين يمتلكون القوة أو يمارسونها فى سبيل فض الشجار ، الى جانب اجتماعات الصلح التى يعقدها الرجال ـ أو النساء ـ من أجل حل المشكلات واعادة العلاقات بين أطراف النزاع ·

أما الموضوع الثانى فهو بناء القوة الرسمية ممثلة فى شيخ الحارة ، وأدوار الحزب الوطنى الديمقراطى ، وموضوعات الدعاية الانتخابية ، والسلوك الانتخابى ، وأحزاب المعارضة ، ثم قسم الشرطة ودوره كجزء من بناء القوة الرسمية فى الحفاظ على استتباب الأمن فى المنطقة · وأخيرا يتناول الفصل علاقة القوتين الرسمية وغير الرسمية والتى تتراوح وتختلف بين علاقات عدم التعاون ، والتعارض والتحاشى ، والصراع ، والمساندة·

ويتناول **الفصل الثانى عشر «العلاقات الاجتماعية»** من خلال أربعة موضوعات هى **الزواج** ، حيث تمت مناقشة موضوعات تفضيل الزواج من داخل الحارة ، ومراحل الزواج المختلفة بما تشمله من واجبات بين العروسين ، واحتفالات الزواج ، وأشكال وانماط الأسرة ·

والموضوع الثانى هو علاقات **الجيرة والنسب والقرابة** حيث ناقش تاثير علاقات المصاهرة ، والقرابة على علاقات الجيرة من خلال مجموعتين من الأسر ترتبط الأولى منها بعلاقات جيرة ونسب ، بينما ترتبط الثانية بعلاقات جيرة ونسب وقرابة ·

أما الموضوع الثالث فهو **الانحراف** ، وقد ناقش بعض أشكال الانحراف الموجودة فى مجتمع البحث وهى الانحراف الجنسى ، والدعارة ، والمعاكسات ، و «البلطجة» ، والسرقة ، والنشل والمخدرات ٠

وتناول الموضوع الرابع **الأعياد** الدينية ـ رمضان ، العيدين ، عاشوراء ، المولد النبوى ، ورأس السنة الهجرية ـ والأعياد القومية التى يحتفل بها سكان الحارة مثل عيد شم النسيم ٠

وقد انقسم **الفصل الثالث عشر** بعنوان **«العلاقات الترويحية والثقافية»** الى قسمين تناول الأول منهما العلاقات الترويحية داخل الحارة بين الذكور والاناث فى مراحل عمرية مختلفة هى الطفولة ، والشباب فى مرحلة ما قبل الزواج ، ثم الشباب فى مرحلة ما بعد الزواج ، ثم كبار السن ٠ حيث أن لكل فئة من تلك الفئات مجالها الترويحى الخاص ٠ كما تناول هذا الجزء بعض المناسبات العامة التى تجمع كافة الفئات السابقة ٠

أما القسم الثانى فتناول العلاقات الثقافية من حيث بعض الجوانب الاعتقادية لأفراد مجتمع البحث ، لما للمعتقدات من أثر فى توجيه السلوك ٠ وبالتالى فان فهمها والوقوف عليها له أثره الواضح فى فهم ، وتفسير العلاقات الاجتماعية ، والتفاعل الاجتماعى ، حيث تم تناول موضوعات السحر ، وقراءة الفنجان ، والأحلام ، والحسد ، والأولياء ٠

ومن خلال ما تضمنته الفصول الاربعة للباب الرابع ، يمكن القول أن تحليل وتفسير ، وفهم كل من العلاقات الاقتصادية ، والسياسية ، والقانونية ، والاجتماعية ، والترويحية ، والثقافية لمجتمع الجيرة لا يتم بمعزل عن السياق العام للمجتمع الأم ٠ فقد اتضح فى كل مجال من تلك المجالات أن الجيرة ليست كيانا منعزلا مكتفيا بذاته ، وانما هى جزء تابع يتأثر بذلك الكل الذى ينتمى اليه ٠ وفى نفس الوقت فان هناك بعض العوامل الخاصة بذلك التابع تجعله متمتعا بقدر من الخصوصية والتميز ٠

ففى مجال **العلاقات الاقتصادية** ، كانت تبعية الجزء للكل أكثر

وضوحا فى هذا المجـال منهـا فى المجالات الأخرى ٠ فقد أثرت العـلاقة بالمجتمع الكبير على مختلف التدرجات المهنية حيث كان انخفاض أجور الموظفين ، ولجوئهم الى الجمع بين العمل الأساسى والاضافى ، فى مقـابل ارتفاع أجور الحرفيين نتيجة هجرة الايدى العاملة الحرفية ، مما نتج عنه زيادة الطلب على تلك الايدى ـ الباقية بلا هجرة ـ فى الوقت الذى انخفض فيه الاهتمام بتقنيات الحرفة ، واتجه الكثيرون الى الجمع بينهـا وبين التعليم ، وكلها تغيرات كانت بفعل تأثير المجتمع الخارجى ٠

وقد كان لتفاعل تلك التاثيرات الخارجية ، مع بعض العوامل الداخلية ـ مثل توارث العمل الحرفى ـ أثر واضح فى اختـلاف النظـرة الى تلك التدرجات المهنية ، حتى نستطيع استخلاص هرم مكانى للمهن يتميز به مجتمع الدراسة عن غيره من أجزاء المجتمع الأخرى ٠

كما أن الحارة باعتبارها غير مكتفية ذاتيا فى مجال الأنشطة التجارية فان سكانها يشبعون كافة احتياجاتهم الاقتصادية من خلال علاقات السوق مع المجتمـع المحلى ، والقـومى ٠ وفى ذات الوقت فان بعض الانشـطة التجارية الموجودة فى الحارة ـ مثل مصنع الشيكولاتة ـ لا تدخل مجال اهتمام مفردات البحث ، وانما يمكن ارجاع وجودها أيضا الى تأثيرات المجتمع الخارجى على أنماط الانتاج الموجودة فى نطاق ذلك الجزء الصغير من المجتمع ٠ وأخيرا فان تأثيرات المجتمع الخارجى قد لحقت أيضا بالباعة الجائلين ، حيث أثرت على نوعية بعض السلع التى تسوق ، كمـا أنهم يخضعون لقرارات وقوانين المجتمع الأم ـ تراخيص العمل ـ ورغم تبعية ذلك النشاط للمجتمع الأكبر ، الا أن انتشاره على مستوى الحارة يمكن اعتباره أحد السمات المميزة لمثل تلك المناطق التقليدية الشعبية ٠

وتجلت علاقة تبعيـة الجـزء للمركز فى مجال العـلاقات **السياسية والقانونية** ٠ فبناء القوة غير الرسمى قد تاثر بكافة ظروف المجتمع الأم ٠ فبعد أن كان كبار السن يشكلون قوة لها ثقلها ، واحترامها على مستوى

المجتمع الصغير ، أصبح الشباب يشعر بالاستقلالية بفعل كافة التأثيرات الخارجية من ازدهار للعمل الحرفى،الى الهجرة أو السفر ، الى ما تنقله وسائل الاعلام من أفكار جديدة ٠٠ الخ ٠ هذا ، كما أن بناء القوة الرسمى فىمجتمع البحث هو أيضا جزء تابع لبناء القوة الرسمى على مستوى المجتمع ككل ٠

ومع ذلك ، ظل مجتمع البحث محتفظا ببعض سماته الخاصة التى تبدو على سبيل المثال فى بناء القوة ـ غير الرسمية ـ فى حالات اللجوء الى الجيران لفض النزاع ، وابرام الصلح بين الاطراف فى نطاق الجيرة ، كما تبدو فى مجال بناء القوة الرسمية فى كثافة العلاقات بشيخ الحارة ، وفى اقتصار حق الانتخاب على فئات محددة ٠

وفى مجال **العلاقات الاجتماعية** ، فرغم ما يلعبه العامل الايكولوجى من دور واضح فى علاقات الجيرة ، وفى وجود بعض أنماط السلوك المنحرف الا أن كثيرا من انشطة هذا المجال تتضح فيها أيضا تبعية مجتمع الدراسة للمجتمع الخارجى ٠ فمراحل الزواج ، وبعض الممارسات الخاصة بها ، وما يحكمها من تشريعات وقوانين هى كلها جوانب خضعت للتأثيرات الخارجية ٠ كما أن أساليب الانحراف ، وادمان المخدرات ، ونوعياتها ، الى جانب مكافحتها ، هى كلها جوانب تأثرت الى حد بعيد بظروف المجتمع وبكثافة الحملات القومية ، ودرجة نشاط أجهزة الأمن والشرطة ٠ وأخيرا فان الاحتفال بالاعياد بما تشمله من طقوس وممارسات ، وعادات اجتماعية ، وغذائية ، وغيرها هى كلها بفعل تأثير المجتمع الخارجى ٠

ومع ذلك ، احتفظ مجتمع البحث ببعض السمات المميزة فى مجال العلاقات الاجتماعية ، فظل الاحتفال بالزواج له طابعه الخاص ـ يتم فى الحارة ـ وظل حجم الأسرة كبيرا ، كما ظل شكلها نوويا نتيجة العوامل الخاصة بحياة ذلك الجزء من المدينة الذى يعمل الغالبية من سكانه بالحرف ، وبالتالى يدرون دخولا لا تكفل لهم انتشار ذلك الشكل من أشكال الأسرة ٠

واذا انتقلنا الى مجال **العلاقات الترويحية والثقافية** ، لاحظنا على الفور ما تؤديه ايكولوجية مجتمع البحث من دور فى تحديد مجالات الترفيه ، حيث يفتقر الحى الى الحدائق ، والنوادى ، والمتنزهات الى جانب تميزه بتلاصق مبانيه ، وضيق وحداته السكنية وطرقاته ، وبالتالى استخدمت أسطح المنازل ، ومناورها ، وعتباتها كأماكن للترفيه حيث تفضل احداها عن الأخرى وفقا لاختلاف الطقس بين الشتاء والصيف ، وبين الليل والنهار .

وهكذا تجلت تبعية مجتمع الدراسة للمجتمع الخارجى - أكثر ما تجلت - فى مجالى العلاقات الاقتصادية ، والسياسية والقانونية . ثم فى مجال العلاقات الاجتماعية ، ثم الترويحية والثقافية .

ومع ذلك ، وفى كل مجال سابق ، احتفظ مجتمع البحث ببعض السمات الخاصة المميزة لشخصيته ، والتى تدرجت تدرجا عكسيا مع التدرج السابق حيث اتضحت تلك السمات الخاصة أكثر ما اتضحت فى المجال الترويحى والثقافى ، ثم مجال العلاقات الاجتماعية ، ثم مجالى العلاقات السياسية والقانونية ، والعلاقات الاقتصادية .

●✱●

وقد انقسم **الباب الخامس** بعنوان **«العلاقات بين مجتمع الدراسة والمجتمع الخارجى»** الى فصلين اثنين هما الفصل الرابع عشر ، والخامس عشر .

وينطلق الفصل الرابع عشر بعنوان «العلاقات على المستوى الخاص والعام» من فكرة تقضى بضرورة تتبع علاقات التبعية التى تربط مجتمع البحث بالمجتمع الخارجى . فسكان الحارة بفئاتهم العمرية والنوعية المختلفة تختلف دوائر جذبهم الى خارج مجتمعهم الصغير . فالتعليم الأساسى ، والمتوسط يجذب الأطفال والشباب فى حدود ، أو داخل نطاق

الحى ، بينما يشكل التعلم الجامعى قوة جذب أخرى الى المدينة ، أو المدن المصرية ٠

وكما يجذب السوق سكان الحارة الى الشارع الرئيسى ، والى بعض الأحياء والمحافظات على مستوى المجتمع ،نجد للعمل دورا آخر فى جذب فئات من السكان الى خارج الحارة ، والى مختلف المحافظات بل الى بعض البلدان ـ النفطية غالبا ـ وبعض دول الاوربية ـ أحيانا ـ ٠ هذا ، كما تتصل الأسرة فى الحارة من خلال بعض العلاقات الاجتماعية (كالزواج) والثقافية (كمجالات الترفيه ، ووسائل الاعلام) بقنوات تصلهم مباشرة بالمجتمع الخارجى ٠

والجدير بالذكر أن كلا من تلك المجالات السابقة تنتمى الى أحد الأنساق الأساسية ٠ ومن هنا فقد تم تقسيم الفصل الى الانساق الاربعة التالية : **النسق الاقتصادى** ، وتم فيه تناول جوانب العملية الاقتصادية انماط الانتاج ـ العمل ، والنشاط التجارى ـ والتوزيع ـ سوق السلع ، والخدمات ثم الاستهلاك ٠ **والنسق السياسى** حيث تم تتبع تبعية مجتمع البحث لجوانب النسق السياسى ، والقوانين الوضعية ، والمستمدة من الشريعة الاسلامية على مستوى المجتمع الأم ٠ **والنسق العائلى** ، حيث تم تناول بعض جوانب النسق العائلى فى مجتمع البحث مثل الزواج ، وحجم الأسرة ، وشكل الأسرة ٠ **والنسق الثقافى** الذى تناول مجالات الترفيه مثل المقهى ، والساحات الشعبية والحدائق العامة ٠٠ وغيرها ٠ ثم وسائل الاعلام المختلفة ، ثم التعليم ، باعتبارها مجالات ثقافية ـ شعبية ورسمية ـ تربط مجتمع البحث بالمجتمع الخارجى ٠

وانتهى الفصل الرابع عشر الى بعض النتائج والاستخلاصات التى تؤكد تبعية مجتمع البحث للمجتمع الخارجى ٠ ففى مجال العلاقات **الاقتصادية** اتضحت تبعية الموظفين فى الحى للمجتمع ككل من حيث الأجور ، واستخدام الوسائل التكنولوجية ـ كالآلات الحاسبة ، والحاسب الآلى

وغيرها ـ · وفى مجال العمل الحرفى كان هناك تأثر واضح بمختلف ظروف المجتمع مثل الهجرة ، واكتساب أساليب استهلاكية جديدة ، والاتجاه الى الالمام باكثر من حرفة ، وبالتالى اختفاء التخصص الحرفى ، وهى كلها أمور تشير الى مزيد من انتخلف ، ومزيد من تدهور الحرف والعمل اليدوى ، مما أحدث تغيرا فى قوى الانتاج حيث أصبح الاقبال موجها الى الوسائل التكنولوجية التى تيسر العمل ، وتوفر الوقت والجهد ، كما استخدمت الخامات المصنعة ـ كالأخشاب ـ بدلا من الطبيعية · وأدت علاقة التبعية فى مجال الانشطة التجارية الى ظهور أنماط جديدة للانتاج مثل العيادات انتخصصية ، ومكاتب المحاماة ـ وهى مجالات ايجابية لتلك العلاقة ـ كما أن قيام مصنع للشيكولاتة داخل الحارة، هو أيضا أحد مؤشرات تبعية مجتمع البحث للمجتمع الخارجى·

وحول سوق السلع الاستهلاكية ، والخدمات اتضحت أيضا تبعية مجتمع البحث فى انتشار أنماط من السلع ـ المستوردة ـ مثل الأدوات الكهربائية ، والديكورات ، وغيرها ، وأيضا فى خضوع السوق لاشراف الدولة التى لها دورها فى تحديد الأسعار ، ومنح تصاريح مزاولة المهن والأنشطة ··· الخ· كما اتضحت تلك العلاقة فى نوعية الخدمات المقدمة من قبل الدولة من مرافق ومواصلات ·

ومع ذلك احتفظ مجتمع البحث ببعض السمات الخاصة فى هذا المجال مثل بعض نوعيات خاصة من السلع الاستهلاكية ، كما أنه فى سوق الخدمات عانى سكان الحى من بعض المشكلات التى زادت درجة المعاناة منها على مستوى الحى عن غيره من الأحياء غير الشعبية وفى مقدمتها مشكلات المرافق العامة ·

وفى المجال **السياسى** ، تأكدت تبعية مجتمع البحث على المستوى الرسمى حيث الانتماءات الحزبية هى نفسها على مستوى المجتمع · والالتزام بالقوانين والتشريعات هو أيضا نفسه ، ويبدو ذلك فى الانضباط ،

وحملات مكافحة الجريمة ، ووجود المؤسسات القانونية مثـل النيـابات الجزئية والعامة ، والمحاكم ، والسجون • بينما احتفظ مجتمع البحث ببعض ما يميزه فى مجال العلاقات السياسية ـ على المستوى غير الرسمى ـ وقد اتضح ذلك فى سلطة المرأة على مستوى الحارة ، كما اتضح فى اللجوء الى الجيران لفض النزاع •

وفى مجال العلاقات **العائلية** ، اتضحت علاقة التبعية من خلال الخضوع للقوانين الخاصة بالزواج ـ والأحوال الشخصية ـ ، وتأثير الظروف العامة على ارتفاع سن الزواج وغيره • ومع ذلك احتفظ مجتمع البحث بحجم الأسرة كبيرا كأحد السمات المنتشرة فى المجتمعات التقليدية التى ترى فى الأبناء عزوة الى جانب كونهم قيمة اقتصادية ، كما احتفظ مجتمع البحث ايضا بنمط الأسرة النووية ، والممتدة المعدلة •

وفى مجال العلاقات **الثقافية** ، اتضحت التبعية فى استخدام المقهى بعض الوسـائل التكنولوجية ـ مثل الثـلاجة ، والمواقد ـ وفى الالتزام بالتراخيص الخاصـة بمزاولة النشـاط عـلى مسـتوى المجتمع ككل • كما اتضحت التبعية فى مناهج التعليم ونظمه ، وفى خضوع الحى لخطط التحسين والتجميل المنتشرة على المستوى القومى • وأيضا فى التأثر بما تنقله مختلف وسائل الاتصـال الجماهيرى التى هى نوافذ على العـالم الخارجى • ومع ذلك ارتبط الترفيه فى مجتمع البحث بأنشطة ومجالات خاصة مثل المقهى ، والساحات الشعبية ، كما انخفض الاحساس بجمال الطبيعة ، وارتفعت كثافة زيارة الاضرحة نظرا لانتشارها وتميز الحى بها كواحدة من السمات المميزة له • وأخيرا فان مدى الاقبال على وسـائل الاعلام هو آخر السمات الخاصة حيث يعد التليفـزيون فى مقـدمة تلك الوسائل بينما ينخفض الاهتمام بالمسرح والصحافة •



وناقش **الفصل الخامس عشر والأخير «القيم فى مجتمع البحث»** تلك

القيم التى تبدو فى مجال السلوك ، ولها تأثيراتها على طبيعة العلاقات فى مجتمع البحث · حيث تم تناول كل قيمة من حيث السلوكيات التى تعكسها ، وتعكس وجودها أو اقتصارها على المجال المثالى ، مع الاهتمام بالتغيرات التى طرأت عليها ، والتى هى غالبا بتأثير المجتمع الخارجى ·

وحيث أن القيم التى تم تناولها قد اتضحت من خلال بعض السلوكيات فى مجالات العلاقات الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية ، والثقافية ، فقد تم تقسيمها وفقا لذلك التقسيم · ففى مجال العلاقات الاقتصادية تم تناول القيمة المادية ، وقيمة العمل · وفى مجال العلاقات السياسية تم تناول قيمة القوة ـ على المستوى غير الرسمى ، بينما تم تناول قيم الانتماء ، والقرابة ، والشرف ، والعصبية ، والمصلحة الذاتية ، والشهامة ، والأمانة واحترام كبار السن ، والكرم ، والايثار ثم التعليم ضمن المجال الاجتماعى والثقافى ·

وقد اتضح من الفصل الأخير أن القيم قد ارتبطت غالبا بالسلوك المثالى ، أو ما ينبغى أن يكون ، وأن ذلك السلوك المثالى قد يتحقق فى الواقع أحيانا ، بينما لا يتحقق عمليا فى أغلب الأحوال ، لتعيش القيمة ونقيضها على أرض الواقع · وفى الحالة التى تفقد فيها القيمة ، فان الكثيرين يتظاهرون بسلوكيات تعكس بقاءها · ولعل ذلك يعكس أن بقاءها يمكن أن يستمر شكليا حتى وان لم توجه القيمة السلوك بالفعل ـ مثال الشهامة ، والأمانة ، والشرف ، وغيرها ·

ويشير ما سبق الى أن القيم تستمر فى البقاء ، ولكنها تتغير بفعل بعض تأثيرات المجتمع الخارجى ـ غالبا ـ وقد ينجم عن ذلك ظهور قيم جديدة تفسح لذاتها مكانا بين القيم القديمة مما يؤدى الى انحسار تلك القديمة مثل قيمة القرابة ، لتجد القيمة الجديدة مكانا أكبر ـ مثل المصلحة الذاتية ـ ، ومع ذلك تعيش الاثنتان كل منها الى جانب الأخرى ·

والجدير بالذكر أن بعض القيم الموجودةفىمجتمع البحث تعد امتدادا

لتلك الموجودة على المستوى العام ـ مثل القيمة المادية ، والشرف ، والقرابة ، والمصلحة الذاتية ، والأمانة ، والتعليم وغيرها . بينما توجد قيم أخرى تعد قيما خاصة مميزة للحياة فى ذلك المجتمع الصغير مثل قيمة العصبية ، والشهامة ، والانتماء (على المستوى الخاص) ، والقوة (كموجه لسلوك المرأة خارج منزلها) . ومع خصوصية تلك القيم فهى ليست قاصرة على مجتمع البحث ، وانما يمكن أن توجد أيضا فى غيره من المجتمعات المحلية التقليدية الشعبية .



نتـائج الدراسـة الميدانيـة

لعل أبواب البحث الخمسة ، وفصوله الخمسة عشر قد أجابت على الفروض ، والتساؤلات التى تضمنها الفصل الثالث • وفيما يلى اجابات عن تلك التساؤلات تمثل أهم نتائج البحث الميدانى ـ انظر مناقشة للنتائج فى خاتمة الرسالة •

١ ـ لعبت ايكولوجية المكان ، وعمالة المرأة ، والمهنة ـ كمتغيرات حتمية ـ دورا حيويا فى فهم الجيرة كواقع ، وفى تشكيل العلاقات داخل الأسرة ، وفى نطاق الجيرة ، والمجتمع الخارجى •

٢ ـ تنتمى بعض الموضوعات المتضمنة فى المتغيرات السابقة الى مجال تأثير المجتمع الخارجى • فأزمة الاسكان ـ على سـبيل المثـال ـ على مستوى المجتمع ككل ، الى جانب غلاء المعيشة ،وغيرهما ، كان لهمـا تأثيرهما على انتشار نمط السكنى المشتركة •

كما يمكن النظر الى خروج المرأة الى العمل كواحد من المتطلبـات الأساسية الناجمة عن غلاء المعيشة ، والرغبة فى تحقيق مزيد من الدخل للأسرة،ومزيد من الطموحات التى وصلت الى خبرات سكان الحارة نتيجة لعلاقة التبعية على المستوى القومى والعـالمى ـ مثل انتشـار استخدام الأدوات الكهربائية •

٣ ـ مازالت علاقات الجـيرة باقيـة فى المجتمـع المحلى ـ الشعبى التقليدى • وتضم تلك العلاقات شقى التفاعل الايجـابى والسلبى حيث تعمل واجبات الجيرة على ايجاد العلاقات بين سكان الحارة ، بينما تعمل سلبيات الجـيرة ، ومشكلاتها على وجود الفـرقة بينهم • الا أن الجيرة ستظل باقية فى المستقبل طالما بقيت مقوماتها التى فى مقدمتها القـرب المكانى ـ حيث تلاصق المبانى ولقترابها ـ الى جانب احتفاظ الانسـان

فى المجتمع المحلى بقدر من شخصيته المميزة ، وببعض الانماط السلوكية الخاصة التى تكفل له مزيدا من التفاعل فى العلاقات .

٤ ـ أثرت تبعية الجيرة للمجتمع الخارجى على طبيعة العلاقات داخل الأسرة ، وفى نطاق الجيرة . فقد اكتسب أفراد الأسرة سلوكيات جديدة ، وأساليب استهلاكية غريبة .. الخ أثرت جميعها على العلاقات داخل الأسرة ، كما أثرت على العلاقات فى نطاق الجيرة ، حيث ازداد احساس الشباب بالفردية والاستقلالية . وفى مقابل ذلك تقلصت أدوار الآباء ، وكبار السن ، والشيوخ على مستوى الأسرة ، والجيرة .

٥ ـ تأثرت الأطر الثقافية للجيرة فى ضوء علاقتها بالمجتمع الأكبر . وقد اتضح ذلك فيما يعكسه غزو التكنولوجيا للعديد من المجالات الترفيهية التقليدية ـ مثل المقهى ـ . وفى المجال الثقافى ، فان المعتقدات على مستوى الحارة هى جزء من النسق الاعتقادى العام . كما أن مناهج التعليم ، ونظمه هى نفسها على مستوى المجتمع الكبير . وأخيرا تتجدد تلك العلاقة بصفة يومية خلال وسائل الاعلام ، وفى مقدمتها التليفزيون .

٦ ـ اتضحت طبيعة العلاقات الاجتماعية بين مجتمع البحث والمجتمع الأم من خلال التأثر بالظروف العامة للمجتمع التى أدت الى ارتفاع سن الزواج ، والخضوع لقوانين الاحوال الشخصية،ومختلف القوانين الوضعية التى تحكم تلك العلاقات الاجتماعية . وفى المجال السياسى والقانونى اتضحت طبيعة العلاقة بين الجيرة والمجتمع الخارجى على مستوى بناء القوة الرسمى ، حيث أن الانتماءات الحزبية ، وجميع التفاصيل المرتبطة بالسلوك الانتخابى ، والدعاية الانتخابية ، والخضوع للقوانين الوضعية هى نفسها على مستوى المجتمع ككل .

٧ ـ تغير النسق الانتاجى للجيرة متأثرا بعلاقته بالتغيرات فى نطاق السوق الخارجى ، والمجتمع الكبير ، حيث اتضحت علاقة التبعية فى أسواق السلع الاستهلاكية ، والخدمات . فقد غمرت الاسواق نوعيات من

السلع الاستهلاكية الترفية ، كان وجودها مؤشرا دالا على تبعية مجتمع الجيرة للمجتمع الأم الذى هو تابع للرأسمالية العالمية . كما اتضحت تلك التبعية فى خضوع مجتمع البحث لجميع القوانين الاقتصادية . كما أنه فى مجال النشاط الانتاجى ، ظهرت أنشطة لم تكن موجودة على مستوى الحارة . كما أثر غزو التكنولوجيا على العديد من أنماط الانتاج التقليدية مما أثر على انخفاض مستويات المهارة الحرفية ، واحلال خامات مصنعة بدلا من الخامات الطبيعية ، والحد من التعامل مع الصبية وغيرها من التغيرات .

وهكذا ، يمكن القول أن علاقة التبعية قد اتضحت أكثر ما اتضحت فى مجال العلاقات الاقتصادية ، والسياسية ، تلى ذلك مجال العلاقات الاجتماعية ثم الترويحية والثقافية .

٨ - رغم تبعية مجتمع البحث - للمجتمع الخارجى - فى مجال العلاقات الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية . الا أنه مازال يحتفظ ببعض الملامح ، والقسمات الخاصة التى تطبع شخصيته وتميزها ، كما يمكن أن تميز أحياء أخرى لها نفس ظروف الحياة التقليدية الشعبية .

ويمكن القول أن تلك الملامح الخاصة للحى تتضح فى مجال العلاقات الترويحية والثقافية ، يليها مجال العلاقات الاجتماعية ، ثم السياسية والاقتصادية .

وفى ختام الحديث عن علاقة التحاور بين التبعية ، والخصوصية ، أرى أن تلك العلاقة قد أسفرت عن مزيد من التناقض الذى امتد الى جوانب كثيرة من الحياة فى ذلك المجتمع ، والى القيم ذاتها ، ولا يعنى ذلك فقدان القيم ، أو أن مجتمع البحث مجتمع يعيش بلا قيم ، وانما يعنى أن هناك تناقضات فى هذا المجال حيث تعيش القيمة ونقيضها على أرض الواقع .

الفصل السادس

العــلاقات داخل الاسرة في مجتمع محلى حضرى(*)

القسم الأول

عــــلاقة الـــزوج بالزوجـــــة

مقـــــدمة :

يناقش هذا القسم بعض الموضوعات المتصلة بالزوج والزوجة داخل الأسرة ، وفى مقدمتها ظاهرة تغيب الزوج أغلب ساعات اليوم ، وقضاء وقت الفراغ فى بعض المتع الشخصية كالتدخين ، والسهر ، والجنس ، ثم حرص كثــيرات من الزوجات على أزواجهن ، وتبرير أخطائهم ۰ وأخيرا ممارسة القوة من جانب المرأة والرجل ۰

وســـوف أتناول الموضــوعات السابقة من حيث تأثيرها على علاقة الزوجين داخل الأسرة ، وتأثير ذلك على تفاعل علاقات الجيرة ، والى أى مدى تتأثر تلك التفاعلات بالمجتمع الخارجى ۰



(*) هذا الفصل جزء من رسالة الدكتوراه التى تقدمت بها الدكتورة سعاد عثمان أحمد المدرس بقسم الاجتماع بكلية بنات جامعة عين شمس ، وعنوانها : «الجيرة ۰ دراسة أنثروبولوجية لأنماط العلاقات الاجتماعيــة والتفاعل فى مجتمــع محلى حضرى» ، أجيزت عام ١٩٨٥ ۰ والفصــل المنشور يمثل مادة الباب الثالث من الرسالة وعنــوانه : العــلاقات داخل الأسرة ، ص ص ٢٩٧ ــ ٣٤٧ ۰

أولا ـ مشكلة تغيب الزوج :

وقد تناولت هذا الموضوع دراسة أونى ويكان عن فقراء القـاهرة ، والتى ناقشت فيها أثر هذا الغياب على تحمل الزوجة لمزيد من أعبـاء ومشكلات الانفاق التى تواجهها منفردة(١) من جانب ، ومن جانب آخر فان الزوج يعود متعبا وجائعا فى نهاية اليوم ، فلا يجد الطعام أو الراحة بسبب نقص الموارد المالية(٢) •

ولعل ما ذكرته أونى ويكان فى دراستها هو صورة للأوضاع الاقتصادية فى الستينيات ـ وقت اجراء بحثها الميدانى ـ وبمقارنة الوضع بما هو قائم حاليا ، نلاحظ تغيرا ملحوظا فى الأوضاع الاقتصـادية لمثل هذه الاحياء التى يعمل غالبية سكانها بالحرف ، فقد تضاعفت الأجور بصـورة لافتة للنظر ، ويرجع ذلك فى جانب منه الى هجرة الأيدى العاملة الحرفية الى البلدان النفطيـة ، بينما من تعـذر سفرهم لسبب أو لآخر فقـد زادت أجورهم نتيجة لنقص العمـالة الحرفيـة على مستوى الجمهـورية من جانب ثان •

وسوف أناقش فيما يلى مشكلة غياب الزوج فى تدرجات مهنية مختلفة ، كما أناقش نفس المشكلة وعلاقتها بأنماط السكن فى مجتمع البحث ، وذلك فى سبيل الوقوف على طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة ، ومدى تأثيرها على علاقات الجيرة •

وفيمـا يتعلق بالتـدرجات المهنيـة وانماط العمالة ، سـوف أناقش الاختـلافات فى العلاقات على مستويين أولهما عمالة الزوجة ، وثانيهما عمالة الزوج •

---

1. Unni Wikan., Life among the poorin Cairo, Translated by Ann Henning. Published in the U.S.A. by Tavistock publication in association with Methuen, Inc. 733. Third Avenue, New York, 10017, 1980. p. 35.
2. Ibid., p. 99.

■ **عمالة الزوجة :** تختلف علاقات الزوج والزوجة فى حالة خروج المرأة الى العمل ، فكما يقضى الزوج أغلب ساعات اليوم بعيدا عن أسرته ، فان الزوجة أيضا تقضى أغلب ساعات النهار بعيدا عن الأسرة . وتصبح فترة المساء بالنسبة لها فترة عمل داخل منزلها تقل فيها علاقاتها بالجيران . ولعل الفرصة تكون مواتية لها للقيام بتلك الأعمال عندما يكون الزوج مرتبطا بالعمل أغلب ساعات اليوم ـ لفترتين ـ حيث أن الأزواج الذين يسمحون لزوجاتهم بالعمل هم غالبا موظفون .

وما يهمنا فى علاقة الزوج والزوجة العاملة ، أن الزوجة التى تحقق دخلا للأسرة تختلف علاقتها بالزوج عن تلك التى لا تحقق دخلا ، ومثال ذلك الزوجة فى الاسرة (٢٠ن٠ع) التى لا تكف عن ذكر أنها قد أنفقت على زوجها حتى أتم تعليمه الجامعى ، وأنها صاحبة الفضل عليه فى ذلك . ولاشك أن لذلك أثره على ممارسة القوة من جانب الزوجة ، واتخاذ القرار ، وهو ما سوف أتناوله فى فقرة لاحقة .

■ **عمالة الزوج :** ويختلف الازواج فى مجتمع البحث بين العمال الحرفيين والعمال غير المهرة ، وموظفى الحكومة . ولعل الفئتين الأولى والثانية ، تقتربان الى حد بعيد ، فيما يتعلق بمشكلة الغياب ، حيث يخرج الزوج فى الصباح الباكر ، ولا يعود الا فى المساء ، وبالتالى يترك الزوجة تواجه أعباء الحياة بما تشمله من أعمال منزلية ، وتوفير احتياجات المنزل ، والاشراف على تربية الأبناء ورعايتهم ... الخ . وطالما وجد الزوج فرص عمل فانه نادرا ما يحصل فى مختلف الحرف على اجازات ، حيث يفضل العمل فى سبيل كسب الرزق . وقد يضطره ذلك فى أحوال كثيرة الى الجمع بين عدة أعمال فى وقت واحد . وبالتالى لا تكون هناك فرصة للبقاء مع الزوجة والابناء الا نادرا .

وفى المواسم التى يقل فيها العمل ـ للحرفيين بصفة خاصة ـ فانهم أيضا لا يفضلون الجلوس فى بيوتهم مع زوجاتهم وأطفالهم وانما يفضلون

الذهاب الى المقاهى التى يصبح الجلوس فيها للترفيه والمتعة مع احتساء المشروبات الى جانب انتظار فرص العمل .

أما اذا كان الزوج يعمل فى أحدى الوظائف الحكومية ، فان ذلك يختلف بين ما اذا كان يعمل لفترة واحدة أو لفترتين . ففى الحالة الأولى يفضل الأزواج الموظفون الجلوس فى منازلهم غالبا لمشاهدة برامج التليفزيون المختلفة ، أو الخروج لزيارة بعض الأقارب ، حيث يصطحبون أحيانا أبناءهم من الاطفال أو زوجاتهم . ويرجع عزوف الموظفين عن الجلوس على المقهى - فى جانب منه - الى محاولة الحد من الانفاق ، حيث يتطلب الجلوس على المقهى مصروفا اضافيا ، ونفقات جديدة ، الى جانب أن المقهى قد ارتبطت ارتباطا ملحوظا بفرص العمل الخاصة بالحرفيين . أما اذا كان الزوج الموظف يعمل لفترتين ، فان الوضع لا يختلف كثيرا عن الازواج الحرفيين المهرة وغير المهرة حيث يتغيب عن بيته وزوجته معظم ساعات النهار وبعض ساعات الليل .

ومع هذا ، فان هناك بعض الحالات الخاصة التى تضطر الأزواج الى البقاء فى منازلهم ، بصرف النظر عن نمط العمالة الخاص بهم . وفى مقدمة تلك الحالات **كبر السن** - مثل الزوج فى الأسرة (١٣٠١٠أ) والاسرة (٠٨م٠ح) - فالأول يعمل نقاشا بينما يعمل الثانى موظفا ، وهما لا يغادران منازلهما أغلب ساعات اليوم . **والمرض** هو العامل الثانى سواء كان عضويا أو نفسيا وكمثال فان الزوج فى الأسرة (١١٠ع٠م) - بناء - لا يغادر مسكنه مساء لكونه مصابا بمرض نفسى يجعله يشعر بالاكتئاب والعزلة ، كما أنه يعمل لدى شركة - قطاع عام - وليس فى حاجة الى الجلوس على المقهى لالتقاط الرزق .

أما فيما يتعلق **بانماط المسكن**، فان غياب الزوج له تأثيره الواضح على طبيعة العلاقة بالزوجة ، تلك العلاقة التى تختلف أيضا بين ما اذا كانت الأسرة تعيش فى منزل مستقل ، أو مشترك . فالزوجة التى تعيش فى شقة مستقلة ، تستطيع أثناء غياب الزوج أن تنظم الوقت

كما تشاء ، حيث تعيش حياة مستقلة ترتبط الى حد كبير بظروف الوضع السكنى • بينما الزوجة التى تعيش فى غرفة مشتركة (شرك) ، فان غياب الزوج معظم الوقت له أثره على كثافة تفاعل علاقاتها بالجيران بصفة عامة ، وبالجيران فى السكنى المشتركة (الشرك) بصفة خاصة • حيث تصبح الزوجات وكأنهن أعضاء فى أسرة واحدة يعرفن كل كبيرة وصغيرة عن بعضهن البعض وتجمعهن بشكل واضح ايجابيات الجيرة القريبة • كما تفرقهن أحيانا سلبياتها •

وهكذا ، لا تمس مشكلة غياب الزوج ــ مع اختلاف أنماط العمالة والسكن ــ العلاقة بالزوجة فقط • وانما هى تؤثر الى حد بعيد على العلاقة **بالجيران** • فغياب الزوج يتيح للزوجة ــ غير العاملة ــ فرصة القيام بكافة واجبات الجيرة ، بينما تنخفض تلك الواجبات عند الزوجة العاملة • وعلى سبيل المثال اذا حدثت مشاجرة فان لدى الزوجة ــ غير العاملة ــ الوقت الكافى للنزول من منزلها ، والتدخل لفض النزاع ، أو حتى مراقبة الأمر من شرفة المنزل • كما أن لديها الوقت الكافى لمراقبة الحياة فى الحارة ، وكلما سمعت صوتا بحثت عن مصدره •

والجدير بالملاحظة أن أغلب النساء ، وأيضا الرجال فى الحارة لديهم فى منازلهم موضع خاص يستخدم للمراقبة ، بحيث يسمح لهم بالمشاهدة دون أن يراهم أحد • وقد ساعد على ذلك قرب السكنى ، وتلاصقها ، وانتشار نمط السكنى المشتركة حتى أن الخصوصية قد انتفت فى حالات كثيرة •

ومن العبارات التى تعكس ذلك ، ما ذكرته احدى الاخباريات عندما علمت برغبتى فى زيارة جارتها فى المنزل المقابل •

«عايزة تعرفى ايه عنها ؟ وأنا أقولهولك»

هذا كما أن غياب الزوج يتيح أيضا للزوجة فرصة الخروج الى السوق والبقاء فيه أطول مدة ممكنة لانتقاء أفضل المنتجات بأحسن الأسعار حيث

تتوجه الزوجة يوميا تقريبا الى الشارع الرئيسى القريب من الحارة لشراء ما يلزمها من مواد غذائية وتموينية ٠٠ الخ ٠ والجدير بالذكر أن قرب السوق من الحارة هو فى مقدمة مميزات السكنى فى تلك المنطقة من وجهة نظر الاخباريات والنساء فى الحارة ٠ وقد أشـارت نوال المسـيرى ـ فى دراستها لحارة السكرية ـ فى هذا المجال الى ارتباط ادراك المرأة للمدينة ومعرفتها بها بدورها كزوجة مسئولة عن شراء ضروريات الطعام للأسرة ٠ ويتم الحكم على منطقة سكنية بأنها جيدة أو رديئة بناء على أسواق الطعام ٠ فالسوق يجب أن يكون قريبا من المنزل ويجب أن تكون به منتجات ذات نوعية جيدة ورخيصة فى نفس الوقت ، لذا فان الزوجات لا يستطعن أن يتصورن امكانية تدبير أمور الحياة فى منطقة بعيدة عن السوق[١] ٠

وأخيرا ، يسمح غياب الزوج للزوجة بزيارة بعض الاقارب أو المعارف فى خارج الحى ، وتقديم مختلف الواجبات مثل زيارة المرضى ، أو تقديم التهانى بالميلاد أو الزواج ، أو تقديم واجبات العزاء ٠

●✶●

ثانيا ـ تعدد مرات الزواج :

ويدفعنى الحديث عن تغيب الزوج الى تناول موضوع قضاء وقت الفراغ الذى يفضل الزوج أن يقضيه فى احدى المتع المتاحة ، وفى مقدمتها الجلوس على المقهى ، أو فى منزل أحد الاصدقاء ـ غير متزوج غالبا ـ لشرب الشاى والتدخين ، أو للاستمتاع بالعلاقات النسائية ٠ فأكثرية الأزواج يحرصون على التدخين بصرف النظر عن أنماط عمالتهم، وان كان ذلك يبدو بصورة أوضح عنـد الحرفيين[٢] ، الذين يحرصون على تدخين الحشيش بصفة

---

(١) نوال المسيرى ، «مفهوم الحارة» ، مقال فى : محمد الجوهرى ، **علم الاجتماع الريفى والحضرى** ، مرجع سابق ، ص ٥٧٧ ٠

(٢) سوف أتناول هذا الموضوع بشىء من التفصيل فى الفصل الخـاص بالعلاقات الترويحية ٠

خاصة • ولكن ما يمس علاقة الزوج والزوجة هو قضاء وقت الفراغ فى الانشغال بالعلاقات النسائية - الشرعية وغير الشرعية - فتعدد مرات الزواج (للجنسين) يتضح فى عدة حالات من مستويات مهنية مختلفة ، فقد ذكرت احدى الاخباريات (٠٧أ٠م) أن والدتها قد تزوجت ، ثم طلقت وتزوجت للمرة الثانية من أحد الجيران ، ثم طلقت وتزوجت للمرة الثالثة والد الاخبارية - من العمال غير المهرة - الذى سبق له الزواج مرتين ، ثم تزوج للمرة الرابعة ، وأحضر زوجته ، لتعيش فى نفس المسكن ، واستحالت الحياة ، وانتهى ذلك بالطلاق ، وانتقال الزوج الى مسكن الزوجة الرابعة ثم زواج الأم للمرة الرابعة أيضا ، وانتقالها الى مسكن جديد ، وترك أطفالها مع الجدة للأب التى توفيت ، لتتركهم بمفردهم •

هذا ، كما أن الزوج فى الاسرة (٠٩أ٠ع) - حرفى - بعد زواجه من الأم السابقة تزوج من زوجته التى تسكن حاليا فى نفس المنزل ، وأنجبا سبعة من الاطفال ، وفى العام الحالى اكتشفت الزوجة زواج زوجها من أخرى •

وربما ساعد ارتفاع مستوى أجور الحرفيين والعمال فى المثالين السابقين ، على تيسير عملية الطلاق ، وسد نفقاتها ، والزواج من أخريات يتطلبن أيضا نفقات أخرى •

وفى أسرة ثالثة (٠٢ن٠ع) ،كان ابن شقيقة الزوج يقيم معالأسرة بهدف الدراسة ، وفوجىء الجيران بطلب الزوجة الطلاق من زوجها - حرفى - وزواجها من قريب الزوج - موظف - وهما مازالا يقطنان نفس المسكن وقد أنجبا ثلاثة أطفال •

وفى أسرة رابعة (٠١ز٠م) أقام الزوج - موظف - علاقة مع احدى قريبات الزوجة التى تسكن معهما ، ويقول بعض الجيران انها قدمت مع الزوجة أثناء عملية التهجير على أنها شقيقتها ، وفوجىء الناس بعد ذلك بزواج الزوج منها وانجابه طفلين •

وفى أسرة خامسة ابن (١٠زم٠) أقام الزوج ـ من العمال غير المهرة ـ علاقة غير شرعيــة يعرفهــا الجميع مع زوجة جاره رغم كونه متزوجا وله ابن ٠

والجدير بالذكر أن ردود فعــل ذلك على سكان الحارة يختلف من حالة الى أخرى ٠ فاذا كانت العلاقة شرعية كما فى المثال الأول والثانى، فان رد الفعل لا يعدو أكثر من كون الموضــوع مثارا للأحاديث والنقــد والنميمة ، أو موافقة وتبرير الناس لسلوك الزوج كحق شرعى له كمــا فى الحالة الثانية ، ومحاولة ايجاد الأسباب التى دفعته الى ذلك مثل اهمال الزوجة مظهــرها ، وبيتهــا ، وأولادها ٠ وفى حالات أخرى يكون كلام الناس تعبيرا عن السخرية والاستهزاء وذلك فى حالة أن يكون ذلك خرقا لمعايير الجماعة ، والمجتمع بصفة عامة كما فى المثال الثالث حيث مازال سـكان الحارة يذكرون كل التفاصيل رغم مرور أعوام طوال ، ومازالوا يستنكرون فعلة الزوج الثانى فى أحاديثهم :

«ده صبى محامى خطف مرات خاله واتجوزها»

هذا بينما يصفون العلاقة فى المثالين الرابع والخامس بالقول :

«ماتعرفيلهمش أول من آخر» ٠

الا أن كلام الناس فى الحارة رغم تأثيره على النظــرة الى الزوجين والاسرة فانه لا تحدث مواجهة للزوج أو الزوجة فى الامثــلة الســابقة ٠ ولا يتدخل أحد فى محاولات لمنعهم ، أو ايقاف العلاقات غير الشرعية عند حد معين ٠ ورغم هذا يتأثرون فى أحكامهم الى حد ما بالشريعة الاسلامية ، وبالمعايير السائدة فى المجتمع المصرى ٠

وهكذا ، يمكن القول أن **الخيانة وتعدد مرات الزواج** من السمات التى تميز بعض الأزواج والزوجات فى منطقة البحث ٠ فقد رأينا زواج الزوجة من ابن شقيقة الزوج ، وزواج والد الاخبارية (الطفلة) من عاملة فى المحل الخاص به واحضارها للعيش مع زوجته وأبنائه ، كما تم استعراض أمثلة للخيانة الزوجية مع زوجة الصديق ، وقريبة الزوجة ٠

وقد يضطر الزوج أو الزوجة فى مثل هذه الظروف الى الكذب على الطرف الآخر وكثيرا ما ينظر الجيران الى الكذب باعتباره ضربا من ضروب تهدئة الحال . كما أن الحكايات التى تحتوى الكذب تكون أيضا مجالا للسخرية ومثال ذلك أن الزوجة فى الأسرة (٩أ٠-ع) بعد أن علمت بزواج زوجها من أخرى ، فانه كان يقضى عند الزوجة الثانية يومين أسبوعيا . بينما بقية الأسبوع عند زوجته الأولى . ولكن شيئا فشيئا أصبح يقضى أغلب أيام الأسبوع عند الزوجة الثانية .

وقد سألته الاخبارية تبريرا لتصرفه هذا ، فأخبرها أنه يود تطليق الزوجة الثانية ، لذا يقضى عندها أطول مدة ممكنة حتى تمل وجوده ، وتحدث بينهما خلافات ومشاحنات تفضى الى طلبها الطلاق وتنازلها عن مؤخر الصداق . وعلمت الاخبارية أن المؤخر قدره مائة جنيه ، وألحت الزوجة أن تدفعه ،الا أن الزوج طلب منها الصبر . وهو حاليا يتغيب عن المنزل كثيرا ، وترسل هى أحد أبنائها الى الورشة ، لتكتشف فى حالات كثيرة أنه لا يذهب الى عمله وأنه «قاعد معاها ليل نهار» . وقد أفهمته الاخبارية مرارا أن «اللى يضايق الست هو البعد» . ولكنه لا يستمع ، لذا ترى أنه كاذب ، ومخادع ، وكثير الكلام .

والجدير بالذكر أن الزوج قد سبق ووعد زوجته الثانية بتطليق الزوجة الجديدة ، وطلب منها مبلغ خمسمائة جنيه كمصروفات للطلاق والنفقة . وبالفعل أعطته «الاخبارية» «تحويشة العمير» ، وأعلنت الى الجيران نبأ طلاق زوجها ، ووزعت الشربات ابتهاجا واحتفالا بهذه المناسبة ، الا أنها علمت بعد ذلك أنه دفع المبلغ كمقدم لشقة جديدة للزوجة الثانية . وكانت هذه الأكذوبة أيضا مجالا لسخرية ، وضحك الجيران .

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن هذه السخرية تتضمن موافقة أهل الحارة على سلوك الزوج ، كما أن زملاء العمل من خارج الحارة يشجعونه أيضا على ذلك ، ويتضح هذا من خلال مداراة واخفاء أخطائه عن الزوجة الأولى .

والى جانب ما سبق ، فان هناك أسرا أخرى فى مجتمع البحث يكتفى الزوج فيها بزوجة واحدة ، ولا تفكر الزوجة فى ترك زوجها مهما واجهت من مشكلات ، بل يعيشان حياة مستقرة ، ويواجهان الأزمات سويا ومثال ذلك الأسر (٤٠م٠ع) ، (٨٠م٠ح)، (١١٠ع٠م)، (٣٠١أ٠ف) التى تحملت كل منهن الكثير فى سبيل تربية الأبناء ، والوقوف الى جوار الزوج فى شتى المحن • وأيضا الزوجة فى الأسرة (٥٠ح٠م) التى مرض زوجها بشلل نصفى ، وظلت الى جانبه طوال فترة المرض حتى شفى تماما •

●✶●

ثالثا ـ حرص الزوجات على الأزواج :

والزوجة حريصة غالبا على **الحفاظ على حياتها الزوجية** رغم أن الغيرة من أبرز سماتها الشخصية ، فرغم بغضها لعلاقات الزوج النسائية الا انها تتحمل ذلك فى سبيل استمرار الحياة • فعلى الرغم من المعاناة الشديدة للزوجة فى الأسرة (٩٠١أ٠ع) الا انها بعد علمها بزواج الزوج تحرص على العناية بمنزلها الذى زانته بمفارش صنعت من قماش مطرز بخيوط فضية وذهبية ، كما طلت زجاج النوافذ بالألوان الحمراء والصفراء والخضراء والزرقاء ، بحيث أن الشمس عندما ترسل أشعتها على الزجاج الملون تعطى ضوءا لطيفا للمسكن •

كما أنها اهتمت أيضا بزينتها بعض الشىء ، وقد نصحها الجيران ـ فى سخرية ـ باستخدام العطور فاشترت أرداها ، وكان ذلك أيضا مجالا للضحك •

وقد تلجأ الزوجة أيضا فى مثل هذه المواقف الى **تبرير سلوك الزوج** ومحاولة اقناع ذاتها بصدق أحاديثه ، رغم علمها بكذبه • فبعد أن علمت ـ نفس الزوجة ـ بزواج زوجها لاحظت أنه يأتيها دائما وهو متعب صحيا ، وينام مباشرة من شدة التعب • وانقطعت بينهما العلاقات الحميمة • وقد كان قبل ذلك طبيعيا ، حيث أنجبت منه عشر مرات ، مات منهم ثلاثة وبقى سبعة أبناء على قيد الحياة ، لذا قرر الزوج أنه لابد

له من الذهاب الى أحد الأولياء ـ الذى وصفه له أحد معارفه ـ فى منطقة بعيدة ، يستلزم الذهاب اليه والعلاج أن يبيت بجوار مقام الشيخ لأيام ٠ وصدقت الزوجة ـ حفاظا على استمرارية العلاقة ـ الا أنه كان يذهب الى زوجته الثانية ،وقد كان يفعل ذلك أيضا قبيل أن تعلم هى بزواجه الجديد٠

وتلجأ الزوجة فى مثل الظروف السابقة الى الجيران طلبا للنصح أو تقديم المساعدة ـ مثلا اقناع الزوج بالطلاق،أو التعرف على اسم والدة الزوجة الجديدة حتى تقوم بعمل «عمل» لها ـ كما تستعين أيضا بما يصل الى معارفها من نصائح من خلال البرامج والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية ، وهى مع كل هذا تلجأ الى تبرير أخطاء الزوج ، لتريح ذاتها وتخفف عن كاهلها عبء الغيرة ٠

ورغم لجوء الزوجة الى الجيران لحل مشكلتها الأسرية ، ورغم بعض المحاولات التى قاموا بها ، لاقناع الزوج بتطليق الزوجة الثانية ـ زار الزوج فى الأسرة (٥٠ح٠م) وابنه ، الزوج فى محاولة لاقناعه بذلك ـ الا أن موقف الجيران يتسم بالسلبية الى حد بعيد ، وربما يرجع ذلك الى :

■ شخصية الزوجة الأولى : فهى سيدة كسولة ، أمية ، لا تهتم بمظهرها العام ، كما لا تهتم بنظافة بيتها وأولادها ٠ وهى ترى أنها تفعل ذلك ، لتوفر على الزوج أعباء الاهتمام بمظهرها ومظهر بيتها ، وأولادها ٠ الا أن ذلك لم يعد عليها بفائدة ـ على حد قولها ـ فان ما وفره الزوج نتيجة حرصها على ماله ، قد أنفقه على الزوجة الثانية ٠ وهى ترى أنها لو نالت فيما مضى قسطا من التعليم لاستطاعت العمل ، وكانت عندها تطلب الطلاق من الزوج ، وهى قادرة على تحمل مسئولية ذاتها ، وأبنائها الصغار ٠ ولعل ذلك يعكس أن حرص الزوجة على حياتها الزوجية فى هذا المثال يرجع أيضا الى قلة حيلتها وعجزها عن اختيار بديل آخر ٠

■ اختلاف المستوى الاجتماعى والطبقى بين الزوجين : فالزوجة تنتمى الى مستوى اجتماعى طبقى بسيط حيث أنها كانت تعيش معوالدتها التى

تعمل كبائعة جائلة فى منطقة الجيزة · بينما الزوج من مستوى اجتماعى طبقى أفضل حيث أنه يمتلك ـ وأشقاؤه ـ المنزل الذى يقطنونه علاوة على امتلاكه ورشة النجف التى يعمل فيها وأولاده ٠ كما يمتلك شقيقه ورشة أخرى للنجف أيضا بينما بعض أشقائه على مستوى عال من التعليم ·

لذا ربما وجد الجيران فى كل ما سبق دافعا للزوج الى الزواج من أخرى · ولم يضعوا فى اعتبارهم ما أثمرته العلاقة الزوجية ـ ٧ أبناء ـ على مدى أكثر من عشرين سنة ·طالما أن الأب ينفق على الزوجةوالابناء·

وربما أيضا تأثروا فى موقفهم السلبى بأحكام الشريعة الاسلامية التى تسمح بتعدد الزوجات ·

ولا يبدو حرص الزوجة على زوجها فى مثل الظروف السابقة فقط وانما يتضح ذلك أيضافىوقوفها الى جانب الزوج فىشيخوخته مثال الزوجة فى الأسر (١٠١٠١٣أ ، ٠٨م٠ح) ـ فكلتاهما لا تفضل الخروج حتى لا تترك زوجها بمفرده ، وربما يحتاج الى شىء ، ولا يستطيع قضاءه · كما أن الزوجة تقف الى جوار زوجها أيضا فى مرضه مثال الزوجة (١١·ع·م) ـ التى تدرك خطورة المرض النفسى لزوجها ، وكراهيته لخروجها من المنزل ، لذا تلتزم بكل تعليماته وتضحى براحتها الشخصية فى سبيل أرضائه · كما أن الزوجة (٥·ج·م) عندما مرض زوجها ، أثر ذلك بعض الشىء على قواه العقلية ، وأصبح يخرج فى أى وقت ويسير فى الشوارع دون هدى ، وكانت هى تسير خلفه ، حتى تسيل الدماء من قدميها من كثرة السير ، لتعود به فى النهاية · وقد بقيت الى جانبه حتى شفى من مرضه ·

وتشعر الزوجة فى مثل هذه الظروف بأن ذلك هو واجبها تجاه زوجها ، وان ذلك يعنى أصالتها وأنها «بنت بلد» ، وبالتالى تحظى بتقدير الآخرين فى الحارة·ولعل هذا يشير الى قيم خاصة بالمجتمع الشعبى بصفة عامة ·

وفى سبيل الحفاظ على الزوج تحرص الزوجة ايضا على كثرة الاستحمام ، والعناية بملابسها وزينتها ، وعطرها ، وهى فى كل هذا تتأثر بما يصل الى خبرتها من خلال السوق القريبة ، والتليفزيون ، وزميلات العمل ـ اذا كانت تعمل ـ كما أنها ايضا حريصة على تلبية رغباته الخاصة . ومن الدراسات التى تناولت هذا الموضوع دراسة جوزيف تامنى عن التماسك فى منطقة متخلفة ، حيث قارن الاشباع الجنسى عند السود والبيض ، فالنساء السود أكثر ارتباطا بأزواجهن ، وأكثر حرصا على اشباع رغباتهم ، الا أن ذلك يقل فى البيض والسود معا مع تقدم السن ، حيث تهتم النساء من كبار السن بأطفال الاسرة الممتدة ، أو بأمور الدين والعبادات(١) .

وأشارت أونى ويكان الى حاجة الزوج الى زوجته ، فالرجال لا يستطيعون العيش بلا نساء ، والعكس غير صحيح(٢) .

وفى مجتمع الدراسة لاحظت من خلال أحاديث الزوجات حرصهن على تلبية رغبات أزواجهن . وأن ذلك لا يتوقف عند سن معينة ، ولكنه يتوقف على بعض القدرات الفسيولوجية . ولعل هذا النوع من العلاقة يؤثر أيضا على تفاعلات الجيرة ، من خلال عملية الاغتسال التى تتم غالبا فى الصباح الباكر ، والتى تستلزم ايقاد «وابور الغاز» الذى مازال يستخدم فى كل بيت لتسخين المياه ، ويتطلب ايقاده اصدار بعض الأصوات العالية التى تصل بسهولة الى مسمع الجيران ، ويكون ذلك مجالا للسخرية ، أو الضحك ، أو الغيرة ، وفقا لتعدد مرات الاغتسال ، وطبيعة العلاقة بالجيران ايجابية كانت أم سلبية .



---

1. Joseph, B. Tamney, Solidarity in a Slum. Aschenkman Publication. Halsted press division. John Wiley & Sons, New York, London, Sydney, 1975, pp. 58-59.
2. Unni Wikan, Life among the poor in Cairo. Op. Cit., p. 44.

رابعا : قوة المراة والرجل :

ومع كل محاولات الزوجة ارضاء الزوج ، وحرصها أن تبدو جميلة فى عينيه ، الا انها مع ذلك تتمتع بقدر وافر من الحرية فى أمورها الشخصية ، ويتطلب منها ذلك فى أحوال كثيرة أن تمارس قوتها على بيتها وعلى الزوج نفسه . وحول هذا الموضوع ، أوضحت أونى ويكان فى دراستها أن النساء كثيرا ما ينتقدن أزواجهن فى وجودهم ، وأمام أصدقائهم ، وأقاربهم ، وأطفالهم . وترفض الزوجة فى حالات كثيرة طاعة زوجها فى أوامره المتعلقة بالمشكلات اليومية المنزلية مثل اقتراض النقود لشراء شىء ما . ويلخص النـاس تلك القوة فى قولهم «الراجل بيسمع كلام مراته» ، «احنا الراجل ماشى ورا مراته» ، «الستات بيحكموا»(١) .

وفى مجتمع الدراسة ،تمارس الزوجة القوة فى سبيل تحقيق متطلباتها. تلك المتطلبات التى تتأثر الى حد بعيد بظروف التطور فى المجتمع المصرى بصفة عامة ، وعلى سبيل المثال ، فعند بدء الارسال التليفزيونى فى بداية الستينيات كانت كل زوجة حريصة أشد الحرص على اقتناء الجهاز ،وكان ذلك مجالا لأحاديث الجيران ، وفرصة للشجار اذا اشترت واحدة الجهاز دون علم الأخرى . وعندما ظهرت فى الأسواق التليفزيونات الملونة ، حرصت كل زوجة على اقتناء واحد منها ، حتى أن أفراد العينة كل منهم لديه جهاز ملون . وهى فى كل هذا تتأثر بما تسمعه من مميزات تلك الأجهزة من الجيران ، ومن المعارف والأقارب خارج الحى ، وأيضا من وسائل الاعلام والدعاية .

وهكذا تمتلك الزوجة القدرة على اتخاذ القرار فيما يتعلق بالمشتريات المنزلية التى تراها هى أساسية . ولا يختلف ذلك من مستوى تعليمى أو طبقى أو مهنى الى مستوى آخر ، بل انهن جميعا قادرات على اتخاذ

1. Ibid., p. 47.

القرار فيما يتعلق بمثل هذه الأمور ، بل أحيانا تدخر الزوجة من مصروفها الخاص أو تستعين بأحد أبنائها أو بناتها من العاملين فى سـبيل تنفيـذ القـرار .

والجدير بالذكر أن الزوجة تصر فى حالات أخرى على اتخاذ القرار فى أمور بسيطة تتعلق بحياتها الأسرية ، ومن تلك الأمور تسمية الابناء ، فهى كثيرا ما تصر على اسم محدد ، ولا تتنازل عنه ، وعلى سبيل المثال رزقت الزوجة فى الاسرة (٠٨م٠ح) بطفـل ذكر ، وكل أطفالها اناث . وأراد الزوج أن يسميه «مجدى» ليكون طبيبا له اسم لائق به . وأصرت هى أن يكون «عبد الفتاح» لانها قد رأت ذلك فى نومها . وانتهى الأمر بقرار الزوجة التى أسمته «عبد الفتاح مجدى» (يلاحظ أن الاسـم الذى اختارته هى أولا) .

وتمارس الزوجة القوة فى مواقف أخرى مع زوجهـا خاصـة فى سن الشيخوخة فهى دائمة الشجار معه ، وغالبا ما تصده عن الحديث معها ، أو تنظر اليه ـ فى وجود آخرين ـ ليكف عن الكلام .. مثال ذلك الاسرتين (٠٨م٠ح ، ١٣٠١٠١٠) .

ولا شك أن **خروج المرأة للعمل** قد أعطاها مزيدا من الفرص لممارسة حريتها الشخصية والاحساس بكونها مصدرا للرزق ، كما أن العمل يتيح لها فرصة الاستزادة من خبرات من خارج الحى فيما يتعلق بمظهـرها وسلوكهاوطريقةحديثها،وأسلوب تفكيرها مما يكفل لها المزيد منالقوةالتى تمارسها فى بيتها بشكل واضح مثال (٢٠ن٠ع) ، (٢٥٠م١٠) . فرغم أن الأولى لم تنل أى قدر من التعليـم ، بينما الثانيـة قد أتمت تعليمهـــا المتوسط ، الا أن الزوجتين تشعران بأنهما مصدر رزق ، كما أنه بامكانهن اتخـاذ القـرار فى كثـير من أمورهن الأسرية ، مثـل تعليم الأبنـاء ، وزواجهم .. الخ .

وأخيرا ، فالمرأة فى ممارستها للقوة ، كثيرا ما تستعين **بالجـيران** .

فعند نشوب مشاجرة بين الزوجة (٩٠أ٠ع) وزوجها ، سرعان ما تستنجد بالجيران ، ليقوموا بانهاء المشاجرة ، واتمام الصلح ٠ وتلجأ الزوجة فى أحوال كثيرة الى هجر بيت الزوجية ، وأمثلة ذلك أن الزوجة (٩٠أ٠ع) كثيرا ما جمعت حاجياتها فى حقيبة تهديدا لزوجها بتركها المنزل وذهابها الى والدتها ، ولكن ذلك لم يحدث ٠ بينما ذهبت الزوجة (٥٠ح٠م) الى منزل أقربائها بالزقازيق ، ومكثت هناك أسبوعا كاملا احتجاجا على المصروف الذى يعطيه لها الزوج ، وقدره جنيه واحد يوميا (يشترى هو اللحم ، والفاكهة ، والبيض ، واللبن ، والتموين) ٠ وبالفعل أدى ذلك الى مصالحة الزوج لزوجته ، ورفع المصروف اليومى الى جنيهين ٠

هذا وتركت الزوجة (٢٠ن٠ع)منزل الزوجية اثر مشاجرة مع الزوج الثانى لكونها قد ذهبت الى منزل الزوج الأول لزيارة أبنائها منه ، وأقامت هناك ليلة ، فغضب الزوج الثانى ، واضطرت هى الى العودة مرة أخرى الى منزل الزوج الأول ٠ وذهب الاسرة (٥٠ح٠م) فى محاولة لاعادتها الى بيتها ، فشكت (٢٠ن٠ع) ضيقها من قلة المصروف الذى يعطيها اياه زوجها الثانى ، وانتهت المناقشة بزيادة المصروف ، وتصفية الخلافات ، وعادت الى بيتها ، وذهبت اليها بعض جاراتها ، لتهنئتها بالعودة ٠ ولعل المثال السابق يشير بوضوح الى «حب التقليد» كشكل من أشكال التفاعل فى الجيرة ٠ فوقوف الجارة على أسباب نزاع جارتها وزوجها ـ وبصفة خاصة فى الجيرة القريبة والشرك يجعلها تعقد مقارنات فورية ، بين وضعها ، ووضع جارتها ، ويدفعها ذلك غالبا الى محاولة الفوز بما فازت به الجارة ، متبعة فى ذلك نفس الأسلوب ٠

ورغم استمتاع المرأة بقدر كبير من الحرية الشخصية وممارسة القوة واتخاذ القرار الا أن «أونى ويكان » قد ذكرت فى دراستها أن الرجل يتمتع بالحرية والاستقلالية ، وأنه آمر مستبد يحتكر النساء ، واذا كان يقدم لزوجته المادة ، والرعاية ، والحماية من العالم الخارجى ، فان له الحق

فى أربع زوجات[1] . كما أن الزوج كثيرا ما يلجأ الى ضرب زوجته ، فقد ضرب زوج «أم على» زوجتــه حتى كسر أسنانها ، وبعــدها ناما ســويا فى فراش واحد[2] .

وفى مجتمع الدراسة ، فانه عندما يحتدم النقاش بين زوجين كثــيرا ما يلجأ الزوج الى ضرب زوجته ضربا مبرحا . وقد حدث أثناء اجرائى البحث ، وفى زيارات عديدة ، أن ضـــــرب الزوج فى الاسرة (٩٠١أ٠ع) زوجته . وكان الجيران فى البداية يصعدون لنجدتها عند سماعهم صــوت الضرب ، والصراخ . ولكنهم الآن قد كفوا عن الصعود . حتى انه فى احدى الزيارات كان الزوج يمسك برأس زوجته ، ويضربها فى الأرض ، وأحس الجيران فى الطابق السفلى بذلك بوضوح ، ولم يصعد منهم آحد لنجدتها ، وربما يرجع ذلك الى تكرار عملية الضرب بطريقة لافتة للنظر حيث أنها لا تكف عن الشجار معه بسبب زواجه . كما أن الجيران يرون أنها مخطئة فى حق زوجهــا ، ونفسها بسبب اهمالها مما دفع الزوج الى الزواج مرة أخرى . ولهذا يعترف الجيران بأحقية الزوج متأثرين فى ذلك بحق الزوج الشرعى من واقع الشريعة الاسلامية[3] .



1. Ibid., p. 43-44.
2. Ibid., p. 99.

(٣) انظر تفاصيل أخرى عن قوة المرأة والرجل فى الفصل الثانى عشر .

القسم الثانى

علاقة الام بالابناء

مقدمة :

فى معرض الحديث عن علاقة الأم بالأبناء ، سوف أتناول تلك العلاقة فى مرحلتين عمريتين من مراحل الابناء ، أولهما مرحلة الطفولة التى يعتمد فيها الأطفال على أمهاتهم اعتمادا ملحوظا ، ثم مرحلة الشباب وفيها يبدأ الابناء الاستقلال الى حد ما عن والديهم · فكل مرحلة لها طبيعة خاصة تنعكس بصورة ، أو بأخرى فى تفاعل العلاقة بأفراد الاسرة جميعا وفى مقدمتهم الأم ·

أولا ـ علاقة الأم بالأطفال :

فى مرحلة الطفولة يلقى الأطفال اهتماما وافرا من قبل الأم · وقد اشار جوزيف تامنى فى دراسته الى مكانة الطفل صغير السن ، وكيف يحظى برعاية أبوية وخاصة الأم التى هى أكثر ارتباطا بأصغر الابناء حتى أن علاقة الأم بالطفل فى مجتمع بحثه تعد أكثر العلاقات تفاعلا ، وقد عرض لتلك العلاقة فى جداول قارن من خلالها علاقة الأم بأطفالها فى مراحل عمرية مختلفة ـ منذ الميلاد وحتى الرابعة ، ومن الخامسة حتى السادسة عشرة ، ثم مرحلة الشباب ـ واختلاف تلك العلاقة بين السود والبيض(١) · كما أشارت أونى ويكان الى أنه نظرا لتغيب الأب عن بيته أغلب ساعات النهار ، فان الأم تصبح أكثر قربا من الاطفال حتى أن علاقة الام بطفلها تعد أكثر العلاقات تماسكا داخل الأسرة(٢) ·

---

1. Joseph B. Tamney, Solidarity in a Slum. Op. Cit., p. 58, 75, 95.
2. Unni Wikan, Life among the poor in Cairo. Op. Cit., p. 70, 73.

والأم فى مجتمع الدراسة تحرص غالبا منذ ميلاد طفل جديد علــى ارضاعه رضاعة طبيعية ، والعناية به ، ونظافته ، وان كان ذلك يختلف من أم الى أخرى وفقا لأسلوب الحياة ، ومدى الاهتمام بقواعد النظافة ، وما اذا كانت الأم تعمل أم لا . ولهذا توجد أمهات حريصات على نظافة أطفالهن ورعايتهم.بينما توجد أخريات يبتعدون كثيرا عن أصول النظافة وقواعدها مثال ذلك زوجة ابن (١٠ز٠م) التى كلما بال طفلهــا خلعت ثيابه المبتلة ونشرتها على باب موقد الغاز ، دون غسلها . وكلما رشحت أنفه جففتها بثيابه أو بثيابها .

بينما (٢٠ن٠ع) ـ عاملة ـ تسكن معها فى نفس الشقة ـ شرك ـ وهى أكثر حرصا على اتباع قواعد النظافة ، التى ربما تصل الى خبراتها من خلال الخروج الى العمل ، وزميلات العمل ـ كما أن زوجها قد حصل على تعليم جامعى ويعمــل موظفا ـ فهى تعنى بطفلها وملابسه ، حتى أن الأخير يتحاشى الطفل الأول نتيجة مظهره وسلوكياته (سوف تتم الاشارة اليها فى موضع لاحق) ولا شك أنه يتأثر فى ذلك بما يسمعه من نقد والديه لهذا الطفل .

وحول مرحلة الطفولة المبكرة أشارت نوال المسيرى فى دراستها لحارة السكرية الى أن الطفــل بمجرد أن يبدأ فى الحبــو يسمح له بذلك خارج المنزل كما يسمح له باللعب فى ممر الحارة بالقرب من سكن الوالدين(١) .

وفى مجتمع الدراسة يبدأ الطفل خطواته الأولى ، أو قبل ذلك أحيانا ـ الحبو ـ فى الحارة حيث يجلس ويلعب بالقرب من باب المنزل ، أو فى المنطقة القريبة من المنزل ولا خطر فى ذلك فالأم تراقبه بين الحين والآخر ، والجميع يعرفونه جيدا ، كمــا أن الأم فى بعض الأحوال توصى به بعض أطفالها الكبار أو أطفال الجيران . ويتعلم الطفل فى الحارة الكثــير من

---

(١) نوال المسيرى ، «مفهوم الحارة» ، فى محمد الجوهرى ، علم الاجتماع الريفى والحضرى ، مرجع سابق ، ص ٥٧٣ .

الألفاظ النابية ، والجدير بالذكر أن الأسرة كثيرا ما تستقبل ذلك بالضحك والسعادة مثال زوجة الابن فى الاسرة (١٠ز٠م) التى طلب منها ابنها شيئا ما أثنـاء زيارتى لهـا ـ يبلغ من العمـر عام ونصف العام ـ الا أن الأم لم تجب طلبه ، فانهال غليها طفلها ضربا ، فقذفته بحذائها ، بعـدها تفوه الطفل ببعض الألفاظ النابية ، والتقط حذاء والقاه على أمه ٠ وظل الاثنان يتقاذفانه ، وضحك الموجودون من حركات الصغير وبعدها نهرته الجدة ٠ فطلبت الأم من طفلها أن يضربها ففعل ٠

ومع ذلك توجد أمهات حريصات على عدم نزول أطفالهن الى الحارة مثل الأم (١١٠ع٠م) التى تمنع طفليها ـ ذكر وأنثى ـ تماما من النزول الى الحارة ويظل الطفلان يراقبان الأطفال والحيـاة فى الحارة من شرفة المنزل ٠ والجدير بالذكر أنه فى احدى المقابلات حكت هذه السيدة أنها قد أرسلت ابنتها الى حضانة قريبـة من الحارة بدلا من وجودها الدائم فى المنزل ، الا أن الطفلة أثناء عودتها من الحضانة ضلت طريقها ، ومنذ ذلك اليوم كفت الأم عن ارسال طفلتها الى الحضانة ٠

وبعد أن يصل الطفل الى سن الرابعة ـ أو قبل ذلك أحيانا ـ يستطيع أن يذهب الى بداية الحارة لشراء شىء ما من باعة التجارة الصغيرة الماكثة هناك ، والتى يعرفها الجميع ، كما تعرف هى أفراد الحارة فردا فردا ٠ وحول هذه المرحلة من عمر الطفل ذكرت نوال المسيرى أنه عنـدما ينمو الطفل ويصبح قادرا على فهم القيمة الشرائية للنقـود ، فانهم يعطونه قرشا ، ليشترى لنفسه بعض الحلوى أو الفول السودانى من احدى السيدات اللائى يتجرن فى هذه الأشياء فى الحارة ٠٠ ويصل الطفل الى هذه المرحلة فى الغالب حتى قبل أن يكون متمكنا بالفعل من لغته الخاصة(١) ٠

وتمثل المرحلة العمرية السـابقة بداية لمرحلة «القضيان»(٢) ، التى

---

(١) المرجع السابق ٠ نفس الصفحة ٠

(٢) «القضيان» كلمة عامية تعنى «أن يفجر الشىء بسرعة» ٠ =

ينتقل الطفل فيها عنــد الشراء الى خارج الحارة ولا يرتبط بحدودها ٠ وحول هذه المرحلة ذكرت نوال المسيرى أنه فى الوقت الذى يكون الطفل فيه قادرا على «القضيان» فانه يخرج الحارة دون خوف ويشعر الاطفال فى تلك المرحلة بانهم ينجزون شيئا ما ، وتستمر الاناث فى القيام بهـذا الدور حتى يتزوجن ويكون لهن أطفال يأخذون عنهن هذا الدور ٠ بينما قد يرفض الذكور فى لحظة معينة القيام بذلك ويعتبرونهم حينئذ قد جاوزوا مرحلة الطفولة(١) ٠

ووصف جوكانو تلك المرحلة بأن الاناث تبدأ فيها تعلم كيفية القيــام بالواجبــات المنزليــة ، بينما يذهب الذكور لشراء ما يلــزم الأسرة من السوق(٢) ٠

وفى مجتمع البحث فان مرحلة «القضيان» يذهب فيها الاطفال ــ من الجنســين ــ لشراء ما يلزم الأسرة من الســوق القريبة ، وهم غالبــا ما يتنازعون حول أيهما يذهب ــ اذا كان بالأسرة أطفال فى سن متقاربة ــ فكل يود لو ذهب الآخر ٠ وكثيرا ما تتدخل الأم فى محاولة لترتيب الوضع بذهاب كل طفل مرة ٠ ويستمر هذا فى حال الاناث حتى الخامسة عشرة تقريبا حيث تراقب حركات الفتاة ولا يسمح لها بالخروج كثيرا ، أو حتى تلتحق بعمل خارج المنزل ، ولا يصبح لديها الوقت الكافى لشراء متطلبات الأسرة الا عند عودتهــا من العمــل ٠ أما الذكور فهم غالبــا يرفضــون «القضيان» فى سن مبكرة ، ويعتبرون ذلك واحدا من واجبات الاناث ٠

= وتستخدم بمعنيين ٠ فهى تعني ــ من ناحية ــ انجاز مهمة نقل الرسائل الشفوية وشراء الحاجات المنزلية اليومية للاسرة ، وتعنى من الناحيــة الأخرى انجاز الاعمال المنزلية ٠

(١) المرجع السابق نفسه ٠ ص ٥٧٤ ٠

2. **Landa Jocano, Slum as a way of life. A Study of Coping behavior in an Urban Environment. Univ. of the Phillipinian press, Quezon City, 1975. pp. 86, 87.**

وفى الحالات السابقة تلجأ الأسرة فى موضوع «القضيان» الى أبناء الجيران ، والجدير بالذكر أن الاطفال فى الحارة كثيرا ما يفضلون «القضيان» للجيران أكثر من أسرهم . وقد أشارت نوال المسيرى الى اغراء الكبار أولاد الجيران لشراء السلع المختلفة وذلك بتقديم الطعام لهم(١). وفى مجتمع الدراسة فان هناك مقابلا من الحلوى (أرواح) أو الأطعمة مثال ذلك ابنة الأسرة (٠٩أ٠ع) التى كثيرا ما تنزل الى الأسرة (٠٥ح٠م) لسؤالها عن رغبتها فى شراء شىء ما . وبالتالى فكثيرا ما تقدم اليها الأخيرة الحلوى أو المشروبات أو بعض الملابس المستعملة . وهذا التصرف من جانب الطفلة يزعج الأم كثيرا ، ويضطرها الى ضرب الابنة لأنها تفضل «القضيان» للجيران أكثر من «القضيان» للأم أو مساعدتها فى الأعمال المنزلية .

ولا يقتصر استخدام الأم لأطفالها فى «القضيان» على عملية الشراء وانما هى تتضمن كما سبقت الاشارة ارسالهم فى طلب شىء ما وعلى سبيل المثال انسدت بالوعة المنزل . واضطر سكانه الى جمع عشرة قروش من كل ساكن لاصلاحها ، وقد أرسل الجيران ابنة (٠٩ح٠ع) لجمع النقود ، وقد روت الطفلة أنها عندما تقوم بذلك تشعر بالكراهية الشديدة تجاه بعض الجيران الذين يتهربون من الدفع ، وتظل هى تطرق الباب بشدة دون فائدة ، وتعود الى مسكنها وتنظر من الشرفة، لتجد من كانت تطرق بابهم متواجدين بالداخل .

واستكمالا لموضوع «القضيان» فان الاناث ــ فقط ــ فى تلك المرحلة هن المطالبات بالمساهمة فى الأعمال المنزلية . وقد أشارت نوال المسيرى الى انجاز الأعمال المنزلية باعتباره دورا خاصا بالاناث بالدرجة الاولى ، وأنه يستمر خلال حياتهن(٢) . ومن الاعمال المنزلية التى تطلب من الاناث

---

(١) نوال المسيرى ، مفهوم الحارة ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٤ .

فى هذه السن فى مجتمع البحث ، ترتيب ونظافة المسكن ، وتجهيز بعض الخضر للأم استعدادا لطهوها ، وأيضا اعداد بعض المشروبات كالشاى أو العصائر . والجدير بالذكر أن عمالة المرأة كان لها اثرها فى ذلك ، فالام العاملة التى تذهب الى عملها مبكرا ،تترك أطفالها ،ليقوموا بترتيب المنزل ونظافته قبل ذهابهن الى المدرسة فى الفترة المسائية أو بعد عودتهم منها مبكرا (فى حوالى الثانية عشرة) حيث أن المدارس الابتدائية (فترتين) . وقد ذهبت مرارا الى مسكن (٢٠ن٠ع) فى الصباح لأجد طفلتيها ـ ٩ ، ١٠ سنوات ـ قد قمن بترتيب المكان ونظافته فى غاية الدقة .

أما الأطفال الذكور فى تلك المرحلة ، فانهم يبداون فى ممارسة أدوارهم ـ كرجال ـ وفرض آرائهم على اخوتهم من الاناث ، فقد طلب حفيد الأسرة (١٠ز٠م) ـ عام ونصف ـ من ابنة (٢٠ن٠ع) أن تشترى له بعض الحلوى ، وأعطاها بعض النقود وعندما همت الطفلة بالنزول منعها شقيقها ـ ٥ سنوات ـ حيث جلس معتدلا ، ونفخ صدره،وأمر شقيقته بعدم النزول والا شكى الى والده الذى يكره هذا الطفل ، لأنه «قليل الادب» ، وبالفعل امتثلت الطفلة لرغبة شقيقها .

وفى هذه المرحلة أيضا ، يذهب الأطفال الى مدارسهم سيرا حيث أن الحى به أعداد من المدارس من كل مرحلة (انظر الفصل الرابع) ومع ذلك يتطلب الوصول الى تلك المدارس اختراق شوارع مزدحمة بالناس والمواصلات العامة ـ أتوبيس ، ترام ـ والخاصة . ويلتقى الاطفال فى تلك المدارس بأطفال من جميع جنبات الحى . وبمعلمين ومعلمات وعاملين .. الخ . كما يمرون على الأسواق المختلفة للفرجة ، أو للشراء أحيانا .

وهكذا ، تمثل تلك المرحلة من حياة الأطفال بداية الانفتاح على العالم الخارجى ، فمن خلال اللعب يدركون الحارة جيدا . ومن خلال «القضيان» والذهاب الى المدررسة يدركون الحارة والمجتمع الخارجى

على السواء ، كما يكتسبون أثناء ذلك كثيرا من الخبرات . ومثال ذلك ، أن ابنة (١٠٩أ٠ع) ذكرت في احدى للمقابلات أنها لا تنوى الزواج طيلة حياتها ، وسألتها عن السبب فاجابت أنها أثناء وقوفها في طابور السمك بالجمعية الاستهلاكية تستمع الى حكايات كثيرة عن الأزواج ، آخرها قصة تشبه قصة والدها ووالدتها، الا أنها انتهت بطلاق الزوجة وزواجها من آخر .

●✱●

وحول بعض الاحوال المعيشية الخاصة بالطفل وعلاقته بالأسرة والأم بصفة خاصة ،وصف سوتيلز في دراسته ازدحام الحياة المنزلية ،ونوم الاطفال والكبار في غرفة واحدة ، وارتداء ملابس بعضهم بعضا ، واستخدام نفس الادوات باعتبارها سمات عامة لسكان المنطقة المتخلفة(١) .

بينما أشارت أونى ويكان الى تزاحم الاطفال أيضا في غرفة واحدة والنوم في سرير واحد ،واستخدام مكان واحد لحفظ الملابس والادوات وأيضا الاشتراك في الملبس(٢) .

وفي مجتمع الدراسة ، فان بعض الجوانب الخاصة بايكولوجية الحارة لها تأثيرها الواضح على علاقة الطفل بالأم ، وبمختلف أفراد الأسرة . فضيق المساكن يضطر أفراد أسرة كاملة ، أو اسرة ممتدة احيانا الى المبيت في غرفة واحدة . ولاشك أن ذلك يؤثر تأثيرا واضحا على عملية التنشئة الاجتماعية وأيضا على تفاعل العلاقات داخل الأسرة . فالطفل يستمع منذ نعومة أظافره الى للخلافات الدائرة بين الأم ، والأب وبين الأخوة والاخوات ، كما يستمع الى تلك الخلافات الدائرة خارج أسرته ، في الشقة أو الغرفة المجاورة التى لا يفصل بينها وبين مسكنه سوى

---

1. Gerald, D. Suttles., **The Social Order of the Slum.** Elhnicity and Territory in the Inner City The Univ. of Chicago press. Chicago & London. Studies of Urban Society, General Editor, David P. Street. 1968. pp. 90, 91.
2. Unni Wikan, **Life among the poor in Cairo**. Op. Cit., p. 72.

جدار واحد . كما يستمع أيضا الى أحاديث الكبار فى شتى الموضـوعات هذا علاوة على مشاهدته لبعض سلوكيات كان يجب ألا يراها لو بالمكان متسع بحيث يخصص مكان لمبيت الاطفال على الأقل . ولعل ما سبق يبدو بصورة واضحة فى منازل الحارة المتلاصقة الجدران كافة ، وبصورة أوضح فى المساكن المشتركة . وقد هالنى فى زيارة لأطفال الأسرة (٢٠ن٠ع) فى صباح أحد الايام أنهم قد صححوا لى حكاية العلاقة غير الشرعيـة التى تربط جارهم فى الغرفة المجاورة بزوجة صديقه .

●★●

واستكمالا للحديث عن علاقة الأطفال بالأم ، لابد من تناول موضوع «شجار الأطفال» . وقد أشار سوتيلز فى حديثه فى الفصل الحادى عشر بعنوان «عالم الأولاد والمجتمع الخارجى» الى موضوع الشجار ، وكيفية مواجهة الشرطة فى محاولة للتعرف على التغيرات التى حدثت فيما بين عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٥(١) . بينما وصفت «أونى ويكان» تحريض الامهات والاخوات الاطفال للشجار مع أطفال الجيران(٢) .

ويعد «الشجار» فى مجتمع البحث من أهم أسباب النزاع بين الاسر فى الجيرة فعندما تسمع الأم صراخ طفلها فى شجاره مع أبناء الجيران فانها تهب لنجدته وهى فى أشد حالات الانفعال . ويؤدى الشجار بين الاطفال ـ عادة ـ الى نشوب شجار بين الكبار نساء ورجال ، وقد يصل الأمر الى قسم الشرطة أو الى قطع العلاقات بين الاسرتين . ومثال ذلك أن الزوجة (٥٠ح٠م) منـذ نحو عشرين عاما مرض أطفالها الثـلاثة بالحصبة ، وانشغلت معهم انشغالا شـديدا ، وكان طفلها الرابع صغيرا ، وعنـد خروجه للعب فى الحارة كان يأخذ معه ملاءة يتعمم بها أو أى شىء من

1. Gerald D. Suttles, **The Social Order of the Slum**. op. cit., ch. 11.
2. Unni Wikan. **Life among the poor in Cairo**. op. cit., pp. 67, 68.

المنزل ، ليلهــو به ، فيضربه أولاد الاسرة (٠١٢أ٠ر) ويأخذون منــه ما معه • وقد أدى ذلك الى حدوث مشــاجرة أعقبهــا انفصال دائم بين الاسرتين حتى الآن • هذا بينمــــا حكت الزوجة فى الاسرة الاخيرة إن علاقتهــا بالجــارة المذكورة كانت علاقة طيبــة للغاية ، الا أن الزوجة (٠٥ح٠م) عندما تغضب على أطفالها لا تدرى ماذا تقول أو تفعل • وقد كانت جميع خلافاتهــا حول الاطفــال ، الا أن الزوجة (٠١٢أ٠ر) قد نصحتها مرارا بالهدوء حيث أن الاطفال يعودون الى اللعب معا ، بينما يخسر الكبار بعضهم بعضا ، ولكنهــا لم تستمع • وقد كانت أغلب هذه الخــلافات تدور حول أشــياء بسيطة ـ «بليه مثــلا» ـ حيث جاء ابن (٠٥ح٠م) باكيا وطالبا بليته فخرجت ابنة (٠١٢أ٠ر) لسؤاله عن لونها ، فأمسكت (٠٥ح٠م) بالفتاة وانهالت عليها ضربا وسبا ، وتدخل الجيران وأقنعوا الاخيرة بخطئها فذهبت الى الاولى واعتــذرت لها وانتهى كل شىء • الا أن الأمر قد تكرر مرات عديدة وكما تقول (٠١٢أ٠ر) «كل شىء له حدود» • وآخر هذه الخــلافات عنــــدما نزل ابن (٠١٢أ٠ر) وابن الجيران فى نفس المنزل ، وناديا على ابن (٠٥ح٠م) ولم يرد ، فسارا فى طريقهما الى خارج الحارة ، فجرى وراءها وضربهما من الخلف حيث ظن أنهما يسخران منه • وخرجت الأم تسب وتلعن ، وخرج الأب قائلا «أى حد منهم اقطعى رجله من الحارة» وردت «٠١٢أ٠ر» أنها تعيش فى الحارة قبــل قدومهم اليهــا ، وهم فلاحون أتوا اليها مؤخرا فكيف يمكنهم منعهم من دخول الحارة • وبعدها تدخل الجــيران فى محــاولة للصلح وأعدت (٠١٢أ٠ر) الشــاى للجميع الا أنها قررت بعدها قطــع العلاقات •

مما سبق يتضح أن شجار الاطفال هو أحد الموضوعات الهامة باعتباره مجالا للتفاعل داخل الاسرة وبصفة خاصة بين الأم والطفل وأيضا مجالا خصبا لتفاعل علاقات الجيرة •

●★●

ولعل موضوع شجار الاطفال ، وما ينجم عنه من فصم للعلاقات بين الكبـار يشير الى أهمية الطفـل فى حياة الأم فى مجتمع الدراسة . لذا تحرص الامهات غالبا على تلبية احتياجات طفلها . وقد أشارت «أونى ويكان» الى أن الامهـات كثـيرا ما تضعن احتيـاجات الاطفـال فوق احتياجاتهن فالأم ربما تحتـاج الى ملبس لها ، ولكنها تفضـل الشراء لاطفالها ، وربما تكون مريضـة ، ولا تذهب الى طبيب حتى لا تنفق ما يحتاجه أطفالها(١) .

وفى مجتمع الدراسة تحرص كثيرات من الامهات على شراء ما يلزم الطفل أولا كما يخصص للطفل مصروف يومى له أن ينفقه كيفما يشاء ، أو يدخر منه جزءا ويتلقى الطفـل مصروفه من والده ، أو من أشـقائه الذين يعملون ، أو من كليهما (٢٥ قرشا فى المتوسط) .

وقد تضطر الأم أحيانا الى الخروج للعمـل فى سبيل توفير العيش الكريم لأطفالها ، أو زيادة دخل الأسرة بصفة عامة . وعلى سـبيل المثال خرجت (٢٠ن٠ع) الى العمل كعاملة بالقصر العينى وذلك لمساعدة الزوج الاول - فرانا - فى تربية الصغار ، وسد احتياجاتهم . وبعد زواجهـا للمرة الثانية اضطرت الى الاستمرار فى العمل ، لأن زوجها الثانى كان مايزال طالبا ، وكانت هى فى حاجة الى المال للانفاق على أولادها منه .

وعنـدما أحست (٥٠ح٠م) بحـاجة أطفالها الى أشياء لا تستطيع توفيرها لهم اضطرها ذلك الى العمل سرا كمربية لدى أسرة ميسـورة الحال . وقد أخفت ذلك تماما عن أولادها ، وعن الجيران ، فبعد ذهاب الابناء الى المدرسة ، كانت تذكر للجيران أنها ذاهبة الى أهلها - بمنطقة الاميرية - وفى المساء كان مخدومها يوصلها بسيارته ، وكانت تطلب منه النزول كل يوم فى مكان مختلف وقريب من الحارة حتى لا يراها أحد . وكانت تحضر معهـا فى المساء ما تستطيع حمله من أطعمة ، واذا وجدت

---

1. Ibid., Loc. Cit.

أبناءها قد ناموا ، كانت توقظهم لاطعامهم . وهـكذا تحملت وضحت كثيرا فى سبيل اسعادهم وكان بامكانهـا أن تترك كل ذلك وتتزوج من آخر ـ كما ذكرت ـ .

ولاشك أن خروج الأم الى العمل يؤثر تاثيرا واضحا على علاقاتهـا بالجيران . فليس لديها الوقت الكافى لمشاركتهم فى أنشطتهم اليوميـة ، وهى تعود متعبة فى المساء ، لتقوم ببعض واجباتهـا الضرورية داخل منزلها . حتى أن الزوجة (٠٣-أ٠ف) عندما شكت عدم زيارة الجيران لها عند مرضها ، استثنت (٠٢ن٠ع) لأنها موظفة وتاتى الى بيتها آخر النهار متعبة .

ومن جانب آخر ، يكفل عمل المرأة لها أن تدرك الكثير عن العالم الخارجى ولا شك أن ذلك يؤثر على طريقة ملبسها ، وزينتها ، وأيضا طريقة حديثها ، وسلوكها داخل بيتها . وعلى سبيل المثال كانت الزوجة (٠٥ح٠م) عندما تعد الشاى تقدمه بطريقة تنم عن المام تام بقواعد وآداب التقديم (صينية نظيفة ، وبراد الماء والشـاى الجـاف ، والفنـاجين ، والسكرية) ولاشك أن ذلك نتيجة عملها كمربيـة لدى أسرة من مستوى طبقى مختلف .

واذا خرجت المرأة الى العمل ، وكان لها أطفال صغار ، فانها غالبا تعهد بهم الى الجدة مثال ذلك ابنة شقيقة (٠٦ز٠ع) التى عندما تذهب الى مدرستها فانها تترك ابنتها الصغيرة مع شقيقة الجدة للأب . ويؤثر ذلك بالتالى على تفاعل العلاقة بين انطرفين . فالأم الموظفة تترك طفلتها للجدة . كما تشترى ما يلزمها من خضر ، وتتركه لها ، لتقوم بتجهيزه للطهو ، الذى تبدأه بعد عودتها من العمل . وفى مقابل ذلك ترسل الى الجدة ما يكفيها من أطعمة ، كما تقوم بغسل ملابسها ، وهكذا تتبادلن الخدمات فيما بينهن . والجدير بالذكر أن الجـدة كانت غاضبة بسبب انتقال الزوجة العاملة الى مسكن جديد ـ القديم آيل للسقوط ـ لأنهـا

هناك سوف لا تجد من تترك ابنتها معه ، كما أنها سوف لا تجد من يقدم اليها الخدمات التى كانت تقدمها هى لها ٠

وتضطر الأم العاملة فى بعض الاحيان الى ترك أطفالها طوال الاسبوع فى رعاية الجدة ، مثال ابنة (٨٠م٠ح) التى تترك ابنتها الصغيرة طوال الاسبوع ، حتى ارتبطت الطفلة عاطفيا بالجد والجدة ارتباطا ملحوظا ٠ ولاشك أن أساليب تربية كبار السن تختلف ، فهما لا يرفضـان للطفلة طلبا ، واذا خرجت الجدة الى السوق ، فلابد من اصطحاب الطفلة ، وفى نهاية الاسبوع تحضر الأم،لتأخذ طفلتها التى تقضى معها يوما واحدا٠

والجدير بالذكر أن تحمل الجدة مسئولية تربية الأحفاد يأخذ من وقتها الكثير ولا يترك لهـا مجـالا كافيـا ، أو فراغا تقضيه فى صحبـة الجارات ، أو فى زيارات خاصة للاقارب خارج الحارة ٠

وأخيرا يمكن للأم العـاملة ترك صغارها فى احدى دور الحضـانة الموجودة بالحى ، وعادة يفضل القريب منها من مكان العمل ٠

●★●

ثانيا ـ الأم والأبناء فى مرحلة الشباب :

عندما يكبر الاطفال ، ويتموا دراستهم ، أو يتركوها للعمل ، تبدأ مرحلة جديدة ، ونمط جديد من العـلاقة بالأم ٠ والجـدير بالذكر أن الدراسـات السابقة لم تتناول بوضـوح علاقة الابناء فى مرحلة الشباب بالأم ، وانما كان التركيز منصبا غالبا على العلاقات بين جماعات الشباب من الجنسين ٠

وسـوف أبدأ حديثى عن علاقة الأم بأبنائها الشباب ، تلك المرحلة التى يلتحق فيها الابناء الذكور بالجيش ، فهى تعد مرحلة انتقالية بين مرحلتى الدراسة والعمل من جانب ، ومن جانب آخر مرحلة انتقالية فى علاقة الأم بالابن ٠ فرعاية الأم فى تلك الفترة تفوق حدودها ومثال ذلك

الأم (١٢-أ٠-ر) التى اذا عاد ابنهـا فى اجازة ، قامت بخدمتـه ليـلا ونهـارا ، وهى تعد له من الأطعمة ما يشتهيه ، وتتركه لينـام طوال النهار ، لأنه «محروم من الراحة والغذاء» ٠

كما أن الأم (١٠-ز-م) يتغيب ابنهـا فى الجيش مدة سـتة وثلاثين يوما ، ويعود بعـدها فى أجازة مدة ستة أيام تشـترى له أثناءها كل ما تشتهيه نفسه ، وتنفق عليه بسخاء ـ فى كل زيارة خمسون جنيها ـ وعند عودته تحمله من الطعام والشاى والسكر ما يستطيع حمله ٠ والجـدير بالذكر أن الأم بعد ذهاب الابن الى الجيش تبدأ مشوار الزيارات للاقارب والمعارف والجيران ٠ وكما تؤثر علاقات الأم بابنها فى هذه الفترة على تفـاعل علاقاتها بالجيران ، فان الابن من جانب آخر يتـأثر بذهابه الى الجندية فى كثير من سلوكياته حيث يلتقى هناك بشخصيات مختلفة من الشباب من شتى المناطق ، والمحافظات ٠

●✱●

وبعد خروج الابناء الى العمل تتغير العلاقة الى حد بعيـد ، حيث يصبح الابناء موردا للرزق ، وعليهم المسـاهمة فى الانفاق سـواء كانوا ذكورا أو أناثا ٠ (ولمزيد من التفاصيل انظر القسم الثـانى حول علاقة الاب بالابناء) ٠ وعلى قدر مساهمتهم يلقون غالبـا قدرا مناسـبا من الرعاية من قبل الأم ٠ وعلى سبيل المثال فان ابنـة (٥-ح-م) لا تسهم كثـيرا فى مصروفات البيت ، وقد حكت الأم أن الابنـة تتقـاضى أجرها أسبوعيا ، وانها ذات مرة تقاضت خمسـين جنيهـا ، وهو مبلغ ضئيل نسبيا ـ من وجهة نظرها ـ ولم تعط والدتها سوى خمسـة جنيهـات وكانت قبلها قد سحبت من الأم ثلاثة جنيهات ٠ ولما غضبت الأم لذلك اجابتها الابنة : «أديكى أكثر وتأكلينى» ، والمقصود أن تعطيها طعاما وهى فى طريقها الى العمل ٠ ورفضت الأم ذلك وانتهى الأمر بخصـام الطرفين لعدة أيام ٠ أما الابنة الثانية ، فهى لا تحكى للأم عن كل ما

تتقاضاه ومع ذلك لا تبخل عليها بشىء ، بل تشترى لها احتياجاتها من ملبس ومأكل دون أن تطلب مقـابلا • وينعكس ذلك عـلى تفضيل الأم للابنة الثانية فى مواقف عدة •

كذلك يقدم أبناء (٩٠٠أ٠ع) المساعدات المادية الى الأم ، ولاشك أن لزواج الأب من أخرى ونقله ملكية الورشة الى الابنــاء أثره الواضــح فى ذلك • حيث يعطيها الابن الأكبر عشرة جنيهات أسبوعيا ، ويتكفل هو وشقيقه الأصغر باحضار اللحوم والدواجن والفاكهة والمسـلى •• الخ • كما أن ابنها الثالث يعطيها نقودا اذا طلبت منه ذلك • ومع ذلك تشعر الأم أنهم يعطونها النذر القليل اذا ما قيس بما يكسبونه • كما أن أيا منهم لا يفكر مطلقا فى أن يحضر اليها هدية شخصية • وفى مقـابل ما يقـدمونه فان طلباتهم مجابة ، وهم لا يرحمونها ، أو يقدرون مشـاعرها بعد زواج والدهم •

وبعد زواج الابناء تمتنع الاناث غالبا عن مساعدة الأم ماديا • بينما الذكور ملزمون من وجهة نظر والديهم بالانفاق عليهم • لذا تأخذ الأم (١٢٠أ٠ر) من ابنها (الذى عقد قرانه ويستعد بتجهيز بيت الزوجية) عشرة جنيهات شهريا بينما يعطيها ابنهــا الثانى ـ ترزى ـ ما تسمح به ظروف عمله الموسـمى • ففى أيام الاعياد يعطيها ما تحتــاجه ، بينما يمتنع عن العطاء اذا توقف سوق العمل • أما الابن الثالث فهو يعيش فى الاسكندرية ولا يعطيها شيئا سوى فى الاعياد •

وحكت الأم (١٣٠أ٠أ) أنها تعيش وزوجها على ما يدفعه لهما الابناء الذكور • وأنه قديما كان الابن يقبض راتبه ويعطيــه لأمه التى تعطيــه بدورها مصروفه الخاص به • ويستمر ذلك الى ما بعد الزواج حيث تنفق الأم عليــه وعلى زوجته وأبنــائه • ولكن ذلك لا يحدث الآن حتى أنهــا لا تعرف حقيقة أجور أبنائها • ومع ذلك هى غير غاضبة ، وسعيدة بأداء واجبهم نحوها •

يتضـح مما سبق أن الابنـاء فى سن الشباب يشعرون بالاستقلالية ، ويتغيبون عن الحارة والمنزل أوقاتا طويلة من اليـوم فى أعمالهم ـ ذكورا واناثا ـ ويؤثر هذا بالتـالى على علاقاتهم بأسرهم ، وعلى اختيـارهم للاصدقاء ، أهم من زملاء العمل ؟ أم من الجيران ؟ وهو ما سوف يناقش فى موضع لاحق من هذا العمل ٠

كما أن خروج الابناء الى العمل ، يكسبهم خبرات جديدة ، يتلقونها فى الورشة ، والمصنع ، وعيادة الطبيب وغيرها من أماكن العمل ، كمـا يتلقونها فى بعض الحالات من دول أخرى سافروا اليها ، وعملوا بهـا ، حيث تتطلب منهم الحياة فى المجتمع الخارجى مسايرة التغيرات التى تطرأ على المجتمع بصفة عامة ٠ خاصة فيما يتعلق بمعـاملة الوالدين والاحساس بالواجب تجاههما ، والاستقلالية ، وأيضا الحرص الشـديد على مسايرة خطوط الموضة ـ بالنسبة للجنسين وخاصة الاناث ـ واكتساب طرق وأساليب جديدة فى الحياة ٠

●✱●

وفى مرحلة الشباب أيضا ، وبعد خروجهم الى العمل ذكورا واناثا ، فان الأم تتحمل الاعباء والمسئوليات المنزلية بصورة أوضـح ٠ فالأم فى مرحلة طفولة الابناء كانت تطالب الاناث بالمساعدة وهن فى سن صغيرة ، ولكنهن الآن مشغولات فى أعمالهن ولا تشغلهن نظافة البيت ، أو الغسيل، أو الطعام ٠ ٠وقد شكت الأم (٥٠ح٠م) لأن بناتها «تلبس نظيف وتقلع وسخ ، حتى الشراب ما تعرفش تغسله» ، لذا تشعر الأم بأنهن يعاملنها بجفاء ولا يرحمنها ٠ وتتغير أيضا معاملة الابناء الذكور لأمهاتهم وتتسم بالقسوة ، فقد شكت الأم (١٠٩٠ع) من قسـوة أبنائها ٠ وقد يدفع ذلك الأم الى الشجار مع الأبناء من الجنسين ، وترتفع الاصوات ، وهنا على الجيران أن يتدخلوا ، لفض النزاع ، طالما هناك علاقات ايجابية تربط الأسر ، بينما الاسر التى لا تربطها مثل هذه العلاقات ، فانهم يسمعون الصراخ ويمتنعون عن التدخل ٠

ولعل فى مقدمة العوامل التى أسهمت فى تشكيل شخصيات الشباب من الجنسين الخروج الى العمل فى شتى أنحاء المجتمـــع المصرى ، وازدهار العمل الحرفى الذى نتج عن هجرة الحرفيين الى الخارج .. كما أن فكرة استقلال الابناء عن آبائهم هى فكرة مستوردة وصلت الى خبرات الشباب من خلال أجهزة الاعلام ، وأيضا من خلال السفر الى الخارج ، ومثـــال ذلك سفر ابن (٥٠ح٠م) الى باريس حيث كان يحكى بعد عودته كل ما رآه لشباب الحارة .

القسم الثالث

علاقة الاب بالابناء

يتناول هذا القسم تلك العلاقة فى مرحلتين عمريتين مختلفتين من مراحل عمر الابناء ، هما الطفولة والشباب ، وذلك على النحو التالى :

اولا ـ علاقة الأب بالأطفال :

من الدراسات التى اهتمت اهتماما ملحوظا بعلاقة الأب بالابناء دراسة «أونى ويكان» التى عالجت فى مواقع متفرقة منها تلك العلاقة من عدة جوانب . فمن حيث ممارسة السلطة رأت أن الأب أكثر سيطرة على الاطفال من الأم حيث يتحكم فى كثير من سلوكياتهم . كما اشارت الى غياب الآباء لفترات طويلة عن بيوتهم ، وترك التربية الى الامهات ، وتصبح الفترة القصيرة التى يقضيها الآباء كافية فقط لأداء أدوار محدودة مع الاطفال(١) .

وأشار جوزيف تامنى الى أن علاقة الوالدين بالأبناء تختلف باختلاف أعمار الابناء ، لذا عقد مقارنة بين تلك العلاقات فى أعمار مختلفة ، وأيضا فى جماعات مختلفة هى جماعات السود والبيض(٢) .

وفى مجتمع الدراسة ، فان الجدير بالذكر أن علاقة الآباء بالابناء الاطفال من الجنسين ـ لا يتعدى دقائق أو ساعات من اليوم . ويرجع ذلك فى المقام الأول الى طبيعة العمل ومواقيته . فالابناء من

---

1. Unni Wiken, Life among the poor in Cairo. Ibid., p. 51, 52, 70.
2. Joseph B. Tamney., Solidarity on a Slum., op. cit., p. 62.

الحرفيين ـ فى مواسم العمل ـ يستيقظون من نومهم فى ساعة مبكرة من اليوم ، وتستمر رؤيتهم لأبنائهم الاطفال لدقائق يخرجون بعدها للعمل وكسب الرزق . وبعد العودة من العمل ، لا تتعدى العلاقة دقائق أيضا ، بل انه فى كثير من الأحيان يكون الطفل قد ذهب الى فراشه للنوم ولا يرى والده .

أما فى المواسم التى يقل فيها العمل الحرفى ، فان فرصة لقاء الابناء تزداد بعض الشىء ، وان كان الآباء يفضلون فى تلك الفترات قضاء الغالبية العظمى من ساعات اليوم على المقهى للترفيه ، وانتظار فرص عمل .

والأمثلة التى تشير الى ذلك كثيرة ، أذكر منها الأب (١٠٩-ع) الذى يخرج الى عمله يوميا ، ولا يعود الا فى المساء متعبا حتى أنه لا يجد الوقت الكافى للجلوس مع أبنائه ، وبناته من صغار السن وقد زاد الأمر سوءا زواجه من أخرى أصبحت تأخذ من وقته الكثير ، ولا تترك لأسرته سوى أيام قليلة معدودة كل أسبوع .

والجدير بالذكر ، انه اذا اعتبرنا العطلات الاسبوعية فرصة للقاء الابناء الا أن الحرفيين ليست لديهم أيام محددة للعطلات ، حيث يعملون طوال أيام الاسبوع طالما هناك فرصة عمل : كالنقاشين والمبلطين . أما الذين يعملون فى ورش خاصة بهم أو بغيرهم : نجارة ، نجف ، فانهم يغلقون تلك الورش يوما واحدا فى الاسبوع . ومع ذلك لا تصبح الفرصة مواتية للقاء الابناء ، فالعطلة غالبا فى يوم الأحد ، بينما تعطل المدارس فى الحى فى يوم الجمعة من كل أسبوع .

أما الآباء من العمال غير المهرة ، فانهم أيضا يتغيبون طيلة اليوم عن أبنائهم الاطفال . والامثلة على ذلك عديدة اذكر منها :

مثال (١) : الأسرة (١٠٧-م) :

حيث أن الأب يمتلك مقلة لبيع التسالى فى شارع قريب من الحارة ،

فانه كان يترك الثلاثة الصغار ، وزوجته طيلة ساعات اليوم من الصباح الباكر وحتى المساء . حتى أنه عندما فكر فى الزواج للمرة الثانية ، واستحالت العشرة مع الزوجتين فى شقة واحدة ، طلق الزوجة الاولى ، واصطحب الثانية الى شقة جديدة تاركا أولاده الصغار مع الأم ، التى تزوجت بدورها ، لتتركهم مع جدتهم للأب ، التى توفيت بعد فترة ، ليبقى الاطفال فى شقة بمفردهم ليس لهم عائل أو معين .

واذا كان المثال السابق يعد نموذجا لعدم تحمل بعض الآباء مسئولية أبنائهم فى مجتمع البحث . فان ذلك لا يعد قاعدة عامة أو نمطا شائعا . فعلى الرغم من غياب الأب عن الاسرة ساعات طويلة من اليوم ، الا أن بعض الآباء يعودون بعد فترة العمل وهم فى شوق للاطمئنان على أبنائهم . مثال ذلك : الأب (١٢·١أ·ر) الذى كان يعمل ـ كبابجى ـ وكان يترك منزله فى الصباح الباكر ، ليعود اليه بعد منتصف الليل ، ليجد أبناءه جميعا قد ذهبوا الى فراشهم للنوم ، ومع ذلك كان حريصا على ايقاظهم فى حالات كثيرة حيث يحضر اليهم فى المساء نصيبهم مما يبيع . وبالفعل كانت الاسرة (١٢·١أ·ر) بصفة خاصة تستيقظ للعشاء فى وقت متأخر من الليل ، ويتسامرون معا الى نحو الثالثة صباحا ثم يخلدون الى النوم مرة أخرى .

واذا انتقلنا الى الآباء من موظفى الحكومة ، فانهم يختلفون بين هؤلاء الذين ليست لديهم أعمال اضافية ، وأولئك المرتبطون بمثل تلك الاعمال . فاذا كان الأب يعمل فى الفترة الصباحية فقط ، فانه غالبا ما يقضى فترة المساء بين أبنائه فى مشاهدة برامج التليفزيون ، أو فى الخروج لزيارة أحد الاقارب أو المعارف خارج الحارة ، وأحيانا يصطحب معه بعض أبنائه ، وبصفة خاصة أصغرهم سنا من الذكور . مثال ذلك الأب (٠٨م·ح) الذى كان يعود من عمله ، لتناول الغذاء مع زوجته ، وأطفاله ، ولا يخرج من بيته الا فى زيارة لقريب أو زميل عمل حتى أنه لم يجلس مطلقا على المقهى فى أول الحارة .

أما اذا كان الأب يعمل فى المساء فان الأمر لا يختلف كثيرا عنه عند الحرفيين والعمال غير المهرة فيما عدا القدرة على العودة لتناول وجبة الغذاء مع الأبناء • مثال ذلك الأب (٢٠٠ن٠ع) فهو يعمل محاميا فى شركة فى فترة الصباح ، ويعود لتناول الغداء مع أسرته ، ليعود فى فترة المساء الى العمل فى مكتب خاص • ومع كافة الظروف السابقة لموظفى الحكومة ، الا أنهم يلتقون بأطفالهم فى العطلات الاسبوعية حيث تعطل تلك المصالح فى نفس اليوم الذى تعطل فيه المدارس ، بالاضافة الى العطلات الخاصة بالاعياد والعطلات الصيفية •

والجدير بالذكر أن الآباء من الحرفيين والعمال غير المهرة حريصون على تدريب أبنائهم (من الذكور) فى سن الطفولة على الحرف الخاصة بهم ، وبصفة خاصة تدريب الابن الاكبر • فعلى الرغم من حرص بعض الآباء فى تلك المهن على تعليم أبنائهم ، الا أنهم فى ذات الوقت يورثونهم حرف آبائهم • ومن الامثلة على ذلك أن الأب (١٠١٣-١٠أ) قد ورث حرفته (نقاشة) الى أكثر أبنائه رغم حرصه على تعليمه حيث تخرج فى كلية الهندسة • كما أن الأب (١٠١٢-١٠ر) كان حريصاً أيضا على توريث مهنته (كبابجى) الى أكبر أبنائه •

كما أنهم فى حالات أخرى يورثون حرفهم ، ومهنهم الى بعض أبنائهم – ليس لابن واحد – وهناك أمثلة عديدة أذكر منها الأب (١٠٩-٠ع) الذى يعمل معه الآن ثلاثة من أبنائه فى ورشة النجف ، والأب (١٠٣-٠ف) الذى يعمل أبناءه معه فى ورشة النجارة •

أما الآباء من موظفى الحكومة فهم حريصون غالبا على تعليم أبنائهم ذكورا واناثا ، ومع ذلك فبعض هؤلاء الابناء يستكملون بعض مراحل التعليم ، بينما البعض الآخر يفضل ترك التعليم ، والانضمام الى العمل الحرفى ، أو الجمع بين الاثنين (التعليم ، والحرفة) • وتبدأ البداية فى سن الطفولة حيث يكتسبون تقنيات الحرفة أو الصنعة عند بعض

الحرفيين من أهل الحارة ، أو الحارات المجاورة الذين يعملون لديهم كصبية .

●✱●

ولعل استعراض المشكلات الخاصة بعلاقات الآباء بالابناء ـ فى مرحلة الطفولة وفى مقدمتها مشكلة غياب الآباء فى التدرجات المهنية كافة ، وحرص الكثيرين منهم على تدريب الابناء فى مختلف الحرف قد عكست لنا بعض النتائج التى تمس فى جانب منها أفراد الاسرة وعلاقاتهم ، بينما تمس فى جانبها الآخر علاقات الجيرة ذاتها . ويمكن عرض كلا التصنيفين فيما يلى :

٦ ـ ما يتعلق بأفراد الأسرة :

■ ان أولى النتائج الناجمة عن غياب الأب هى ترك مسئولية التربية والرعاية للأم .

■ كما أن غياب الأب يجعل الاطفال أكثر تحملا للمسئولية وأكثر اعتمادا على أنفسهم ، وأكثر نشاطا وخبرة فى «القضيان» . حيث تضطر الأم الى الاعتماد عليهم ـ نظرا لغياب الأب ـ كما يعتمد بعض الجيران عليهم أيضا .

■ ينتج عن طول غياب الأب عن الاسرة اما عدم تحمل مسئولية الآباء تربية أبنائهم كما فى مثال الأب (٧٠١أ٠م) ، أو اهتمام شديد بالأطفال ، ومحاولة تعويضهم عن فترة الغياب ، كما فى مثال الأب (١٢٠١أ٠ر) . ويتأثر ذلك ببعض المتغيرات والخصائص الشخصية للآباء .

■ ان وجود جميع التدرجات بين الآباء فى مجتمع البحث تجعل هناك فرصة أمام الابناء فى اختيار أنسبها ، خاصة العمل الحرفى ، فانه نظرا لانتشاره بين الآباء والشباب فى الحارة فان الاطفال يدركون فى سن صغيرة جميع مميزاته وايجابياته ، ويكون لذلك أثره الواضح فى الاقبال عليه وتفضيله عن غيره من الاعمال ، لما يدره من دخول عالية .

٢ ـ ما يتعلق بعلاقات الجيرة :

الجدير بالذكر أن تلك المجموعة من النتـائج تعد محورية ، وأكثر أهمية ـ فيما يتعلق بموضوع البحث ـ عن المجموعة الأولى ، ويمكن ايجازها فيما يلى :

■ أن غياب الأب فى مجتمع البحث يجعل الطفل ينشأ بين جنبات الحارة وتصبح حدودها هى حدود عالمه الصغير . فالطفل فى تلك المرحلة يقضى معظم الوقت داخلها ، وخارج مسكنه مع رفاقه فى جماعة اللعب . وهنا يبرز تفاعل العلاقات بين الاطفال حيث يتعلمون سلوكيات بعضهم البعض ، ويكتسبون طرق الحديث ، ويستمعون الى حكايات كل منهم عن نفسه ، وأسرته ، وجيرانه . وهنا يتم جانب كبير من عملية التنشئة الاجتماعية فى الحارة . حيث يكتسب الاطفـال سـلوكياتهم ، وتزداد خبراتهم الخاصة والعامة فى نطاق الحارة وخارجها .

■ وعلى الرغم من ايجابية تفاعل العلاقات بين الاطفال نتيجة لغياب الآباء فان طول الوقت الذى يقضيه الاطفال فى اللعب له أيضاً جانبـه السلبى حيث كثيرا ما تنشب مشاجرات بين الاطفال تؤدى بالضرورة الى تدخل أفراد الاسرة ـ انظر القسم السابق ـ مما ينجم عنه صراع يمكن أن ينتهى بتدخل الجيران كما يمكن أيضا ان ينتهى ببلاغ الى قسم الشرطة أو الى قطع تام أو مؤقت للعلاقات .

■ تشترك مشكلة غياب الآباء ، مع انتشار العمـل الحرفى فى الحارة فى جعل جماعات الاطفال تؤثر بعضها على البعض الآخر فى الاتجاه الى العمل الحرفى (بالنسبة للذكور والاناث) مما يدفع الاطفال الى العمـل بعض الوقت ، فى العطلات الصيفية ، أو العمل معظـم الوقت (بترك التعليم) فى سبيل التدريب على الحرف واكتساب خبرات خاصة فيها .

■ وأخيرا يكون حب التقليد المهنى دافعا للاطفال فى تلك السن الى اللجوء الى حرفيين من أبناء الحتة ـ من داخل الحارة ، أو بالقـرب

منها ــ للعمل لديهم كصبية • وهنا تؤثر علاقات الجيرة ، وتتأثر بتلك التعاقدات الخاصة بالعمل

ثانياً ــ الأب والأبناء فى سن الشباب :

رأت «أونى ويكان» فى دراستها أن علاقة الآباء بالابناء البالغين هى علاقة صافيــة يتحــاشى خلالها الابنــاء ــ من الذكور ــ أى خلافات مع والدهم ، ويولون لآبائهم كل احترام ، فلا يضع الابن ساقا على ساق ، ولا يدخن فى وجود الأب • بينما تعتبر ــ الاناث ــ الأب حاميــا لهن • ويولون له أيضا الاحترام فلا تمد الفتــاة ســاقها فى وجود الأب • وكلا الجنسين يرى أن الأب هو أحد الوالدين القاسى ، بينما الأم حبيبة[1]

وفى مجتمع البحث ، واستكمالا لموضــوع غيــاب الأب عن الابنــاء الاطفال ، فان استمرار غيابه عن أبنائه حتى مرحلة الشباب له آثاره التى تتضح فى بعض الجوانب السلوكية للشباب من الجنسين •

فغياب الأب بالنسبة للذكور هو فرصــة تسمح لهم بمزاولة الأنشطة الترويحيــة كافة ، والسـياسية ، والاقتصــادية ••• الخ دون مراقبــة كافية • بينما غياب الأب بالنسبة للاناث فى سن الشباب ، تكون أيضــا فرصة لتمتع الفتاة بقدر كبير من الحرية فى ممارسة عملهــا ، وجميــع الأنشطة الترويحية الخاصة بها • واذا كانت التربية فى مرحلة الطفــولة تقع على عاتق الأم ، فهى فى تلك المرحلة يقع جزء كبير منها على عاتق الأشقاء من الذكور • الذين من أهم واجباتهم رعاية الشقيقات ، ومراقبة سلوكهن • وقد حكى أحد شباب الحارة أنه اذا شاهد احدى بنات الحارة بصحبة شاب ، أو رآها تسلك سلوكا سيئا ، فانه لا يقترب منها لمنعها ، ونصحها «حتى لا تشبهه» وانما يلجــأ الى شقيقها ليخـبره بمــا حدث وليقوم الأخ بعقاب شقيقته ، وردها الى جادة الصواب •

---

1. **Unni Wikan., Life among the poor in Cairo**. op. cit., p. 71, 69.

وقد أشرت فى فقرة سابقة حول علاقة الآباء بالابناء ـ الاطفال ـ الى موضوع توريث الحرفة ، أو المهنة للابناء ، وتدريبهم عليها منذ الصغر • وهنا سأتناول توريث الحرف الى الابناء بعد أن أصبحوا فى سن الشباب • والأمر يختلف هنا بين ما اذا كان الأب فى حالة تسمح له **باستمرارية مزاولة العمل أم لا** •

فاذا سمحت له ظروفه الصحية بمزاولة العمل • فان الأب والابن يمارسان العمل معا ، كالنقاشة مثلا • واذا كان العمل الحرفى يتم فى ورشة خاصة يمتلكها الأب ، فانها تظل ملكا للأب يعمل فيها مع الابناء حتى توافيه المنية ، ويتوارثونها • وفى بعض الاحيان يتنازل الأب عنها للابناء ، مثال الأب (٤٠١٠٩ع) الذى تنازل عن ورشة النجف لابنائه الذين يعملون فيها رغم أنه مازال يعمل معهم • وقد يكون هذا التنازل نتيجة لبعض الضغوط من قبل الابناء ، أو شراء الأب سكوتهم نتيجة لموقف ما• فعندما تزوج الأب من سيدة أخرى ـ جارته فى الورشة ـ علم الابناء الذكور الذين يعملون مع والدهم تفاصيل القصة كاملة • وقد اشترى الأب سكوتهم بنقل ملكية الورشة اليهم • وبالفعل استمر الابناء فى العمل مع أبيهم ، ولم يخبروا الأم بما حدث لعدة سنوات •

وهكذا ، فان احتياج الأب الى الابناء فى العمل ، وكذلك احتياج الابن الأكبر لاخوته يحسن العلاقة بينهم ، ويعطى فرصة لاستمرار التعاون فى العمل • ولاشك أن لندرة الايدى العاملة ـ الحرفية بصفة خاصة ـ وارتفاع أجرها أثرها الواضح فى مثل ذلك التعاون •

ولعل عكس ذلك هو ما يمكن أن يحدث فى الاسر التى يعمل الآباء فيها كموظفين بينما يتجه الابناء الى العمل الحرفى حيث تختلف مجالات العمل ، ويشعر الابناء أنهم يحققون أرباحا تفوق ما يحققه الآباء ، وقد يعمل ذلك على احساس الابناء بالاستقلال عن آبائهم • مما قد يؤثر على العلاقة بين الطرفين •

أما اذا كان الأب الحرفى ــ أو من العمال غير المهرة ــ **غير قادر على العمل** نتيجة اعتلال الصحة ، والانفاق على الاسرة ، حتى فى حال زواج الأبناء والامثلة على ذلك عديدة أذكر منها :

مثال (١) : عندما أحس الأب (٠١٢أ٠ر) بعدم القدرة على مزاولة مهنته ــ كبابجى ــ ترك العمل الخاص به لابنه الذى حل محل الأب ، وأصبح يذهب يوميا الى العمل ، ليعود فى المساء ، ليعطى والده مصروفا كافيا للمنزل ، كما يعطى لأشقائه وأمه نفس مقدار المصروف الذى كان يعطيه الأب ٠ واستمر الحال هكذا حتى بعد زواج الابن ٠ وبعد سنوات توفى الأب ، وتزوج الاشقاء ، ومع ذلك مازال الابن يعطى للأم ما يكفى للانفاق الشهرى ٠

مثال (٢) : كان الأب (٠١٣أ٠أ) يعمل نقاشا ، وعندما ورث الحرفه لأكبر أبنائه ، كانا يشتركان معا فى جميع الاعمال ، الا أنه نتيجة لكبر سنه ، أصبح غير قادر على مزاولة المهنة ، وأصبح الابن يمارسها وحده٠لذا يحرص الابن النقاش ، وكذلك أشقاؤه فى مختلف المهن على اعطاء مصروف شهرى للأب ، حتى بعد زواج بعضهم ، ولا يقتصر اعطاء المصروف الشهرى للآباء على الحرفيين ، والعمال غير المهرة فقط ، بل ان الابناء الموظفين أيضا يساعدون آباءهم قدر استطاعتهم ٠ فعندما أحيل الأب (٠٨م٠ح) الى المعاش ، وأصبح ما يتقاضاه لا يكفى لسد نفقات العيش ، فان أبناءه جميعا ذكورا واناثا (ليس لديه سوى ابن واحد ذكر) يقدمون اليه المساعدات الشهرية ٠

وربما ترجع مساهمة الابناء ــ فى التدرجات المهنية كافة ــ وحرصهم على تقديم المساعدات المالية لأسرهم الى التنشئة الاجتماعية فى مرحلتى الطفولة والشباب حيث يشب الطفل فى أسرة تقليدية ، ليشاهد منذ نعومة أظافره كيف يساعد والده جده أو جدته ، وكيف يكون ملزما بالانفاق على أسرته الميلادية خاصة فى حالتى العجز والمرض ٠ ولعل تلك

المساعدات كانت تتم بصورة واضحةللغاية نظرا لكونأسرالآباء أسرا حرفية ـ غالبا ـ لا تتقاضى معاشا ثابتا فى مرحلة العجز ، وبالتالى كانت تعتمد اعتمادا مبشرا على مساعدات الابناء ٠

ومن هنا ، مازالت الامهات فى مجتمع البحث ، وكذلك الآباء ، حريصين أشد الحرص على تنشئة الاطفال على الاحساس بهذا الالتزام تجاه الوالدين والاسرة ٠ وتستمر عملية التنشئة خلال مرحلة الشباب بنفس خطوطها الاساسية ـ تجاه الاسرة ـ **وبالتالى** يينتجيب الابناء لما اكتسبوه ، ويبدأون فى تقديم مساعدتهم بمجرد خروجهم الى العمل وكسب الرزق سواء كان ذلك فى مرحلة الطفولة أو الشباب ٠

ومن هنا ، مازالت الامهات فى مجتمع البحث ، وكذلك الآباء ، حريصين أشد الحرص على تنشئة الاطفال على الاحساس بهذا الالتزام تجاه الوالدين والاسرة ٠ وتستمر عملية التنشئة خلال مرحلة الشباب بنفس خطوطها الاساسية ـ تجاه الاسرة ـ وبالتالى يستجيب الابناء لما اكتسبوه ، ويبدأون فى تقديم ماعدتهم بمجرد خروجهم الى العمل وكسب الرزق سواء كان ذلك فى مرحلة الطفولة أو الشباب ٠

والى جانب تقديم الابناء مساعداتهم الى الآباء ، فان الوالدين كثيرا ما يلجأون الى أبنائهم فى الازمات المالية لطلب مساعدتهم كواحد من الواجبات المفروضة عليهم تجاه أبنائهم ٠ وقد يصل الأمر فى بعض الاحيان أن تكون تلك الازمات وهمية الى حد ما ٠ فعندما أراد الأب (٥٠ح٠م) استئجار مسكن جديد ، سافر الى ابنه ـ فى الزقازيق ـ فى طلب تقديم المساعدة من أجل دفع مقدم للشقة رغم أن ابنته ، وابنه ، وهم يعملون جميعا ويدرون دخولا تكفل لهم العيش الطيب ، وتوفير قدر كبير من المال شهريا ٠



ورغم احساس الابناء بواجبهم تجاه آبائهم من كبار السن ، الا أن

العلاقة فى تلك المرحلة كثيرا ما يشوبها التوتر ، والصراع الذى يمكن أن ينتمى الى صراع الاجيال ، والذى ينشأ غالبا نتيجة لتعارض المصالح . ويتضح ذلك فى الأمثلة التالية :

مثال (١) : يمتلك الأب (١٠١٠١٣-أ) محل بقالة صغير فى الشارع الرئيسى القريب من الحارة . وهو الآن بعد أن تقدم به العمر ، واعتلت صحته لا يستطيع ممارسة حرفته ـ كنفانى ـ ويفضل النزول الى المحل بين الحين والآخر للجلوس به للبيع ، وكسب بعض الرزق ، وايضا لقضاء وقت الفراغ بدلا من الجلوس فى المنزل . الا أن الشباب يرون أنه من الأفضل بيع المحل ، فقد عرض عليهم بيعه بعدة آلاف من الجنيهات يرون أنها أفضل كثيرا من المحل ذاته . ويمكنهم بها حل بعض مشكلاتهم الخاصة مثل سد نفقات زواج بعضهم ، أو المساهمة فى مشروع استثمارى للبعض الآخر .. ومع ذلك أصر الوالد على موقفه ، وكان ذلك مجالا للصراع بين الجيلين .

مثال (٢) : ورث صاحب مصنع الحلوى حرفته الى ابنته التى أصبحت تقوم بالعمل كاملا الى جانب ادارتها للمصنع ـ بمساعدة بعض قريباتها ـ وتقدم أحد الشباب لخطبة الفتاة . تبلغ من العمر ٣٦ عاما ـ وبعد اتمام «الشبكة» ، وتجهيز بعض أثاث المنزل ، اعترض الأب على الزواج رغم أن هنالك علاقة عاطفية ربطت بين الفتاة ، وخطيبها ، وذلك بحجة أن الخطيب قد استأجر لابنته شقة ـ سلاملك ـ وهو يرى أن موقع الشقة فيه اهانة للابنة . واستمر الخلاف بين الأب وخطيب الابنة حتى أنهوا العلاقة تماما . وقد حاول الشاب مرارا اعادة المياه الى مجاريها دون جدوى ، مما اضطره للزواج من أخرى . وقد أحزن ذلك الفتاة شديدا ، وهى ترى أن الدافع الاساسى وراء سلوك الأب هو الرغبة فى الانتفاع من خدماتها فى العمل واستمر الحال الى أن توفى الوالد ـ أثناء اجراء البحث الميدانى ـ ومازالت الفتاة تدير المصنع ، وتعمل فيه دون زواج .

وقد يكون الصراع بين الجيلين نلتجا عن تعارض نتج عن «خيبة أمل» أصابت الآباء ، فعندما رزق الأب (٨٠م٠ح) بابنه الوحيد ـ الذكر ـ أسماه «مجدى» لأن أمنية حياته كانت أن يراه طبيبا ، ولكن ما حدث هو رغبة الابن فى عدم اتمام تعليمه ، حيث تطوع فى الطيران ٠ ورغم أنه الآن ذو مركز محترم ، كما انه قد تزوج وأنجب أطفالا ، الا أن التوتر الشديد مازال يميز علاقته بوالده ، حيث يستنكر الأب جميع تصرفات الابن ، كما يستنكر ما سببه له من «خيبة أمل» ٠

●★●

والجدير بالذكر أن علاقة الآباء بالابناء الشباب من الجنسين قد اختلفت الآن عما كان موجودا منذ سنوات ـ وفقا لأقوال سكان الحارة ـ حيث قلت ممارسة الآباء للقوة تجاه أبنائهم ويرجع ذلك فى جانب منه الى بعض العوامل التالية :

١ ـ اتجاه الابناء من الذكور والاناث الى العمل الحرفى :

فبصرف النظر عن مهن الآباء اتجه الشباب فى الحارة من الجنسين الى العمل الحرفى ، لما يحققه من ربح فى السنوات الاخيرة يفوق ما يحققه أى عمل آخر وذلك نتيجة لعدة عوامل فى مقدمتها نقص العمالة الحرفية ، وهجرتها الى كثير من البلدان العربية ٠٠ الخ ٠ وبالتالى أصبح الابناء من الجنسين ـ فى سن صغيرة مصادر للدخل لا يستهان بها ٠ وقد ذكر لى أحد الاخباريين من الشباب ، أنه رغم حصوله على شهادة جامعية ، وممارسته أيضا لاحدى الحرف ، فان والده لا يستطيع أن يمارس عليه القوة أو يتخذ قرارا رغما عنه ٠ لأنه اذا حدث ذلك فسوف يترك له المنزل ، ليعيش بعيدا مع أحد رفاق العمل من خارج الحارة ٠ ورغم صعوبة نفس السلوك بالنسبة للاناث ، الا أن ذلك لايمنع أن هناك حرصا واضحا من جانب الآباء فى معاملة بناتهم اللاتى يعملن ٠ مثال ذلك بنات الاسرة (٥٠ح٠م) حيث تعمل احداهن فى مصنع للخياطة ٠ والثانية فى مصنع

للنجف ، وكل منهن تسهم فى الانفاق على المنزل ، حتى أن حالة الاسرة المادية قد انتعشت انتعاشا ملحوظا فى السنوات الاخيرة ، وبعد عمل الابنتين .

٢ ـ استقلالية الأبناء :

لا شك أن العمل الحرفى ، وغير الحرفى للابناء ـ من الجنسين ـ يعد من العوامل الهامة فى احساسهم بالاستقلالية، ولكن لابد هنا من الاشارة الى بعض الظروف الاجتماعية ، والى التغيرات التى لحقت بالشباب أنفسهم نتيجة انفتاحهم على العالم الخارجى من خلال السفر الى الخارج ، ومن خلال وسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وتليفزيون ، وصحافة ، وسينما .. الخ .



واذا كانت الفقرات السابقة تعكس بعض التغيرات التى طرأت على علاقة الآباء بالابناء، فانه يمكن أن أستخلص ايضا مجموعة أخرى من النتائج التى نجمت عن تلك العلاقات ، والتى لها تأثيرها على علاقات الجيرة . ويمكن ايضاح بعضها فيما يلى :

■ ان كثرة تغيب الآباء عن الحارة ، وترك أبنائهم فى سن الشباب ، تسمح كما سبقت الاشارة بقضاء الشباب (من الجنسين) أوقاتا طويلة مع جماعاتهم العمرية فى الحارة ، وذلك اما فى العمل . أو قضاء وقت الفراغ . وهكذا تستقر علاقات الشباب مع الاسر فى الجيرة ، وان كان ذلك يختلف عند الاناث عنه عند الذكور . فالاناث يتأثرن عادة بعلاقات الوالدين بالجيران، فمن ترتبط بهم الاسرة بعلاقات طيبة ارتبطت بهم الابنة بنفس العلاقات ، والعكس صحيح . أما الذكور فان علاقات الشباب لا تتاثر كثيرا بعلاقات الوالدين والاخوات .

■ كما اتضح من الفقرات السابقة أن علاقة الآباء بالابناء ، اما أن تكون علاقة تساند ومؤازرة حيث يؤدى الابناء واجبهم نحو الآباء فى

مراحل العجز ، واما أن تكون علاقة صراع وتوتر ٠ وكلا النمطين له آثاره الواضحة على العلاقة بالجيران ، فاذا كانت علاقة الآباء بأبنائهم علاقة طيبة فان ذلك يقلل الى حد ما من تفاعل العلاقة مع الجـيران ، حيث يفضل الآباء قضاء وقت الفـراغ فى استقبال الابنـاء وأولادهم ـ بعـد الزواج ـ وزيارتهم خاصـة اذا كانوا من سـكان الحى ٠ بينما اذا قصر الابناء تجاه آبائهم ، فان العلاقة بالجيرة تكون أكثر تفاعلا حيث يجـد الآباء فى علاقات الجيرة بديلا عن العلاقات مع الابناء ٠



القسم الرابع

خاتمة واستخلاصات

من خلال الاقسام الثلاثة السابقة ، يمكن أن نستخلص بعض المتغيرات التى لها تأثيرها الواضح فى فهم العلاقات داخل الاسرة ، وما يمكن أن تؤثر به على العلاقات فى نطاق الجيرة .

فقد تبين أن **عمالة المرأة لها تأثيرها** الواضح على الزوج ، والابناء ، والجيران . فعمل المرأة يحقق لها قدرا من الربح يكسبها مزيدا من القوة ويمكنها من اتخاذ القرار فى عديد من أمور حياتها . وهو ما لمسناه فى حالات الزوجات العاملات ، والذى أكده ما ذكرته الزوجة (١٠٩أ٠ع) غير العاملة من أنها لو نالت قدرا من التعليم ، لخرجت الى العمل ، ولانفصلت عن الزوج وهى قادرة على رعاية الابناء والانفاق عليهم .

كما أن خروج المرأة الى العمل هو أحد العوامل التى جعلت الابناء فى سن الطفولة ــ الاناث بصفة خاصة ــ أكثر تحملا للمسئولية ، فهم قادرون على ترتيب المنزل واعداد بعض الاطعمة ، ورعاية الاخوة الاصغر سنا .. الخ . الى جانب أن عمل الأم قد أكسبها مزيدا من العادات الصحية ، وعادات النظافة ــ فيما يتعلق بالابناء والمسكن .

وأخيرا ، أثر خروج المرأة الى العمل على علاقاتها بالجيران حيث خفض من مشكلات الجيرة ، ومن التزامها بأداء بعض الواجبات .

هذا ، كما أن أنماط **مهن الازواج** لها أثرها أيضا على العلاقة بالزوجات ، والابناء ، والجيران . فالزوج الذى يعمل كحرفى ، أو عامل

غير ماهر ، ويدر دخلا كافيا ، فانه يرفض ـ غالبا ـ خروج الزوجة الى العمل ، على عكس الزوج ـ الموظف ـ الذى يفضل عمل الزوجة فى سبيل مزيد من الدخل يكفى لسد نفقات العيش المتزايدة .

أما حول تأثير الآباء على الابناء ـ وفقا لمتغيرات المهنة ـ فان الحرفيين والعمال غير المهرة حريصون على تعليم الابناء ـ فى حالات كثيرة ـ مسايرة منهم للتيارات العامة التى ترى ضرورة الاهتمام بالتعليم، وفرض عقوبات للمتخلفين عن دخول المدارس .. الخ . ومع ذلك فهم حريصون على توريث حرفهم ، ومهنهم الى الابناء ، لأنها خير معين لهم لما تحققه من دخول مضاعفة ـ بالنسبة للوظائف ـ وقد يعمل ذلك فى حالات كثيرة على مزيد من الارتباط ، وتعاون بين الآباء والابناء فى نفس الحرفة ، أو المهنة ، ساعد على ذلك ارتفاع أجور العمالة على مستوى المجتمع ككل .

أما الآباء الموظفون ، فهم أشد حرصا على تعليم الابناء . ومع ذلك فان الغالبية العظمى من الابناء حريصون على اكتساب الحرف التى أدركوا مزاياها ـ فى سن صغيرة ـ من خلال أبناء الجيران الحرفيين مما جعلهم يقبلون عليها سواء أتموا تعليمهم أو لم يتموه . ولعل عمل أبناء الموظفين فى الحرف له بعض نتائجه حيث يشعر الابناء بأنهم مصدر دخل يفوق ما يحققه الآباء ـ غالبا ـ يقابل ذلك انخفاض ممارسة القوة ، واتخاذ القرارات من قبل الآباء .

وأخيرا فان مهنة الزوج يمكن أن تؤثر على علاقاته بالجيران . فالزوج الحرفى ، أو من العمال غير المهرة الذين تتطلب طبيعة عملهم الاستعانة بالصبية يفضلون غالبا أبناءهم ، ثم أبناء الجيرة . وهم بالتالى يقومون بعمليات التدريب لهؤلاء فى سن مبكرة . ولا شك أن لذلك أثره على العلاقات بالجيران من خلال اتفاقيات ، وتعاقدات العمل التى يمكن أن تتسبب فى مزيد من الايجابيات أو العكس . بينما نجد الموظف يمكن أن

يكون له دوره فى مجـالات أخرى حيث يمكن الاستعانة به فى مجـال وظيفته .

وكما سبقت الاشارة ، فان الازواج يتغيبون ـ غالبا ـ عن الحارة ، حيث يتغيب الحرفى ، والعامل نتيجة طبيعة عملهما بينما يتغيب الموظف الذى يعمل عملا اضافيا . وهذا التغيب له آثاره الواضحة على الأبنـاء ـ الذين ينالون قدرا أكبر من الحرية فى مرحلتى الطفـولة والشباب ـ وعـلى الزوجات وبصفة عامة غير العـاملات حيث يؤثر ذلك على كم تفاعلاتهن مع الجيران ـ وبصفة خاصة الجيران «الشرك» ـ كما يؤثر على علاقاتهن خارج الحارة حيث يتيح لهن مزيدا من الفرص لزيارة الاقارب، والخروج الى السوق .

ومن المتغيرات التى كان لها دورها أيضا **نمط السكنى** ، فهو يزيد من كم محاكاة وتقليد الزوجات والأبناء فى الجيرة للزوجات والابناء فى السكنى المشتركة (الشرك) بصفة خاصة . وفى الجيرة بصفة عامة نظـرا لتلاصق المبانى ، واقترابها الشديد . ولعل ذلك يتضـح فى لجوء الزوجات الى الهجـر فى بعض الحـالات . ومحـاكاة الابناء فى اتجاههم الى أنمـاط عمالة أبناء الجيران ـ خاصة الحرفى منها ـ .

كمـا أن لنمط السكن آثاره على العـلاقات داخل الاسرة بصفة عامة حيث تقضى السكنى المشتركة (الشرك) ـ مثلا ـ بمبيت أسرة بأكملها فى غرفة واحدة مما يؤثر على عمليات التنشئة الاجتماعية ، وبالتالى على علاقات الاطفال ـ وباقى أفراد الاسرة ـ فى نطاق الجيرة .

واذا كان **عمل المرأة** له تاثيره السابق الاشارة اليه ، فان خروج المرأة الى العمل هو أحد الضروريات التى انسحبت الى مجتمع الدراسـة من خلال التاثيرات الخارجية للمجتمع الكبير ، حيث تريد كل أسرة تحقيق مزيد من الدخل من أجل توفير احتياجاتها . كما أن **مهن** الازواج تخضع أيضا الى ظروف المجتمع كافة ، فازدهار العمل الحرفى ، وضعف مرتبات

الموظفين ـ مما يضطرهم الى العمل الاضافى ، أو الجمع بين الوظيفة والحرفة ، كلها تغيرات تأثرت بالأحداث العامة للمجتمع ٠ كما أنه اذا كان نمط السكن قد لعب دورا هاما فى علاقات الجيرة فهو فى جانب منه أحد الآثار التى نجمت عن أزمة الاسكان على مستوى المجتمع الأم ٠

ولا تقف تلك المؤثرات الخارجية عند هذا الحد ،وانما يتاثر الأزواج والزوجات والابناء فى الجيرة بما وصل الى خبراتهم من خلال الخروج الى العمل ، والسوق ، والتعليم ، والسفر ، والهجرة ، وما يصل اليهم بفضل مختلف وسائل الاعلام ٠ كما تأثروا فى عديد من سلوكياتهم بقوانين وتشريعات البلاد (مثلا فى تعدد الزوجات) ٠

ورغم جميع المؤثرات الخارجية : الا أن الاسرة فى نطاق الجيرة ـ فى مجتمع البحث ـ مازالت تحتفظ بقدر لا يستهان به من الخصائص والسمات المميزة فالزوجة مازالت حريصة على أن تكون ، أو تبدو ، بنت بلد ، صبورة ، مضحية ، تستخدم ما يصل الى خبراتها فى سبيل الاحتفاظ بالزوج والابناء ٠

كما أن الزوج حريص أيضا على اثبات ذاته ، واظهار قوته من خلال الشجار ، وضرب الابناء ـ الاطفال ـ والزوجة ، وان كان ذلك لا يمنع من تمتع الزوجات بممارسة القوة واتخاذ القرار ٠

أما الابناء فهم رغم ما طرأ على سلوكياتهم من تغيرات نتيجة الانفتاح على العالم الخارجى ، فان الغالبية منهم ـ من الجنسين ـ مازالوا حريصين على تحمل مسئولية الانفاق أو المساهمة فيه تجاه أسرهم الميلادية ٠

وأخيرا ، فان ما سبق ، يعد سمات تسم العلاقات داخل الأسرة ، وهى مع ذلك سمات يمتد تأثيرها الى نطاق الجيرة والمجتمع الخارجى ٠



الفصل السابع

الاثار الايجابية والسلبية لهجرة الازواج فى الاسر الريفية

دراســة انثروبولوجيــة

على عينة من أسر المستوى الطبقى الادنى(*)

أولا ـ مقدمة واهمية الموضوع

تاتى أهمية تناول موضوع هجرة الازواج بالبحث والدراسة لما احدثته من آثار فى المجتمع بشـكل عام والاسرة بوجه خاص ، فالأسرة هى البوتقة التى تنصهر فيهــا القيم الاجتماعيــة والتى تتحدد من خلالهــا الكثــير من المعايير والادوار والرموز والمكانات ، وباختصــار شديد فهى مدرسة الاعداد الاولى للفرد . وقد ظلت كذلك لسنوات طويلة بالمجتمع المصرى الى أن حدثت بعض التغيرات بالمجتمع خرج الأب فى غضونها سعيا وراء الرزق تاركا أسرته ليقضى سنوات متصلة ليحقق بعض الاشباعات المادية التى أرقته ، ظنا منه أن مجرد تحقيقها سوف يعيد اليه التوازن المفقود فى الادوار بالأسرة فى ضوء تغير بعض الوظائف الاقتصادية للأسرة .

وبرغم أن الهجرة المصرية للذكور هى ظاهرة عامة اتسم بها المجتمع المصرى منذ وقت مبكر ، الا أنها كانت هجرة الى داخل الحدود وبين ذكور المستويات الدنيا من الاسر والتى كانت لا تستمر الا اسابيع محدودة يعـود بعـدها الازواج الى قراهم بعـد أن يـكونوا قد حققوا من خلال

(*) تقرير بحث ميدانى اجراه الدكتور نجوى عبد الحميد سعد الله والدكتور فوزى عبد الرحمن المدرسـان بقسم الاجتماع بكلية البنـات ، جامعة عين شمس .

عائد أجورهم بعض المال لتدبير أمور حياتهم ، ولكن الهجرة التى حدثت خلال العقدين السابع والثامن من القرن الحالى ، هى هجرة ذات خصائص معينة حيث تجاوز بها الأفرد حدود موطن النشأةمتجهين صوب دول البترول . ولقد ساعد على ذلك العديد من الظروف التى مر بها المجتمع المصرى فقد أنهكت حروب ثلاثة خاضها اقتصاده ، كما أسهمت هذه الحروب فى تفجر عوائد البترول فى المناطق المحيطة به ، لتصبح مناطق للجذب كى تغطى الكثير من المشروعات . ولقد وجد فيها الانسان المصرى تطلعا لحلم راوده طويلا داخل بلاده ولم يتحقق ، فالدخول لم تعد تلائم الاحتياجات وزادت الفجوة بين احتياجات الفقراء ومتطلباتهم وعائد عملهم ، وعمقت فترة الانفتاح الاقتصادى الكثير من المتناقضات الاجتماعية ، لتحدث تطلعات اجتماعية جديدة لم ينج منها الفقراء أو الأغنياء على السواء .

ولقد حظى موضوع الهجرة باهتمام كبير على المستوى الاقتصادى والديموجرافى والسوسيولوجى ، الا أن هذا الاهتمام لم يتطرق الى ما حدث من تغيرات فى العلاقات بين الاسرة باعتبارها أكثر الابنية الاجتماعية تأثرا ، ولعل الدافع الى ذلك أن منهج هذه الفروع المعرفية يقتضى تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية فى سياقها المتسع ، ومن ثم فقد نجحت فى أن تلقى الضوء على بعض الدوافع التى غيرت من خصائص المصريين باعتبارهم من أكثر الشعوب التصاقا بأرضهم وتفاعلا معها ، كما تطرقت هذه الجهود الى الآثار الاقتصادية التى ترتبت على الهجرة المصرية ، وعائدات وتحويلات المصريين بالخارج .

وتظل الحاجة ملحة الى فحص تاثيرات هذا الواقع المتسع والملىء بالتفاعلات التى أحدثتها الهجرة على الاسرة ، وهو دور يمكن أن تضطلع به الدراسات الانثروبولوجية حيث تتسق هذه الجوانب ومجالات اهتمامها . ولا يجب أن يتبادر الى الذهن أن تركيز اهتمام هذه الدراسات على الابنية الاجتماعية المحدودة النطاق يجعلها تغفل المؤثرات الاجتماعية

الأكثر اتساعا ، بل على العكس من ذلك فان الفهم الانثروبولوجى الواعى لما حدث من تغيرات داخل الأسرة وأدوارها ووظائفها والقيم السائدة فيها لن يتحقق الا من خلال الوعى بأهمية التفاعل والتاثير المتبادل بين الأسرة والسياق الاجتماعى المحيط ، ولعل ذلك ما دفعنا الى القيام بهذا الجهد المتواضع واجراء هذه الدراسة الانثروبولوجية لكشف الاثار التى ترتبت على هجرة الازواج باحدى القرى المصرية وذلك بهدف :

١ ـ القاء الضوء على الآثار السلبية والايجابية التى ترتبت على هجرة الأزواج لفترات طويلة على أسرة المهاجر ، وبشكل خاص على موقف الزوجة والابناء ٠

٢ ـ معرفة كيف استثمر عائد هجرة الزوج ، وما هى أوجه الاستثمارات التى اتجهت اليها عوائد الهجرة ٠ وكيف تفاعلت هذه الأسر من خلال ذلك الموقف الاجتماعى الجديد بالنسبة لها ٠

٣ ـ رصد ملامح التغير التى أصابت الأدوار داخل الأسرة ، وتلك التى أصابت الاسرة الريفية ذات المستوى الاقتصادى والطبقى المحدود ، وموقفها من العمل التقليدى فى مجال أنشطة القرية ، وهل مازالت تؤدى أدوارها ، أم تحولت فى اطار الموقف الجديد الى أدوار أخرى ، وهل حدثت ملامح للتفكك بين هذه الاسر وأبنائها كمحصلة لغيبة الرقابة ؟

ولقد تم صياغة هذه الأهداف فى عدة تساؤلات حاولت الدراسة الميدانية الاجابة عليها هى :

١ ـ هل ترتب على هجرة الأزواج بالمستوى الطبقى الأدنى بعض الآثار على أفراد الأسرة وما هى هذه الآثار بشكل محدد ؟

٢ ـ هل أدي طول فترة الهجرة بين هذا المستوى الطبقى الى تفاقم هذه الآثار بشكل واضح على الابناء والزوجة ؟

٣ ـ هل يؤدى الحرمان الطويل الذى قاست منه الاسرة فى هذا

المستوى الطبقى الى تبديه عائد الهجرة فى سد احتياجات مادية مرجأة وتطلعات صاحب الهجرة لم تكن موجودة من قبل ، أم تم استثمار هذا العائد وتوظيفه فى اضافة بعض الاصول الاقتصادية لبعض الاسر يعينها على استمرار حياتها بعد عودة الزوج وتحقيق قدر من الاستقرار ؟

٤ ـ هل صاحب الهجرة اختلال فى الأدوار والمكانة والعلاقات بين أفرادها ، وهل تخلت الأسرة كوحدة انتاجية كان يسهم أفرادها جميعا بدور فعال فى توفير احتياجاتها ليترك الأب وحده يؤدى هذه المهمة فى مكان هجرته ؟ ٠

●★●

ثانيا ـ الاجراءات المنهجية

يتوقف نجاح الدراسة الانثروبولوجية على مجموعة من الاعتبارات منها ما يتعلق باختيار العينة ، والتى غالبا ما تكون وحدة اجتماعية كقرية أو مجموعة من الأسر ذات خصائص محددة للكشف عن أبعاد الظاهرة فيها ٠ فالباحث الانثروبولوجى من الصعب عليه أن يحقق فى بحثه ما يعرف بالتمثيل الاحصائى لكافة الوحدات التى يتناول بعضها بالدراسة وذلك لعدم وجود بيانات كافية ومتاحة عن خصائص هذه الوحدات الاجتماعية الممثلة فى القرى أو المدن ٠ ومن ثم فيتطلب ذلك منه أن يقوم بدراسة استطلاعية ، يتقصى فيها بعض الحقائق حول المجتمع الذى ستجرى فيه الدراسة ، ومدى وجود ملامح للظاهرة التى يريد دراستها فيه ، ومدى اتاحة المجتمع لاقامة الباحث به والتردد عليه وقبوله ٠

وقد تنطوى هذه الاجراءات من منظور المنهج والعلم على بعض التحيزات من قبل الباحث ، ولكن ذلك مازال هو السبيل المتاح أمام الباحثين الانثروبولوجيين ، اذ أن الوسائل المنهجية الأخرى التى تعتمد على استخدام المؤشرات فى اختيار احدى الوحدات التى تمثل بعض

الخصائص العامة مازالت صعبة المنال وتحتاج الى جهود مكثفة من الباحثين لوضع خريطة لتنميط الوحدات الاجتماعية · وبرغم ذلك فان الدراسات الانثروبولوجية تكمن أهميتها فى فحص الواقع فى أصغر وحداته الاجتماعية من خلال معايشة هذا الواقع عن قرب ، ثم ربطه بالسياق العام الذى أسهم فى تشكيل الظاهرة فى الوحدات الاجتماعية الصغرى ، وهى خصوصية تنفرد بها الانثروبولوجيا دون غيرها من العلوم ·

ولقد كانت هذه المشكلات المنهجية واضحة أمام القائمين بالدراسة ولذلك فقد حرصوا على القيام بعدة زيارات استطلاعية لبعض القرى بمحافظات الطرد السكانى ، وأعقب ذلك اختيار احدى القرى بمحافظة الفيوم وهى قرية «أباظة» لوحظ انتشار الهجرة بين ذكورها بشكل واضح ودعم هذا الاختيار لهذه القرية ما لوحظ من تقبل أهلها لمهمة أفراد البحث · ويمكن تحديد الاجراءات المنهجية التى اتبعت فى الدراسة فى الخطوات التالية :

(أ) المجال الزمنى للدراسة :

بدأت الدراسة بمجموعة من الزيارات الاستطلاعية منذ شهر فبراير ١٩٨٩ ، واستمرت خلال شهرى مارس وابريل من نفس السنة · تم فى خلالها اختيار قرية «أباظة» مركز أبشواى محافظة الفيوم ، وبدأت زيارتها بانتظام حتى شهر فبراير سنة ١٩٩٠ ·

(ب) المجال البشرى :

شملت الدراسة عينة من مائة أسرة من الاسر التى حدثت فيها هجرة أزواج ، تم اختيارها بشكل عمدى ، وجمعت حولها البيانات عن الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء المهاجرين ، ودوافع الهجرة ، والادوار والوظائف التى كانت تؤديها الاسرة قبل سفر الازواج ومن خلال فترة السفر ، واستخدم فى جمع هذه البيانات صحيفة الاستبيان · ثم أعقب الدراسة الميدانية اختيار عدد من الاسر لاجراء الدراسة المتعمقة

عليها ، ولقد تم اختيار هذه الاسر وفقا لعدد من المحددات ، كدوافع الهجرة ، المدة التى قضاها الزوج ، حجم الاسرة ، تنوع الخصائص العمرية بين الابناء لفهم الآثار التى ترتبت على الهجرة بينهم ٠

(جـ) المنهج والأدوات :

حاولنا فى هذه الدراسة استخدام المنهج الانثروبولوجى بوسائله المختلفة ممثلا فى :

١ ـ الاستبيان :

وذلك لفحص الواقع الاجتماعى لمفردات الظاهرة ممثلة فى أسر المهاجرين والتى يبلغ عددها مائة أسرة ، حيث تضمن الاستبيان بيانات أولية عن الاسرة ، حجم الملكية فيها ، مصدر الدخل ، الانشطة الاقتصادية التى تؤديها ، طبيعة الادوار ، السلطة والعلاقات الاجتماعية بين الابناء والآباء ، الدافع وراء الهجرة ، العائد من الهجرة ، وبعض التغيرات التى حدثت أثناء الهجرة وبعدها(*) ٠

٢ ـ دليل العمل الميدانى (دليل الدراسة المتعمقة) :

وقد استخدم فى هذه الدراسة لتعميق الرؤية واثراء التحليل الكمى حول موضوع الدراسة ، حيث أعد بشكل يقترب فى عناصره وبنوده من تلك التى تم طرحها بالاستبيان ٠

٣ ـ دليل المجتمع المحلى :

واستخدم لجمع البيانات عن المجتمع المحلى ممثلا فى القرية باعتبارها مسرحا للتفاعل بين هذه الاسر ، وعلى أرضها تثار الكثير من المتغيرات التى ظهرت بشكل محدد دون شكل آخر ٠ فالانتاج الريفى وظروف الحياة بالقرية قد تكون مبررات للهجرة ، والتغير فى شكل

(*) لم تعرض نتائج الاستبيان فى هذا التقرير ، وروعى الاكتفاء بعرض نتائج دراسة الحالات المتعمقة ،وذلك مراعاة لحدود الحيز المفروضة على النشر فى هذا الكتاب ٠ وسوف تنشر فى دراسة مقبلة باذن الله ٠

الحياة بالقرية هو نتاج طبيعى لها ، ومن ثم فالتفاعل بينهما يدعونا الى عدم اغفال هذه الابعاد فى التناول .

٤ ـ منهج دراسة الحالة :

حيث استخدم لدراسة الأسر المختارة والتى يبلغ عددها عشر أسر لفهم المتغيرات الحالية والسابقة على فترة الهجرة .

٥ ـ المقابلات المتعمقة :

والتى من خلالها تم الحصول على بيانات حول الحالات العشر التى أختيرت للدراسة المتعمقة . وتمت المقابلات على فترات مختلفة ولمدد طويلة حتى يتاح فهم المشكلات التى ترتبت على هجرة الازواج وانعكاساتها على أفراد الاسرة .

٦ ـ الاخباريون :

وتم الاستعانة بهم من المجتمع المحلى لاستكمال بعض البيانات والتحقق من صدق البعض الآخر ، وكذلك فى القاء المزيد من الضوء على ظروف أسر الدراسة التى صعب على الباحثين كشفها من خلال المقابلات مع أفرادها ، أو حاول أفراد الاسرة اخفاء بعض الحقائق عن الباحثين أثناء المقابلات التى كانت تتم .

●★●

ثالثا : ظاهرة الهجرة الريفية ، الدوافع والآثار

الهجرة الريفية ظاهرة قديمة بالمجتمع المصرى :

تعد ظاهرة الهجرة الريفية بين المصريين ظاهرة تاريخية قديمة.ولقد اختلفت الهجرة وفق الظروف الاجتماعية لمنطق الطرد والجذب ووفقا لعوامل متنوعة . وحول خصائص المهاجرين يذكر د.عاطف غيث أن مناطق الجذب قد استقطبت أفرادا من القرى لا ملكية لهم ، أوليس لديهم منها الا النذر اليسير الذى لا يكفى احتياجاتهم . ورغم ذلك السلوك الا أن المهاجرين فى السنوات التى سبقت منتصف القرن الحالى لم تكن

تنقطع صلتهم بالقرية التى خرجوا منها ، كما كانت تتحول مدخراتهم اليها . وغالبا ما كانت توظف فى استثمارات زراعية كشراء أرض جديدة أو بناء مساكن أو تجديد لهذه المساكن[1] . واذا كنا نعيد طرح مناقشة موضوع الهجرة فاننا نقصد بها تلك الهجرة المعاصرة والتى أخذت شكل الظاهرة العامة بالمفهوم السوسيولوجى . وبرغم أن دوافعها لم تتغير ، الا أنها قد زادت فى معدلاتها بشكل لم يشهده المجتمع المصرى خلال أى فترة سابقة من تاريخه ، وأذكتها عوامل كثيرة من داخل المجتمع المصرى ومن خارجه .

الهجرة المخرج التلقائى لمشكلات اقتصادية واجهت الأفراد :

جدير بالذكر أن الهجرة كانت مخرجا تلقائيا للكثير من المصريين أمام الظروف الاقتصادية الصعبة التى مرت بها مصر عقب حروب ثلاثة ، والزيادة الهائلة فى السكان ، والتى لم يحسن استثمارها وتحويلها الى طاقة انتاجية ، وغير ذلك من العوامل كضعف التصنيع الريفى والحضرى وعدم قدرة مشروعاته على استيعاب فائض العمالة الزراعية المضطردة الزيادة . يضاف الى ذلك ثبات الرقعة الزراعية فى الوادى والدلتا ، ولا نبالغ اذا قلنا أن هذه الرقعة الزراعية قد تعرضت للتاكل فى كثير من المناطق المتاخمة للسكن ، لتمثل امتدادا عمرانيا ، أو مكانا لاقامة المشروعات عليها ، معنى ذلك أن هناك اختلال فى التوازن بين الانسان والأرض بالمجتمع المصرى .

وتجلو ملامح هذا الاختلال اذا عرفنا أن سكان مصر قد قدر عددهم سنة ١٨٠٠ بحوالى خمسة ملايين نسمة ، زادوا الى عشرة ملايين فى سنة

---

(١) انظر : محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢ .
ـ عبد الباسط عبد المعطى ، الهجرة النمطية والمسألة الاجتماعية ، دراسة علمية على عينة من المصريين بالكويت ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٨٤ ، ص ٢٧ .

١٩٠٠ ثم الى ٤٢ مليـونا فى عام ١٩٨٠(١) ثم الى ٥٢ مليـونا فى عـام ١٩٨٦ . وخلال الفـترة ذاتها زادت الارض الزراعيـة من ٥ مليون الى ٧ مليون فدان ، وكمحصلة لعدم تناسب هذه الزيادة فى مساحة الارض مع الزيادة فى عدد السكان ارتفع عدد الفقراء من الفلاحين والمعدمين .

واذا كان رد الفعل المبكر للهجرة كان مسرحه الحضر القريب ، فان هؤلاء الفقراء قد وجدوا الفرصة سانحة فى مصادر أفضـل للرزق بمناطق تفجر البترول بالخليج وغيره من المناطق التى استقبلت موجات الهجرة، كما لم يختلف موقف القطـاع الحضرى عن موقف الريف فى الاحسـاس بالأزمة الاقتصادية . ويمكن القول بأن السياسات الاقتصادية التى أعقبت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ قد عمقت الكثـير من التناقضـات الاجتماعيـة وأضافت الكثير من الاعباء الاقتصادية على كثير من الفئات الاجتماعية . فقد شهدت تلك الفترة طرحا جديدا لايديولوجيات اقتصادية ، حملت فى طياتها قدرا كبيرا من الحرية الاقتصـادية لبعض الافراد دون مراعاة لما يمكن أن يحدثه ذلك من تأثيرات على المجتمع . كما شهدت تلك الفترة غزوا استهلاكيا وفد الى المجتمع المصرى . وتعـددت فى هذه الظـروف مستويات الأجور والدخول وظهر واضحا فى ظل هذه الازدواجيـة مدى تردى أجور العاملين فى القطاعات الحكوميـة ، والتى ترتبط معـدلات الزيادة فيها ببعض اللوائح والقوانين الجامدة ، والتى لا يمكن أن تساير فى أى حال ما يحدث من طفرات سريعة فى الأسعار التى شهدت قفـزات عالية فى ضوء غيبة الضوابط .

ويوضـح رمزى زكى ما حدث من تبـاين فى مستويات الاجور بين القطاعات الاقتصـادية المختلفة فيذكر أن متوسط الأجر فى نوفمبر ١٩٨٠ قد بلغ فى قطاع الصحة والمستشفيات حوالى ٤٦٠ جنيها وبلغ فى قطاع البنوك

---

(١) الجهـاز المركزى للتعبئة العـامة والاحصاء ، الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ، يونيو ١٩٨٠ ، ص ص ٣٣ ـ ٣٦ .

٢٦٨٤ جنيهـا ، كما بلغ متوسـط أجر العـامل فى مختلف القطـاعات الاقتصادية بمصر ٣٣٦ جنيها ، وتفاوت المدى بين ١١٧ جنيها فى قطـاع الاسكان الى ١٦٢٤ جنيها فى قطاع البترول[١] . وعلى الرغم من أن هذه الفترة الزمنية التى واكبت أحداث الهجرة،قد شهدت زيادةفى الأجور بشكل عام ، الا أن متوسط الاجور فى قطاع الزراعة ظل منخفضا بشكل ملحوظ عنه فى القطاعات الأخرى ، وعلى الجانب الآخر فقـد ظلت هذه الزيادة لاتلائم الزيادة فى الأسعار مما شكل عبئا مستمرا على الافراد ، أو بالأحرى على قطاع عريض من أفراد المجتمع .

وأمام هذه المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى مر بها المجتمـع المصرى بات من المؤكد أن المخـــرج الوحيـــد لكثـير من هذه الأزمات المعيشية التى تواجه معظم الأسر ـ وبشكل خاص فى المستويات الاقتصادية الدنيـا ـ هو الهجـرة . وذلك لتحقيق تطلعاتها أو بالأحرى لتحقيـق التوازن المفقود بين دخولها وبين حاجاتها الأساسية .

ملامح ظاهرة الهجرة بالمجتمع المصرى :

تعددت التقديرات الاحصائية التى حاولت تحديد حجم الهجرة بالمجتمع المصرى ، اذ قدرتها بعض المصادر بأنهـا تقترب من مليونين ، ويحدد التقـدير الرسمى الاسـاسى الصادر عن السلطات المصرية عدد المصريين المقيمين خارج الحدود طبقا لنتائج تعداد السكان فى ١٩٧٦ بحوالى مليونين ونصف . ويقدر أحد المصادر الخاصة بالهجرة فى المنطقـة العربية عدد العاملين المهاجرين من مصر فى ١٩٧٥ بحوالى ٣٥٠ ألف مهـاجر فقط ، وان هذا الرقم يمكن أن يرتفع الى ٦٠٠ ـ ٧٠٠ ألف مهاجر بحلول عام ١٩٨٥ . الا أن هذه التقديرات تبـدو أقل بكثير من تقـديرات التعـداد المصرى[٢] . وتقدر بعض المصادر أرقاما للهجرة تفوق التقديرات السابقة

---

(١) انظر : نقلاعن نادر فرجانى فى : الهجرة الىالنفط.أبعاد الهجرة للعمل فى البلدان النفطية وأثرها على التنمية فى الوطن العربى ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٣ ، ص ص : ٢٩ ـ ٥٠ .

(٢) نادر فرجانى فى : الهجـرة الى النفط ، مرجع سـبق ذكره ، ص ص ٥٦ ـ ٥٨ .

وذلك فى الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٨٠؛ ، والجدول التالى يوضح هذه التقديرات :

جدول رقم (١) يوضح تقديرات الهجرة فى بعض المصادر[١]

م	العدد	الفترة قيد الدراسة	العدد	
			١٩٧٣	١٩٨٠
١	الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء	١٩٧٣ ـ ١٩٨٠	٠٠٠	٧٨٩٠٠٠
٢	منظمة العمل الدولية (بديل أول)	١٩٧٣ ـ ١٩٨٠	٢١٩٤٥٣	٦٣٧٩١٩
٣	منظمة العمل الدولية (بديل ثانى)	١٩٧٣ ـ ١٩٨٠	٢١٩٠٠٠	١٠٦٣٠٠٠
٤	بيركس وآخرون	١٩٧٥ ـ ١٩٨٠	٣٧٠٠٠٠	٨٠٣٠٠٠
٥	سعدالدين وعبدالفضيل	١٩٨٠	٠٠٠	١٠٥٦٥٠٠

وفى تقرير آخر أعلنت وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٧٨ ، أن عدد المهاجرين المصريين بلغ ١٣٦٥٠٠٠ موزعين على النحو التالى :

٥٠٠ ٠٠٠ ليبيا — ١٥٠ ٠٠٠ بالامارات العربية
١٥٠ ٠٠٠ بالسعودية — ٥٠٠٠ بالعراق
١٥٠ ٠٠٠ بالكويت — ١٥٠٠٠ فى قطر[٢]

كما أسهمت القطاعات المختلفة بأنصبة متفاوتة فى هذا الصدد من المهاجرين ، وفى تحمل عبء الهجرة من العاملين فيها ، والجدول التالى يوضح ذلك :

---

(١) محمد سمير مصطفى ، بعض قضايا التنمية الراهنة فى جمهورية مصر العربية ، معهد التخطيط القومى : مذكرة خارجية رقم ١٤٥١ فبراير ١٩٨٨ ص ٥٥ .

(٢) جريدة الاهرام فى ١٩٧٨/٩/١٨ .

جدول رقم (٢) يوضح نصيب القطاعات الاقتصادية فى الهجرة(١)

		١٩٨٤		١٩٨٥	
		العـدد	النسبة	العدد	النسبة
١	أصحاب المهنة الفنية والعلمية ومن اليهم	٧١٦٥٦	٧ر٤٢٪	١٠٠٧٢٦	٩ر١٦٪
٢	المديرون والاداريون ومديرو الاعمال	١١٥٩	٧ر ٪	١٤٨٩	٠٣ر ٪
٣	القـائمون بالاعمـال الكتابية ومن اليهم	٢٥٠٠٠١	٩ر١٤٪	٤٦١٧٩	٧ر٧ ٪
٤	القائمون بأعمال البيع	١٢١٨	٠٧ر ٪	٣٠٧٧	٥ر ٪
٥	القـائمون بأعمـال الخدمات	١٤١٠٣	٤ر٨ ٪	١٠٣٧١٠	٤ر١٧٪
٦	العاملون فى الزراعة	٦٢٩٤	٧ر٣ ٪	٥٥٢٢٠	٣ر٩ ٪

بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية بالقرية المصرية :

أكدت العـديد من الدراسـات التى تناولت موضوع الهجرة أن هذه الظـاهرة قد أفرزت مجمـوعة من المصاحبات الاجتماعية والاقتصـادية بالقرية المصرية بدءا من تغيير التركيب المحصولى وتحول القرية من انتاج محاصيل الغذاء الى انتاج المحاصيل ذات العائد النقدى ، ودخول رأس المال التجارى الى القرية ، وما أحدثه من تناقضات فى الأبنية الاقتصادية الريفية وما حدث فى سياقه من تداول للسلع بناء على طلبها بصرف النظر عن أهميـة هذه السـلع للمستهلكين بالريف . فقد حدث ذلك التـداول كاستجابة لمؤثرات من خارج القرية تؤدى ذلك الدور لمصلحة منتجين هم أيضا من خارج القرية(٢) . كما ظهر فى غضون ظاهرة الهجرة اختلافات فى قوة العمل الزراعى ، وفى عرض العمل ، حيث أصبح النساء والأطفال

(١) محمد سمير مصطفى : بعض قضايا التنمية الراهنة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩ .

2. **Yong, Kate, Modes of appropriation and sexual division of labour : A case study from oxaca, Mexicao, in Annette Kuhn and Anon maire wolpe (eds); Feminisn and materialism, women and modes of production.**

جزءا كبيرا فى قوة العمل هذه كذلك ارتفعت مستويات الدخول كمحصلة لتحويلات المهاجرين من هذه الأسر ، وبشكل خاص بين الاسر ذات المستويات الاقتصادية البسيطة والتى لا ملكيات زراعية لها ، أو ممن لهم ملكيات محدودة أو الأجراء(١) .

وبذلك يمكن القول أن الهجرة قد أدت الى انخفاض معدلات الفقر المطلق بالقرية المصرية . وقد أكدت ذلك النتائج التى انتهى اليها المسح بالعينة على ألف أسرة ريفية فى ١٨ قرية مصرية ، والذى قامت به منظمة العمل الدولية عام ١٩٧٧ ، حيث أظهرت الدراسة انخفاض نسبة من كانوا يعانون من حالة الفقر الشديد بهذه القرى لتصل نسبتهم الى ٣ر٣٥٪ بعد أن كانت هذه النسبة ٤٤٪ قبل تاريخ اجراء الدراسة(٢) . كما أدت تحويلات المصريين من بلاد المهجر الى أسرهم بالقرى الى ارتفاع متوسط الدخل الصافى للفرد بالريف من ١ر٦٦٪ سنة ١٩٧٥ الى ٦ر٧٣٪ أى بزيادة قدرها ١ر١١٪ واستمرت هذه الزيادة فى الدخل لتصل ١ر١٢١٪ سنة ١٩٨٠ ، وقدرت نسبة الزيادة فى تلك الفترة بـ ٢ر٨٢٪(٣) . كما تنوعت الانشطة الاقتصادية بالريف ، ولم تعد بذلك الزراعة هى النشاط الاقتصادى الوحيد ، بل اتسعت القرية للعديد من الانشطة الأخرى غير الزراعية . ويؤكد تلك الحقيقة الدراسة التى أجراها هوبكنز(٤) من الجامعة الامريكية بالقاهرة على قرية موشا بأسيوط والتى أظهرت ذلك التنوع كما هو بالجدول التالى :

---

(١) انظر : نادر فرجانى ، سعيا وراء الرزق : دراسة ميدانية عن هجرة المصريين للعمل فى الاقطار العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) جلال أمين واليزابيث تيلور : هجرة العمالة المصرية للخارج ، تقرير بحثى رقم ١٠٨ ، مركز بحوث التنمية الدولية بكندا ، يناير ١٩٧٩ ، صص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) كريمة كريم : الآثار الاقتصادية لهجرة العمالة على الريف المصرى ، فى ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الاوسط ، جامعة عين شمس من ٦ ـ ٨ مايو ١٩٨٦ .

4. **Hopkins (N.) "The social Impact of mechanization", In Richard and Martin (eds) Mechanization and agriculture labour markets in Egypt, Wastview, Avec press, 1983, p. 194.**

جدول رقم (٣) يوضح تنوع الدخول فى قرية موشا باسيوط

م	مصدر الدخل للاسر بقرية موشا	مجموع الاسر غير المالكة للأرض	أسر تملك أقل من فدان	أسر تملك من فدان الى ٢	٢ – ٥	٥ فاكثر	اجمالى الاسر
١	الدخل من الزراعة	—	—	١٩	٩	٧	٣٥
٢	العمل بأجر	١٣	٨	١	—	—	٢٢
٣	وظيفة حكومية	١٥	٢	٣	١	—	٢١
٤	تجارة صغيرة	١٢	١	٢	١	—	١٦
٥	وظائف غير زراعية	٥	١	—	—	—	٦
٦	تحويلات من الخارج	١	١	٢	—	—	٤
٧	معـــــاش	٢	—	١	—	—	٣
	اجمالى العينة من الاسر	٤٨	١٣	٢٨	١١	٧	١٠٧

وتقترب هذه النتائج مما أظهرته الدراسة التى أجريت بقرية سنتماى بمحافظة الدقهلية والتى أكدت ظهور تنوع فى النشاط يماثل ذلك التنوع الذى أظهرته دراسة هوبكنز ، ويعكسها الجدول التالى :

جدول رقم (٤) يوضح مصادر الدخل لعينة من الاسر بقرية سنتماى(١)

الملكية / مصادر الدخل	النسبة	أقل من فدان	١ – ٢	٢ – ٣	أكثر من ٣ أفدنة	الاجمالى
الدخل من الزراعة	٤٧ر٥ ٪	١٥	٦١	١٧	٢	٩٥
الدخل من العمل فى الوظائف المؤسسية	٣٥ ٪	٥٥	٧	٥	٣	٧٠
الدخــــل من العمل بأجر فى أنشـــطة بالزراعة وخارجها	١٤ ٪	٢٨	—	—	—	٢٨
أعمال غير زراعية	٣ر٥ ٪	٧	—	—	—	٧
اجمـــــالى	١٠٠٪	١٠٥	٦٨	٢٢	٥	٢٠٠

---

(١) فوزى عبد الرحمن : الابعـــاد المؤثرة فى ظاهرة تقسيم العمـل الزراعى فى مصر ، محادثة منهجية فى الانثروبولوجيا الاقتصادية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع بكلية بنات عين شمس، ١٩٨٩، ص١٨٣.

ويبـدو واضحا أن القرية أصبحت وعاء زاخرا بالعـديد من الانشطة الاقتصـادية ، فلم تعـد الزراعة هى النشـاط الوحيـد ، كمـا سبق أن ذكرنا ، كمـا لم تعـد الارض هى مخـزون القيمة الاقتصادية الوحيـد بالاقتصاد الريفى ، بل فقدت مكانتها فى صدارة سلم القيم المادية ليحتل مكانها رأس المال النقدى . وكمحصلة لذلك تغير ارتباط الانسـان الريفى بالارض الزراعية ويتطلب ذلك اعادة طرح الكثير من المفاهيم التى ظلت سـائدة فى علم الاجتماع الريفى عن خصائص المجتمع الريفى ، وكذلك حول كثـير من المفـاهيم الاقتصـادية بالمجتمع الريفى ، والتى منهـا على سـبيل المثـال تلك التى تعرف فى مجال الاقتصاد السياسى ، والتى تصيغ العـلاقة بين رأس المال والارض على هذا النحو (ض ـ ن ـ ض) حيث «ض» هى الارض و «ن» هى النقود لكى تصبح (ن ـ ض ـ ن) . وهكذا تعكس المعادلة فى شـكلها الثـانى الصياغة الجـديدة بين النقـود والارض ، اذ خرج رأس المال من أسره التقليدى الذى ظل حبيسـا فيه لقـرون طويلة بالقـرية داخل الارض ، ليتفاعل مع أنشطة أخرى أكثر تنوعا(١) .

الهجرة وقيم الاستهلاك الجديدة بالريف المصرى :

تركت الهجرة آثارها الواضحة على أنماط الاستهلاك بالقرية المصرية ، فقد وظفت أجزاء كبيرة من تحويلات المهاجرين لتمويل احتياجات أسرهم الكائنة بالموطن الاصلى،والتى تجاوزت الحدود الدنيا للحياة . حيث أعيد تشكيلها أيضا فى ذلك السياق الجديد الذى انتقل اليه المهـاجر وأسرته ، والذى تزامن مع مؤثرات أكثر شمولا وعموميـة مر بها المجتمع الكبـير لتجسيد تطلعات جديدة تبدت مخاطرها فى أنها ظهرت كثقوب فى الوعاء الادخارى للمجتمع المصرى . فقد ابتلعت التطلعات الاستهلاكية النصيب الأكبر من

---

(١) محمد عبد الشفيع عيسى : التغير الاقتصادى فى الريف المصرى ، دراسة ميدانيـة لقـرية مصرية ، مقـال بمجلة دراسـات عربية ، السنة العشرون ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٢ .

مدخرات المهاجر الريفى فى ظل غيبة الوعى الادخارى بين الغالبية العظمى من جانب • ومن جانب آخر فقد وجد المهاجر وأسرته فى عائد الهجـرة تعويضا لسنوات طويلة من الحرمان طالما عانى منها قبل سفره •

وانعكس ذلك السلوك فى ارتفاع معدلات الاستهلاك بشكل ملحوظ • والجدول التالى يعكس ملامح هذه الزيادة بالنسبة للاستهلاك القومى فى السنوات من ١٩٧٤ ـ ١٩٨٢ :

جدول رقم (٥) يوضح نصيب القطاع الريفى من الاستهلاك(١)
خلال سنوات ١٩٧٤ ـ ١٩٨٢

السنة	جملة المنفق القومى على الاستهلاك العائلى بالمليون	نصيب القطاع الريفى منه	ملاحظـــــات
١٩٧٤	٢٨٧١	١١٠٠ر٦	(*) يشمل الاستهلاك العائلى
١٩٧٥	٣٢٩٣	١٢١٨ر٣	السلعى والخدمى
١٩٧٦	٤٠٣٠ر٨	١٤٦٤	(**) باقى المبلغ من المنفق
١٩٧٧	٤٩١٦ر٩	١٧٨١ر٤	القومى على الاستهلاك
١٩٧٨	٦٢٦٢ر٥	٢١٨٥ر٩	هو نصيب قطاع الحضر
١٩٧٩	٨٣٥٣	٣١٧٤ر٤	
١٩٨١/٨٠	١١١٥٤ر٨	٤٨٧٨ر٦	
١٩٨٢/٨١	١٢٨٢٢	٥٥٥٩ر٨	

حيث يتضح من الارقام الواردة فى الجدول رقم (٦) ارتفاع معدلات الاستهلاك والتى حققت على التوالى منـذ ١٩٧٥ ١١٪ ، الى ٢٠٪ لكى تقفـز سنة ١٩٧٧ الى ٥١٪ • وفى عام ١٩٧٨ وصلت الى ٥٣٪ والى ٤٥٪ عام ١٩٧٩ ، ولتصل ذروتها فى عامى ١٩٨١/٨٠ حيث بلغت ٥٣٪ •

---

(١) المصـدر : تقـارير المتابعـة بوزارة التخطيط (نقلا عن سـعاد عبد القادر) تطور الاستهلاك العائلى فى ضوء بعض المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية عن سنة ١٩٧٤ ـ ١٩٨٤ ، بحث دبلوم معهد التخطيط القومى لسنة ١٩٨٥ ، ص ٣٠ •

ويبدو أن الزيادة فى معدلات الاستهلاك لم تكن سمة خاصة بالريف المصرى فى تلك الفترة ، بل كانت سمة عامة للمجتمع المصرى ، اذ حدثت تغيرات فى أنماط الاستهلاك به ، حيث حرص المهاجرون سواء فى الريف أو الحضر على اقتناء بعض السلع المعمرة والكهربائية منها بوجه خاص ، وهى حقيقة أكدتها العديد من الدراسات كدراسة نادر فرجانى ٠ والجدول التالى يوضح الزيادة فى اقتناء الأسر للسلع المعمرة خلال الفترة المرجعية حسب حالة الهجرة مقارنة ببعض الاسر التى لم يهاجر منها أحد(*) :

جدول رقم (٦)

السلعة	متوسط عدد الوحدات التى اقتنتها الاسرة × ١٠٠	
	أسر المهاجرين	الاسر بدون مهاجرين
راديـــو	٩٢	٧٢
مسجــل	٦٩	٤٦
تليفزيون عادى	٦٠	٥٦
تليفزيون ملـون	٢٢	١٥
جهـــاز فيديو	٤	٢
بوتاجـــــاز	٣٣	٣٠
ثلاجـة كهربائية	٣٣	٢٨
غسالة كهربائية	٥٤	٤٨
سخـــان ميـــاه	١٤	١٠
مروحة كهربائية	٤٠	٣١
جهـــاز تكييف	٢	١
تليفـــــــون	٣	٣
موتوســـــيكل	١	٢
سيارة مستعملة	٤	٢
سـيارة جـديدة	٥	٢

(١) نقلا عن : نادر فرجانى سعيا وراء الرزق ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٣ ٠

وتعكس أرقام الجدول السابق مجموعة من الحقائق ، منها ارتفاع معدل اقتناء أسر المهاجرين للاجهزة والسلع المعمرة بشكل يفوق الاسر غير المهاجرة ٠ ويمكن أن تتضح هذه الزيادة اذا ما قورنت مجموعة من الاسر فى المستوى الطبقى الادنى سافر منها بعض أفرادها بمجموعة أخرى من الاسر فى نفس المستوى لم يتح لأفراد منها فرصة السفر ، بيد أن تلك الاحصاءات غير متوفرة لدينا ٠

الهجرة وتغير خريطة الانتاج بالقرية المصرية :

تزامنت فترة الهجرة مع بعض التغيرات التى يشهدها الريف المصرى ، منها تغير خريطة الانتاج ، والتركيب المحصولى ٠ ولا نعنى بذلك أن الهجرة كانت عاملا وحيدا لحدوث ذلك التغير ، ولكن هناك مجموعة من العوامل أدت الى ذلك تحظى الهجرة بجزء كبير منها ٠ فالى جانب تأثيرات الهجرة ، هناك ما أعلنته الدولة فى سياستها نحو الريف والتى تتبلور فى دعم القدرة التصديرية من الخضروات والفاكهة ، الا أن ذلك لم يواكبه تغير فى استخدام الاسالب الانتاجية الموجودة ، أو تغير فى شكل استغلال الارض ، أو استزراع مساحات جديدة ، وهى أمور تتطلب دعم القطاع الزراعى وزيادة الاستشارات الموجهة اليه ٠

وجدير بالذكر أن محاولة زيادة القدرة التصديرية لبعض المحاصيل،قد أعلنت دون تخطيط واع،وبغير استراتيجية قوية مدروسة تأخذ فى الاعتبار عوامل الانتاج المختلفة ، والمزايا النسبية لانتاج بعض المحاصيل فى منطقة دون أخرى ، ودون مراعاة الخصائص الطبيعية للقرية المصرية ٠

ولقد أسهمت الهجرة بنصيب وافر فى هذا التحول ، من خلال ما أحدثته من اختلالات فى المعروض من قوة العمل الريفى ، اذ أن الهجرة قد حدثت بشكل واضح بين ذكور الفئات الدنيا ممن يمثلون القوة الاساسية للعمل الزراعى المأجور ، وكمحصلة لذلك ارتفع أجر العامل بسبب قلة المعروض من قوة العمل وزيادة الطلب عليها ٠ ودفع ذلك الكثير من الزراع الى التحول الى زراعة المحاصيل غير التقليدية ، والمثمرة منها بشكل خاص كالموالح وأنواع الفاكهة الأخرى حيث أن الفاكهة لا تحتاج

الى رعاية مستمرة خلال فترات الانبات والى قوة عمل مكثفة فى فترات الحصاد ، ولكنها تحتاج الى جهد من نوع آخر على فترات متباعدة ٠ ومن جانب آخر فقد أدت تطلعات أهل القرية المادية ممن لم يهاجروا الى الاتجاه نحو زراعة الفاكهة ، لما لها من عائد اقتصادى يفوق بكثير عائد المحاصيل التقليدية وغير ذلك من المحاصيل ذات العائد النقدى المرتفع كالخضروات التى اتجهت الى زراعتها بعض المناطق مستغلين فرصة احلال قوة عمل النساء والاطفال مكان الذكور البالغين فى العمل المأجور ، وهى قوة عمل تلائم الخضروات التى تتطلب جهودا مكثفة غير شاقة ، ومن جانب آخر فهى رخيصة بالمقارنة بقوة عمل الذكور البالغين ، وبذلك فهى تلائم هذه الاتجاهات الانتاجية الجديدة فى الريف المصرى ٠

ويضاف الى ذلك ما أحدثته الهجرة من توفير لرؤوس أموال مستقلة عن الارض وعن مصادر الاستغلال التقليدية التى عهدتها القرية ، وهى أيضا ضمن متطلبات هذه المحاصيل الجديدة التى تحتاج الى شتلات أو بذور محسنة وأسمدة كيماوية ومبيدات حشرية والاتصال بمناطق التسويق وعقد الصفقات والتحرك خارج مناطق الانتاج ٠ ويوضح الجدول التالى شكل التغيرات فى التركيب المحصولى فى الفترة من ١٩٦٩ الى ١٩٨٢ :

جدول رقم (٧) يوضح نسبة المحاصيل من المساحة الكلية(١)

نوع المحاصيل	٦٩ – ١٩٧١(*)	٨١ – ١٩٨٢(*)	ملاحظات
الحبوب (القمح والارز والذرة والشعير)	٪٤٢ر٢٣	٪٤٣	مع ملاحظة أن مساحة الارض المنزرعة كانت فى عام ١٩٧١ هى ١٠ر٧٤٢ مليون فدان وفى سنة ١٩٨٢ كانت ١١ر١٧٧
القطن والكتان	٪١٥ر٠٦	٪١٠ر٤٤	
خضروات	٦ر٦٢ ٪	٩ر٢٣ ٪	
فول	٤ر٠٠ ٪	٣ ٪	
فاكهة	٤ر٧٢ ٪	٦ر٣ ٪	
محاصيل الاعلاف	٪٢٤ر٠٠	٪٢٤ر٥٣	

(١) المصدر : معهد التخطيط القومى : سياسات وامكانيات تنشيط الصادرات من السلع الزراعية سلسلة قضايا التخطيط والتنمية فى مصر ، نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ص ٣ – ٥ ٠

(*) النسبة التى يشغلها المحصول من اجمالى المساحة المنزرعة ٠

ويظهر من هذه الارقام تناقص المساحة المنزرعة بالقطن من ٦٠ر١٥٪ الى ٤٤ر١٠٪ رغم أهمية هذا المحصول التصديرية والانتاجية للصناعات المصرية ، الا أنه قد فقد هذه الاهمية بسبب ما يحيط انتاجه من مشكلات أدت الى العزوف عن زراعته • كما يلاحظ أيضا ارتفاع نسبة المساحة المستغلة من الارض بالفاكهة والخضروات ، حيث زادت بالنسبة للفاكهة من ٧٢ر٤٪ الى ٣ر٦٪ ، وبالنسبة للخضروات من ٦٢ر٦٪ الى ٢٣ر٩٪ • كما يعكس الجدول التالى صورة أخرى الى الاتجاه نحو المحاصيل النقدية فى الانتاج الزراعى فى سنوات الهجرة :

جدول رقم (٨) يوضح معدلات الزيادة والنقص
فى مساحات المحاصيل فى مصر(١)

المحصول	المساحة بالالف فدان		٪ للزيادة والنقصان
	١٩٧٠	١٩٨٠	
قمح	١٣٠٥	١٣٢٦	١ر٦
عدس	٤٧	١٥	٦٨
فول	٣٣	٢٧٦	١٦ر٤
برسيم مستديم	١٥٢١	١٧٢٢	١٣ر٢
تحريش	١٢٢٧	٩٩٠	١٩ر٣
قطن	١٦٢٧	١٢٤٤	٢٣ر٥
أرز	١١٤٢	٩٥٦	١٦ر٣
خضر	٧٤٧	١١٠٩	٤٨ر٥
فاكهة	٢٤٣	٣٦١	٤٨ر٦

ويتسق ذلك مع التقرير الذى نشر للسيد وزير الزراعة الحالى بالاهرام الاقتصادى ، والذى يشير الى تناقص مساحات القطن بالقطاع الزراعى من ٦ر١ مليون فدان الى ٩٥٦ ألف فدان وكذلك نقص محاصيل الاعاشة من ٣٣٠ ألف فدان فى عام ١٩٧٠ الى ٢٧٦ فى عام ١٩٨٠ ، وزيادة

(١) المصدر : محمد أبو مندور فى : الفجوة الغذائية فى مصر ، المظاهر والاسباب وبدائل المواجهة ، مجلة فكر للدراسات والابحاث ، فبراير ١٩٨٥ ، العدد الرابع ، ص ١١٤ •

المساحات المنزرعة بالبرسيم من ٥ر١ مليون فدان فى عام ١٩٧٠ الى٧ر١ مليون فدان فى عام ١٩٨٠(١) ٠

وبشكل عام يمكن اعتبار الهجرة للعمل للخارج وبخاصة من القطاع الريفى أحد أسباب تردى الانتاج الزراعى ، وذلك من خلال ما أحدثته من اختناقات فى سوق العمالة الزراعية ، وفى صورة نقص الايدى العاملة وارتفاع أجورها ٠ ويتأكد ذلك اذا عرفنا ما آلت اليه مصر خلال السنوات السابقة والتى واكبت موجات الهجرة من اعتمادها على الخارج فى الوفاء بالحاجات الغذائية لسكانها ، وارتفاع معدل ذلك الاعتماد ليصل الى أكثر من النصف وليعمق روافد التبعية التى قوضت دعائم الانتاج الريفى لمحاصيل الغذاء ٠ ويتحول بعد ذلك الى انتاج نقدى لمحاصيل قد لا تعبر بالضرورة عن احتياجات اجتماعية ، ولكنها تعكس ملامح انخراط الريف فى فلك الانتاج الخارجى واستجابته لحاجات السوق العالمية التى تؤثر فيه وتوجهه عن دوره فى الوفاء بالحاجات الاساسية ٠

الهجرة واختلال الأدوار داخل الأسرة :

تجاوز تأثير الهجرة مجال الحياة الاقتصادية والانتاجية للقرية ـ كوعاء اجتماعى واقتصادى تتفاعل فيه مؤثرات ظاهرة الهجرة ـ نجده يتسرب الى الاسرة ليعيد صياغة الكثير من القيم والعلاقات والأدوار التى ظلت سائدة بين أفرادها ٠ فالهجرة تحدث بين الذكور من أبناء القرية ، وهم فى الغالب يتركون زوجاتهم وذويهم وأسرهم لفترات طويلة ، اذ أن التحرك يكون بشكل عشوائى ، ومن ثم فالاستقرار لا يتحقق لمعظمهم الا بعد مرور سنوات متصلة من العمل بمكان الهجرة ، كما أن معظم هؤلاء المهاجرين من الريف وبشكل خاص من هم من مستويات طبقية دنيا دفعتهم الحاجة الاقتصادية الى الهجرة ؛ يقبلون العمل وفق شروط مادية

---

(١) الاهرام الاقتصادى : عدد ٧١٤ ، سبتمبر ١٩٨٢ ، ص ٢٠ ٠

مجحفة • وأمام هذه الظروف يضطرون الى البقاء فى بلد الهجرة لسنوات دون التردد على قراهم(١) •

وفى هذا السياق المركب تضطر الزوجات الى تولى مسئولية ادارة شئون الحياة كاملة ، فمنهن من تؤدى أدوارا فى الحقل اذا كانت الاسرة تمتلك بعض القراريط يضاف الى ذلك تلك الادوار التى تؤديها الزوجات فى تنشئة الابناء ، وهى أدوار لم يهيأن لها • فبرغم اضطلاع الامهات عادة بأدوار التنشئة الاجتماعية للابناء ولكنها تكون فى المراحل العمرية المبكرة التى تختلف عنها عندما يتقدم الابناء فى السن • وكثيرا ما تجد الامهات أنفسهن فى مواجهة صعبة مع هذه الادوار فى ظل غياب الآباء ، الذى يفقد الابناء رافدا هاما للتنشئة الاجتماعية ، فالأب هو أحد رموز المكانة وفقا للمعايير الثقافية ، ومن خلاله يتحقق قدر كبير من الضبط والسيطرة على مقاليد الأمور فى الاسرة ، ويصعب على الامهات أداء هذه المهام بمفردها •

والأكثر من ذلك فقد تسهم الامهات دون وعى منهن فى انزلاق الابناء الى هاوية الانحراف ،وذلك من خلال الاغداق على الابناء بالمال واسرافهن فى التدليل ، أو لجوئهن الى الشدة من قبيل الحرص عليهم ، وكمحصلة لهذا الاختلال فى الادوار وتخلى الآباء عن أدوارهم بالأسرة ، ظهرت الكثير من حالات الانحراف بين الابناء وغيرها من حالات الانفصال بين الازواج ، ذلك أن خلو ساحة الاسرة من الآباء ، أدى الى تدخل أطراف متنوعة كالأقارب والاصدقاء لمحاولة سد النقص الذى تركه الآباء فى الاسرة • وفى غضون ذلك تهيأ المناخ لظهور علاقات مختلة تمت دون ضوابط داخل الكثير من الأسر •ولا شك أن رصد هذه الانحرافات يعد من الأمور الشاقة ، كما أن المشقة تزداد اذا ما حاولنا الربط بينها وبين حدوث الهجرة ،

(١) انظر : نادر فرجانى فى : سعيا وراء الرزق ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٤ •

الا أنه يمكن القول بشكل عام أن الهجرة من خلال ما أحدثته من تأثيرات داخل الاسرة قد هيأت المناخ لحدوث الكثير من الاختلالات فى العلاقات والقيم والادوار وظهور بعض أنماط السلوك السلبية التى لم يعتدها المجتمع الريفى من قبل ٠



رابعا : الخصائص الاجتماعية لمجتمع الدراسة

المجتمع المحلى لقرية «أباظة» ، بناء مجتمع البحث :

١ ـ التسمية :

قرية «أباظة» واحدة من القرى التى تتبع مركز «ابشواى» اداريا بمحافظة الفيوم ، ويرجع أصل تسمية قرية أباظة بهذا الاسم ـ على حد قول أحد الاخباريين بالقرية : «لأن أول عقار أقيم فى هذه القرية وبنى بالطوب والمسلح زى المبانى اللى فى البندر وفى مصر كان لشخص يدعى أباظة ٠ ومن يومها والناس اعتادت تقول أباظة » ٠ وهذه الرواية مجرد أقوال متواترة لم نجد دليلا علميا يؤيدها ٠

٢ ـ الملامح الايكولوجية :

تبعد قرية أباظة حوالى ٦٥ كيلو مترا من مدينة الفيوم بالطريق السياحى ، و ٦٠ كيلو مترا بالطريق العادى (بين القرى) ٠ وقرية أباظة فى شكلها العام متوسطة الحجم : يحدها من الشمال بحيرة قارون ، ومن الجنوب وادى الريان ، ومن الشرق قصر فاروق وأحمد ابراهيم والى ، ومن جهة الغرب قرية قوتة ٠ وتتبع قرية أباظة مجلس محلى قارون هى وست قرى أخرى هم على التوالى : الابعادية ، الخرابة ، الخلفة ، عزب الدهب ، عزبة احمد ابراهيم ، قرية قوتة التى يوجد بها مقر المجلس المحلى حاليا ، وتبعد عن قرية أباظة بحوالى ثلاثة كيلو مترات ٠ وتقدر

المساحة الكلية للزمام المزروع بالقرية حوالى ٢٠٠٠ فدان موزعة على النحو التالى[١] :

٥٠٠ فدان تزرع قمح (تحت النقص والزيادة طبقا لسياسة الدورة الزراعية) .

١٤٠ فدان تزرع بصل ، وكانت من قبل ٤٠٠ فدان .

١٥٠ فدان تزرع شعير ـ ١٠٠ ـ ١٢٠ فدان تزرع حلبة .

٤٠٠ فدان فى المتوسط تزرع طماطم ـ ٤٢٠ فدان تزرع زيتون[*] .

ويقدر تعداد قرية أباظة بحوالى ٢٠ ألف نسمة . وهى بشكلها الحالى تتكون من عزبتين يفصل بينهما حارة ضيقة ، الا أن الامتداد العمرانى والتزايد السكانى الطاغى كاد أن يجعلهما امتدادا واحدا . ويسمى القسم الاول قرية اسماعيل عبد اللطيف ، ويقدر تعدادها بحوالى ١٦ الف نسمة ، والقسم الثانى يسمى أباظة ويبلغ تعدادها حوالى ٤ آلاف نسمة[٢] . وعموما يتخذ التجمع العمرانى لقرية أباظة حاليا شكلا شبه دائرى[٣] . ومن الملامح الايكولوجية لقرية أباظة أيضا أنها قرية تقليدية فى مظهرها ، حيث نجد أن معظم شوارعها غير ممهدة ، ومعظم الدروب تكثر بها المرتفعات والهضاب الترابية وأكوام السباخ .

ومن الملفت للنظر أن مساكن القرية شهدت فى السنوات الأخيرة تغيرات فى المادة المستخدمة فى بناء المساكن ، وقد يرجع سبب هذا التغير الى سفر فئة من أهالى القرية للعمل اما فى المجتمعات الحديثة داخل مصر أو السفر

---

(١) من سجلات الجمعية الزراعية .

(*) بدأت زراعته فى عام ١٩٧٠ بسبب قلة مياه الرى بسبب انخفاض منسوب الأراضى الزراعية فى قرية أباظة ، ومن جهة أخرى لما يتميز به محصول الزيتون من قدرة على تحمل نقص المياه .

(٢) من واقع بيانات المجلس المحلى .

(٣) صلاح عبد الجابر ، الانماط الجغرافية للمستوطنات الريفية لمنخفض الفيوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الجغرافيا ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٥ .

الى الدول النفطية ، وادخارهم لمبالغ عاونتهم على احداث ترميمات أو اعادة بناء المسكن باستخدام الحجر بدلا من الطوب النيىء ، أو اتجـاه البعض الى تعلية مسكنه الى طابق أو طابقين تشبها بالمساكن الحضرية •

وبالرغم من ميل اتجاه التغير الواضح فى القرية بصفة عامة وفى شكل بناء المساكن بصفة خاصة ، فلايزال يسود القرية نمطان من أنماط المساكن على النحو التالى :

النمط الأول :

المساكن المبنية بالطوب اللبن ، ويتكون معظمها من طابق واحد • وغالبا ما يكون السقف من جريد النخل وفروعه ، وقد اتجه الكثيرون من أصحاب هذا النمط من المساكن بعد عودة الزوج من الهجرة الى تحسينها باستبدال جدران المسكن بالحجر بدلا من الطوب اللبن ولكن دون المساس بسقف المنزل أو الاهتمام بزيادة عدد فتحـات المنزل لتحسين التهوية أو الاضاءة ، ودون حدوث أى تغيرات فى التقسيم الداخلى للمنزل • وعادة ما يتكون المنزل من الداخل من حجرتين : واحدة لنوم الوالدين ولتخزين الطعام وأدوات الطهى ، والأخرى لنوم أسرة الابن وأبنائه ، حيث يتميز هذا النمط من المساكن بوجود أكثر من أسرة يشـتركون جميعا فى الاقامة والمعيشة ، نظرا لانتشار نمط الاقامة الأبوية (السكنى المشتركة) للأبناء الذكور بعد زواجهم،وهى السمة المميزة للسكنىفىالقرية حتى وقت اجراء الدراسة • ومن الملاحظ أن يظل معظم هذا النمط من المساكن بدون طلاء خارجى (بياض) الا فى حالة ذهاب أحد أفراد الأسرة لأداء فريضة الحج ، يستعد أهله لاستقباله بطلاء المنزل بالجير الابيض والملون ووضع التعاليق والرايات ، وتزيين المنزل بالرسـومات الدالة عـلى الحـج (الطـائرة والسفينة) • وفيما عدا ذلك تظل مساكن هذا النمط على لونها الطبيعى ـ لون الطوب الذى بنيت به ، وتظـل الارض دون تبليط ، ومعظـم هذه المساكن يوجد بها الماء والكهرباء ولكنها خالية من دورات المياه ، وتقضى معظم الاسرة حاجتها فى حظيرة الحيوانات •

النمط الثـانى :

وهى المساكن المبنية بالحجر والاسمنت أو الطوب الاسمنتى ، وهى مســاكن تخص الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة الوسطى ، ويتكون هذا النمط من المساكن من دور أو دورين أو اكثر بحيث تكثر فيه حجــرات المعيشة التى تتناسب مع حجم الوحدة المعيشية والافراد المقيمين بها ، فنجد بهــا من ٢ ـ ٣ حجرات للنــوم ، ودورة مياه وحمــام وحجرة لاستقبال الضيوف (صالون أو كنب بلدى) • ويأخذ أثاث معظم هذه المساكن الطابع الحضرى •

أما حظيرة الحيوانات فيوجد فاصــل بينها وبين المنزل ، وذلك بأن يكون لها باب مستقل على الشارع مباشرة أو يكون لها باب يفصل بينهما وبين مكان أعضاء الاسرة • ويتميز هذا النمط من المساكن بأنه جيد التهوية حيث تكثر النوافذ والشرفات ، كمــا يتميز أصحابه بالاهتمام بالمظهــر الخارجى من حيث طلاء الجدران الداخلية والخارجية وكذلك النوافذ • وقد يختلف نوع الطلاء بالزيت أو بالجير طبقا للمستوى الطبقى •

٣ ـ النشاط الاقتصادى :

يمثل النشاط الزراعى بالقرية النشاط الرئيسى لمعظم أهالى القرية ، وبذلك يحتل قمة الانشطة الاقتصادية فى القرية • ويتضح لنا ذلك مما يلى:

يقدر حجم الحيازة الكلية المزروعة بالقرية بحوالى ٢٠٠٠ فدان موزعة كالآتى :

الحيازة الكبرى : ٥٠ فدان لكل ابن من ابناء عائلة أباظة ، ٢٠ فدان لعدد حوالى ١٢ مالكا على مستوى القرية •

الحيازات المتوسطة : ٥ ـ ١٠ فدان يقدر عددهم بحوالى ٥٪ من الملاك•

الحيازات الصغرى : ١ ـ ٣ فدان يقدر عددهم بحوالى ٢٠٪ من سكان القرية ، والباقى ويقدر عددهم بحوالى ٧٠٪ فتملك اقل من فدان •

أما بالنسبة لزمام القرية من أراضى الاصلاح الزراعى(*) فيقدر بحوالى ١٠٠٠ فدان ، ويبلغ عدد المنتفعين بأراضى الاصلاح الزراعى حوالى ٥٠٪ من جملة سكان القرية ، وما يعادل ١٠٠ أسرة بواقع من ٢ ـ ٣ فدان لكل أســرة ٠

وعموما فمازالت القرية تخضع لنظــام الدورة الزراعيــة على النحو التــالى :

(أ) الدورة النيلية(١) :

تبدأ من شهرى مايو ويونية وتنتهى فى شهر نوفمبر/ديسمبر ، وتزرع المحاصيل الآتية : ٤٠٠ فدان طماطم ، ذرة رفيعة ، سمسم ، ذرة شامية ، بطيخ ، لب أسمر ٠

(ب) الدورة الشتوية :

تبدأ من شــهرى نوفمــبر/ديسمبر حتى شــهر مايو ، ويتم زراعة المحاصيل الآتية :٥٠٠ أو ١٤٠ فدان ، قمح ، برسيم ، فول بلدى ، لب أســمر ، ١٥٠ فدان شعير ، ١٢٠ فدان حلبة ، ٤٠٠ فدان طماطم ، ٤٢٠ فدان زيتون ٠

كمــا لوحظ أثناء الدراسة الميدانيــة ـ بنــاء على ما يرويه كثير من الاخباريين بالقرية ـ تحول نسبة كبيرة من الحيازات الى زراعة محصول الطماطم والبصل على حساب التقليل من الحيازات المزروعة بالمحاصيل الأخرى من القمح والشعير نتيجة لقلة مياه الرى اللازمة لزراعته فى فصل الشتاء وانعدامها فى فصل الصيف مما يترتب عليه تلف كثير من المحاصيل الأخرى ٠

(*) استفادت من قانون الاصلاح الزراعى ، وتم توزيع أراضى عائلة أباظة على المعدمين عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ٠

(١) من واقع سجلات الجمعية الزراعية بالقرية ٠

ولذلك اضطر الاهالى للجوء الى تقليل الحيازات المزروعة فى كل دورة زراعية وهو ما يعرف بـ (تبوير الارض) من أجل تحقيق نوع من التوازن بين ما هو متاح من المياه للرى وبين نسبة العائد من المحصول المزروع . ولهـذا لجـأ الحـائزون الى قصر زراعتـه لفدان أو اثنين من المحاصيل التقليدية ، وأخذوا يبحثون عن محاصيل ذات عائد نقدى مرتفع . ومن هنا ادخلت قرية أباظة الزيتون(1) باعتباره من المحاصيل الأكثر قدرة على تحمل نقص المياه ، الى جانب أنه أقل المحاصيل حاجة للعمالة ولارتفاع قيمته من جهة أخرى .

٤ ـ النشاط التجـارى :

يمثل النشاط التجارى فى بيع الخضروات (الطماطم والبصل) والفاكهة (البطيخ) والزيتون،الى جانب المحاصيل النقدية الأخرى(السمسم واللب الأسود) ، والمحاصيل التقليدية (القمح والشعير) الى جانب بيع الطيور والدواجن . ويتسم هذا النشاط بمشاركة النساء بنصيب لا يستهان به من خلال بيعهن للمنتجات الحيوانية (الجبن والزبد والبيض) ـ والطيـور والدواجن .

٥ ـ النسق القرابى فى القرية :

تشكل العائلة الممتدة (البدنة) الوحدة الاساسية للنسق القرابى فى قرية أباظة ، وقد أسلفنا القـول بأن قرية أباظة تتكون من قسـمين (عزبتين) متقاربتين ايكولوجيا ، بمعنى آخر يفصل بينهما اداريا حارة لا يتجـاوز عرضها ١ ـ ١½ متر ، وأن ذلك كفيل بأن يجعل كل منطقة ايكولوجيـة (عزبة) تجمعا قرابيا يتضمن عددا من العائلات الممتدة المعـروفة . من حيث الأصل والجد المؤسس على مستوى القرية . وأهم هذه العائلات : عائلة الحواشى ـ أبو هيف ـ أبوخليل ، غطاس ، العواجيز ، والى ، أبو مشرفة ، الحداد ، الجمهودو ، الراعى .

---

(١) بدأت القرية زراعة الزيتون منذ عام ١٩٧٠ .

وترجع الجذور السلالية لهذه العائلات الى الأصول القبلية التى ترجع الى قبائل سمالوت والحرابى والقـزازفة والعواجير والجوابيص والفواير القادمين من ليبيا فى صور هجرات متتالية وعلى وجه التحديد مع أوائل العشرينات ٠ وكان آخر هذه الهجرات أثناء الحرب العالمية الأولى ، وقد توزعت تلك القبائل الليبية على ربوع الاقليم المصرى فكان لمحافظة الفيوم نصيب ، ومن جهـة أخرى جاءت بيانات الدراسة الميدانيـة على وجود سكان بدو فى محافظة الفيوم ، وهو ما يتفق مع البيـانات التاريخية بأن سكان اقليم الفيوم ينقسمون الى نوعين هما :

النوع الأول :

يعرفون ببدو المشارقة ، وهم القبائل العربية القادمة من جهة الشرق أى من شبه الجزيرة العربية أيام الحركة الوهابية ٠

النوع الثانى :

يعـرفون ببدو المغـاربة وهم أفراد الهجـرات التى يرجع انتماؤها السلالى الى القبائل القادمة من ليبيا ، وهم يتركزون الآن فى كثـير من قرى مركز أطسـا وطامية وابشواى(١) ٠ وبناء على ما تقدم فقد جاءت نتائج الدراسة الميدانية تشير الى أن دولة ليبيا تتصدر قائمة الدول المفضل الهجرة اليها بين أبناء هذه القرية ، ويرجع ذلك فى المقـام الأول ـ كما ورد بأقوال أهل القرية وأكدته أقوال الاخباريين ـ لوجود صـلات قرابة اتجهت اليها تيارات المهاجرين معتمـدين عليهم فى توفير فرص العمـل وتوفير أجر الاقامة فى الايام الاولى من وصولهم الى ليبيـا ، الى جانب قرب الطريق البرى الموصل الى ليبيا (وادى الريان بالسير بالجمال) ٠

---

(١) عبد الله خورشيد البرى ، مدخل هجرات العرب وصلاتهم القديمة بمصر ، القبائل العربية بمصر ، فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٠ ٠

وبناء على ذلك يرجع تاريخ هجرة أبناء محافظة الفيوم بصفة عامة ، ومجتمع قرية أباظة بصفة خاصة الى عام ١٩٥٥ ، واستمرت حتى توترت العلاقات بين مصر وليبيا ، بعدها توجه تيار الهجرة الى الدول العربية الأخرى : العراق/السعودية/الكويت .

٦ ـ الخـدمات :

(أ) الخدمات التعليمية :

تتمتع قرية أباظة بالخدمة التعليمية المتمثلة فى وجود عدد من المدارس فى المراحل التالية :

عدد ١ مدرسة ابتدائية تم انشاؤها عام ١٩٦٠

عدد ١ مدرسة اعدادية تحت الانشاء .

(ب) الخدمة الطبية :

يوجد بالقرية وحدة صحية تم انشاؤها عام ١٩٦٥ تقوم بتقديم الخدمات الطبية لمواطنى القرية من حيث تسجيل المواليد ، الى جانب اجراء التطعيم فى الحملات الصحية للأهالى ولتلاميذ المدارس ، واسعاف حالات الاصابات الخفيفة والمتوسطة . أما الحالات الصعبة فتحول الى المستشفى المركزى .

(جـ) الخدمات الاجتماعية :

يوجد بالقرية العديد من الخدمات الاجتماعية منها :

الخدمة الزراعية :

يوجد بالقرية جمعية تعاونية زراعية وجمعية الائتمان الزراعى ، وبنك التسليف الزراعى ، وتتضافر هذه الجمعيات فى تقديم الخدمات اللازمة للنشاط الزراعى ، من حيث توليها تسجيل أسماء أصحاب الحيازات وتنظيم الدورة الزراعية والاشراف على تنفيذها ومعاقبة

المخالفين لها ، وتوزيع الاسمدة والتقاوى اللازمة للزراعة وصرف السلف اللازمة عند زراعة كل محصول .

(د) الخدمات والمرافق :

توجد بقرية أباظة مياه الشرب النقية والكهرباء التى يرجع تاريخ دخولها القرية الى عام ١٩٨٤ . ومن الملاحظ أن نسبة من المنازل الخاصة بذوى المستويات الاقتصادية العليا يتمتعون بخدمة المياه النقية داخل المنازل ، أما باقى عائلات القرية فمازالوا يستخدمون مياه الترعة فى قضاء جميع حاجاتهم (الاستحمام وغسل الملابس والاوانى) . وعموما فان القرية تعتمد على مصدر مائى واحد هو فرع من بحر البنات المتفرع من بحر يوسف . أما الكهرباء فمعظم منازل القرية تضاء بالكهرباء ، بالاضافة الى اضاءة معظم الدروب . وترتب على ذلك انتشار الاجهزة الكهربائية المنزلية (الثلاجات ـ المسجلات) كأحد صور العائد الايجابى للهجرة .

(هـ) الخدمات الاستهلاكية والتموينية :

تتمتع القرية بالخدمة التموينية متمثلة فى وجود جمعيتين تعاونيتين تقومان بتوزيع السلع التموينية على الاهالى بموجب البطاقة التموينية (السكر ، الشاى ، الزيت ، الدقيق ، الأرز ، الصابون) .

ومن نتائج الدراسة الميدانية لاحظنا أنه بالرغم من أن صناعة الخبز تعتبر من الصناعات المنزلية للمرأة الريفية ، الا أن هناك أمورا استجدت فى القرية جعلت هذه الصناعة عسيرة بالنسبة للغالبية العظمى لعائلات القرية ، واقتصر الامر على بعض الاسر أصحاب الحيازات الكبيرة ، بينما اتجه غالبية أهالى القرية للاعتماد على شراء الخبز من المخابز فى المركز ويرجع ذلك الى :

١ ـ قلة الحيازة المزروعة قمح على مستوى القرية ، واتجاه الاهالى الى زراعة المحاصيل النقدية (الزيتون ، السمسم ، البصل ، الطماطم) .

٢ ـ نقص كمية مياه الرى ، مما يؤدى الى احراق كثير من المحاصيل

مثل القمح بسبب احتياجها الى كميات كبيرة من المياه ، مما جعل الكثير من الاهالى يقـومون بتبوير الجزء الأكبر من الحيـازة وقصر زراعتهم على فدان أو اثنين لضمان نجاح الزراعة ٠

٣ ـ صعوبة حصول الاسرة على الدقيق الا من خلال البطاقة التموينية الى جانب قلة حصة الاسرة من هذا الدقيق ٠

المواصلات : تتصل القرية بالقرى المجاورة لها وبالمركز التابعة له من خلال سيارات نقل الركاب بالنفر ٠

الخدمات الدينية : يوجد بالقرية مسجدان ٠

٧ ـ علاقة القرية بالمجتمع الخارجى :

تعتـبر قرية اباظة من أكبر القـرى التابعة للمجلس المحلى ٠ ومن الملفت للانتباه أن قرية أباظة تتميز مثل غيرها من قرى الجمهورية بزيادة معدل النمو السكانى الذى لا يتوازى مع حجم الحيازة الزراعية من جهة ، وحجم الحيازة المزروعة فعلا نظرا لما تعانيه القرية من نقص المياه اللازمة للرى وقد أدى هذا الى جعل حوالى أكثر من ٥٠٪ من الحيازات الزراعية فى حالة بوار مفتعل بواسطة الأهالى من أجل توفير المياه اللازمة لزراعة فدان أو اثنين من حيازة كل مالك فى القرية ، وهكذا أصبح هذا الاختلال فى ارتفاع معدل نمو السكان ونقص الحيازة المزروعة من القرية مصدرا لتوريد القوة العاملة للقرى المحيطة بها للعمل فى مواسم الحصاد وجمع المحصول ثم يعودون للقرية ثانية ٠ ومنذ عام ١٩٥٥ بدأ شباب قرية أباظة الهجرة بحثا عن مجالات للعمل فى ليبيا أو فى المدن الكبرى (القاهرة ، الاسكندرية ، مدن القناة ، المدن الجديدة) حيث المشروعات الانشائية والمصانع ، أو السـفر الى الدول العربية (العراق ـ السعودية ـ الكويت) ٠

أما فى مجال التجارة فلم يقتصر بيع منتجات قرية أباظة من الطيور والمنتجات الحيوانية على السوق المحلى بالقرية الذى يقـام كل يوم أحد من كل أسبوع ، بل يذهب المشتغلون بالنشاط التجارى من الذكور والاناث

الى أسواق القرى الأخرى المحيطة بها مثل قرية قوتة والخرابة . ولا تعتبر علاقة سكان قرية أباظة بمدينة الفيوم قاصرة على أنها عاصمة المحافظة ، بل يمتد الى مجال الصحة اذ تلجأ جميع الحالات الصحية الصعبة للعلاج بالمستشفى العام ، ويمتد أيضا الى مجال التعليم حيث يذهب بعض أبناء القرية الى مدينة الفيوم لاستكمال دراستهم .

٨ ـ الهجرة بقرية أباظة :

تفاعلت مجموعة من العوامل الداخلية بالقرية كضيق الملكيات وندرة مياه الري والكثافة السكانية العالية الى اتجاه الكثير من أبناء القرية الى العمل بالمهن المختلفة داخل المجتمع المصرى ، وقد حدث ذلك بالتحديد منذ أواخر الستينات . وعندما فتحت أبواب العمل فى دول البترول توجهت العمالة التى كانت تفرزها القرية صوب البلاد العربية وتجاوزت بذلك هجرتها حدود المجتمع المصرى . ثم شهدت حلقة السبعينات هجرة الكثير من المصريين فى مجال الزراعة الى العراق والاردن والسعودية ، وذلك بعد أن زاد معدل الهجرة وحجمها بالمجتمع المصرى .

وبرغم عدم وجود حصر لعدد المهاجرين بالقرية ـ الا أن التقديرات المبدئية للمهاجرين من قرية أباظة يصل الى حوالى ٣٠٠ مهاجر من اجمالى عدد سكان القرية البالغ ٤ آلاف نسمة ـ وهذا رقم يعد كبيرا بالنسبة لسكانها ، كما أدت الهجرة الى ظهور الكثير من المهن التى لم تكن تعرفها القرية من قبل ، حيث يسافر العامل الزراعى الى احدى الدول العربية ويلتحق بأى عمل فنى وفقا لحاجة الطلب على العمالة . ويتعلم هذا العمل الفنى كأن يصبح نقاشا أو نجارا أو كهربائيا ، وعندما يعود من هجرته يكون قد تهيأ لأن يعمل بمهنته التى تعلمها تاركا بذلك الزراعة التى كان يعمل بها قبل الهجرة .

●★●

خامسا : الهجرة وآثارها على البناء الأسرى تحليل ميدانى

تناولنا فى بداية هذه الدراسة ظاهرة الهجرة الريفية بشكل عام

ودوافعها وآثارها بالريف المصرى باعتباره وعاء أكثر اتساعا يعكس ملامح التفاعل بين الظاهرة وبعض التغييرات الاجتماعية ٠ ونفرد هذا الجزء للتركيز على بعض الآثار التى أحدثتها الهجرة على وحدات المعيشة بالمستويات الطبقية الدنيا كما أظهرتها الدراسة المتعمقة ٠

١ ـ أسر المستوى الطبقى الأدنى تتخلى عن أدوارها التقليدية :

وضح من الدراسة المتعمقة أن الهجرة فى مجتمع البحث ، كانت أكثر انتشارا بين الذكور من الأسر بالمستويات الطبقية الدنيا ، وهى أسر ذات ملكيات محدودة أو معدمة كما تميزت بكبر حجمها ٠ وقد عمل الازواج بها لفترات طويلة(*) كاجراء لدى أصحاب الملكيات الزراعية،ومن الملاحظ أن هذه العمالة قد أحدثت بهجرتها الكثير من الاختلالات الهيكلية فى قوة العمل ، اذ قل المعروض منها واستمر الطلب فى زيادته المضطربة ، وفى غضون هذا الموقف تجاوزت مؤثرات الهجرة حدود الموقف الاقتصادى المتمثل فى عرض العمل والطلب عليه ، لتترك بصماتها فى شتى جوانب الحياة الاجتماعية الأخرى ، فقد وظفت أجزاء كبيرة من تحويلات المهاجرين لتمويل احتياجات أسرهم الكائنة فى الموطن الاصلى ، والتى تشكلت فى ضوء التغيرات الاجتماعية بالمجتمع الكبير وأصبحت تمثل تطلعات اجتماعية فى سياق هذا الموقف الجديد بالنسبة للمهاجر وأسرته وبالأحرى باتت فى تناول قدرته الشرائية بعد أن كانت تمثل تطلعا عزيز المنال لفترات طويلة قبل السفر ٠ كما أنها أسهمت فى تخلى أسر هذا المستوى الطبقى عن أدوارها ، فقد تميزت هذه الاسر خلال المراحل السابقة على مرحلة الهجرة بقدراتها العالية على اعادة انتاج ذاتها ، فالأبناء والزوج والزوجة يصبح شغلهم الشاغل دعم الاسرة اقتصاديا من خلال الجهود المتنوعة التى يقومون بها سواء بالعمل المأجور خارج نطاق

(*) حيث كانت من مؤشرات اختيار الاسر للدراسة المتعمقة أن يكون المهاجر قد أمضى ثلاث سنوات متصلة وذلك لامكان كشف الآثار التى تركتها الهجرة الطويلة على الاسرة ٠

الوحدة المعيشية أو من خلال الجهود المتنوعة التى تبذل فى حيز الوحدة المعيشية من قبل الزوجات فى بعض الصناعات البيئية أو تسويق بعض منتجات الحقل من الخضروات التى تزرعها الاسرة فى القراريط المحدودة أو من خلال تربية الطيور وبيعها .

ومن الملاحظ أن معظم الاسر قد أقلعت فيها الزوجات عن القيام بهذه الادوار كما قلت مشاركة الابناء فى الاعمال المأجورة التى كانت تؤدى خلال فترة الاجازة الصيفية . وفى كافة الاحوال أقلع الازواج بعد عودتهم عن القيام بالأعمال التى كانوا يؤدونها ، نظرا لتدنى دخولها بالقياس الى الجهد المبذول فيها مقارنة بالأجر ، فكان الازواج يعاودون الهجرة مرة ثانية بعد نفاذ المدخرات التى أتوا بها من الخارج .

وعلى الجانب الآخر فقد انهارت قيم الانتاج التقليدى التى ظلت سائدة والتى دعمت الاقتصاد المعيشى لفترات طويلة حيث كانت الغالبية العظمى من الاسر تنتج الجزء الأكبر من احتياجاتها لتصبح فى غضون التغيرات التى أحدثتها الهجرة من الاسر التى تعتمد فى حاجاتها المعيشية على السوق بعد أن توفر لدى أفرادها القوى الشرائية ، وتعالت فى هذا السياق الاصوات التى تتهم القرية بعجزها عن انتاج احتياجاتها واعتمادها على أسواق المدينة فى سد احتياجاتها ، أو على منافذ الدولة التى انشئت لهذا الغرض بالقرية أو المدينة .

٢ ـ المدة التى يقضيها المهاجر فى الخارج :

أكدت الدراسة المتعمقة للأسر العشر أن غالبية الازواج قد قضوا فترات طويلة ومتصلة دون أن يتخلل ذلك أجازات . وهو أمر طبيعى ، حيث أن الطريقة التى يهاجر بها الازواج من هذا المستوى الطبقى تتم بشكل غير منظم ، كما أن معظمهم لا يتعاقدون على مبالغ محددة قبل السفر أو على عمل محدد ، ولكن الأمر يتم من خلال السفر أولا واللحاق بأحد الاقارب الذى يساعد فى الالتحاق بعمل من الاعمال البسيطة ذات الدخل المحدود ، وكثيرا ما يظل عدة أشهر بلا عمل ، لذا نجد أن

السنوات الثلاثة الاولى توجه الى سداد الديون التى تركها قبل السفر أو أثناءه حتى يتحقق له الاستقرار ، وفى كل الحالات عاود الأزواج الهجرة مرة ثانية وقضوا فيها عدة سنوات أخرى بهدف تحقيق التوازن ، واذا قضى الزوج مدتين كل مدة منهما ثلاث سنوات تصبح مدة هجرته عن قريته ستة سنوات يتحقق له فيها الانفصال عن مجتمع القرية حيث يعود غريبا عليه ، كما يتعفف أداء بعض أدواره التى كان يؤديها من قبل ، أضف الى ذلك أن طول هذه المدة تحدث تغيرات داخل الاسرة بين الابناء من حيث مراحل النمو ٠

٣ ـ اختلال الأدوار داخل الأسرة :

لوحظ أن سفر الازواج لهذه الفترة المتصلة يحدث اختلالات داخل الادوار بالأسرة ، حيث تضطلع الزوجات بأدوار التنشئة الاجتماعية لأبناء فى مراحل عمرية مختلفة وهو دور لم تعد الزوجات له ، اذ أن المعايير الثقافية فى صياغتها للأدوار تجعل من الأب أحد رموز المكانة والسلطة ، كما تجعله ينفرد بها دون الاناث ٠الا أن غياب الزوج يجعل الزوجة مضطرة لمواجهة مشكلات الابناء والاتصال بمؤسسات التعليم ، واتخاذ القرارات اليومية فى مجال المأكل والملبس والعلاج ٠ وعند عودة الزوج يكشف انحسار دوره فى حيز محدود هو ارسال النقود ، كما يكتشف كثافة دور الزوجة واتساع نطاقه ، وكثيرا ما كان يسبب ذلك توترا فى العلاقات خلال فترة الاجازة التى يقضيها الزوج ، كما لوحظ تخبط الزوجات فى تنشئة الابناء ، فمنهن من كن يلتزمن بالشدة فى معاملتهم من خلال احساسهن بثقل المهمة وما يشعرن به من ضعف وكثرة الضغوط الاجتماعية ، والخوف من لوم الزوج والاقارب ، ومنهن من كن يستخدمن اللين فى المعاملة ٠ وفى الحالتين ظهرت حالات للشقاق والخلافات بين الأم والابناء نتيجة لعدم اقتناع الابناء بدور الأم فى هذا الصدد ٠ وكثيرا ما تخطى الابناء حدود العلاقات فى تعاملهم مع الأم أثناء سفر الأب ٠ كما ساهم بعض الآباء والامهات ، من خلال التهاون فى تربية الابناء ، وفى توجيههم ، فى حدوث بعض الانحرافات ٠ يضاف الى ذلك اعتراض بعض الازواج على أسلوب الزوجات فى الانفاق واتهامهن بالاسراف وعدم تقدير المسئولية بسبب عدم وعيهن بما تحمله

الزوج من مشقة فى الحصول على هذا المال . كما ادى تدخل الاقارب فى شئون الاسر التى سافر فيها الزوج الى حدوث بعض الخلافات بين الاقارب وأفراد أسرة المهاجر .

٤ ـ عائد الهجـــرة :

من المؤكد أن الهجرة قد أحدثت رواجا ماديا بين الاسر الريفية التى هاجر أفراد منهـا ، فقد تغيرت حالة الفقر التى كانت تعـانى منها هذه الاسر وتدفقت تحويلات الهجرة على القرية المصرية لتغير من وجههـا ، فانتشرت المحلات بين أرجائها وتنوعت المهن فى غير مجال الزراعة التى ظلت تميز الاقتصاد القروى عبر قرون طويلة . وظهرت أنشطة اقتصادية أخرى فى مجال الزراعة . وبرغم أن الجـزء الأكبر من عائد الهجـرة قد تحول الى أنشطة استهلاكية لتغير من أنماط الاستهلاك الريفى ، الا أن ذلك ما كان ليحدث لولا ظروف الحرمان التى عاشتها بعض الفئات التى شكلت مصـدرا هاما للهجـرة وبالتحـديد فقراء القـرية المصرية . فهذه الحـاجات الاسـتهلاكية ظلت تمثل تطلعات لهؤلاء الفقـراء فى انتظـار التحقق . ووجدت فى عائد الهجرة مخرجات من ذلك الحـرمان . وما كانت لتحدث أيضا بهذه الحدة لو أن الدولة حرصت من خلال مؤسساتها على جذب هذه المدخرات واغرائهـا واستثمارها وتوظيفها فى مجـالات تنموية اقتصادية واجتماعية .

بيد أن التحليل يجب أن يتجاوز هذه المؤشرات التى وسمت القرية المصريةلينتقل الى الوعاء الأكثر تحديدا بداخلها وهو الاسرة، التىعلىالرغم مما تحقق لها من هذا الرواج،الا أنها لم تسلم منآثاره السلبية ، فقد تحمل وزر هذا الموقف بعض الافراد فىالاسرة أكثر من غيرهم . حيث أظهـرت الدراسة المتعمقة بمجتمع البحث بين أسر المستوى الطبقى الادنى تحمل الزوجات الكثير من الآثار النفسية السيئة وأصبهن بحالة من القلق . وزادت معدلات التخلف الدراسى بين الابناءفىظل غيبة الرقابة الابوية،وفىظل تغير نمط الحياة واقتناء وسائل الاعلان كالتليفزيون والفيـديو والمسجلات ،

وصار البيت فى ظل هذه الظروف أشبه بالمنتـدى أو المقهى الذى يتردد عليه أصدقاء الابناء من كل الاعمار ، ونشـأت فى هذا الجو الكثـير من الانحرافات التى لم تعهدها القرية من قبل .

ويمكن تحديد أوجه الانفاق لعائد الهجـرة داخل الاسر التى أجريت عليها الدراسة المتعمقة فيما يلى :

- اقتناء أجهزة كهربائية .
- شراء ملابس وهدايا .
- سداد ديون قديمة قبل السفر ومبالغ تم استدانتها للاعداد للسفر .
- بناء مسكن جديد .
- ترميم مسكن قديم .
- شراء أرض زراعية .
- اجراء تعديلات فى المسكن .
- شراء مصوغات وحلى من الذهب .

ومن الواضح أن الهجـرة أحدثت الكثير من الآثار الايجابية والسلبية التى تحتاج الى المزيد من البحث والدراسة للكشف عنهافى السياق الاجتماعى والتـاريخى للمجتمع المصرى الذى شـهد تغـيرات بنائيـة خلال حقبة السبعينات ، التى واكبت الهجـرة ، وحتى فترة الثمانينات ، وسـوف يستمر تاثير الهجرة العـائدة على المجتمع المصرى لما سـوف تحدثه من مشكلات العودة واستقرار فى العمل ، وهو أمر يتطلب الاعداد من قبـل الدولة لتجنب الآثار السلبية المترتبة على عودة هؤلاء المهاجرين .



الملحــق

حالات الدراســة المتعمقــة

الحــالة الأولى

أم ترحل وتترك أبنـــــاءها

خصــائص الأسرة :

هذه الحالة هى لأسرة يبلغ الزوج فيها سن الاربعين من عمره وتقترب الأم من هذه السن ، ولم يحصلا الا على النذر اليسير من التعليم ٠ فالأب قد انخرط فى العمل بعد حصوله على الاعدادية ، والأم تجيـد القـراءة والكتابة ولهما ابنة بالتعليم فى المرحلة الاعدادية وابن بالمرحلة الابتدائية وطفلين أقل من سن التعليم أى دون السادسة ٠ وقد عمل الأب نجارا منذ صباه واستمر فى هذه المهنة ، أما الأم فكانت تعاونه فى أعباء الحياة من خلال الاعمال الخدمية التى كانت تؤديها فى بعض المدارس أو الحضانات٠

دوافع الهجرة وملابساتها :

شعر الزوج أن العائد الذى يحصل عليه من العمل هو عائد محدود ، فراودته فكرة السفر الى ليبيا وذلك عقب زواجه مباشرة ، وكان ذلك فى حوالى عام ١٩٧٥ ٠ وفى هذه المرة اصطحب الزوج زوجته معه ، ولم يكن قد مضى على زواجهمـا الا أشهر معدودة ، وقضيا فى ليبيا أربع سنوات رزقا خلالهما بالابنة الكبرى فى المهجر ، ودفعهم الحنين الى العودة الى مصر ، وبالفعل عادا محملين بالأجهزة الكهربائية والهدايا والملابس ٠

الزوج العائد يتعفف عن العمل :

صعب عـلى الزوج أن يؤدى العمـل الذى كان يؤديه قبل السفر ، فالفرق المادى كبــير بين عائد الجهد الذى يبذل هنا والجهد الذى كان يبذله هناك وأصر على موقفه رغم محاولةالزوجة اقناعه بضرورةالقيام بأى

عمل ، واستمر على هذا الحال لمدة سنة استنفذ فيها كل مدخرات الاسرة التى عادت بها من ليبيا · ووصل به الأمر الى بيع الأجهزة الكهربائية حتى يتمكن من مواجهة الحياة وأعبائها فى ظل تعففه عن العمل · وتوترت العلاقات بينه وبين زوجته التى طالبته مرارا بالعمل · وقرر السفر الى ليبيا ، وشد رحال الأسرة مرة ثانية لتقضى الاسرة ثلاث سنوات أخرى ترزق فيها بالابن الثانى ، وتقرر الاسرة بعد هذه المدة العودة الى مسقط رأسها ·

أمومة تفتقد فى سنوات الهجرة :

عادت الأسرة الى مصر لتقضى بعض الوقت ، ولم يفكر الزوج فى العمل هذه المرة أيضا · وزاد حجم الاسرة عندما رزقت فى هذه الاثناء بالابن الرابع ،وضاقت الأم باضراب الأب عن العمل،وقلقت منذلك المصير الذى ينتظر الاسرة اذا ما استمر الزوج على هذا الحال ، فدفعها حرصها الى البحث عن عمل فى احدى الدول العربية وتحقق لها ذلك فغادرت الاسرة وبينهم وليد يحبو فى سنواته الاولى · وتصورت من خلال معاناتها المادية أن مجرد توفير العائد المادى سوف يحقق الاستقرار لأبنائها ·

اختلال الأدوار داخل الأسرة :

سافرت الزوجة لتصبح مصدر الدخل الوحيد للأسرة ،وضعفت قدرة الزوج على منعها من السفر ، وكيف يتحقق له ذلك وهو لا يعمل وليس له دخل ثابت ، ونفذت مدخراته عن آخرها · وتركت الزوجة بسفرها ذلك الزوج ليقوم برعاية الابناء ، وهو أمر لم يتعود عليه · فاستعان بالجيران والاقارب للوفاء باحتياجاتهم ، ويقول الزوج «أصبح سرنا مكشوف على كل الناس» · فالبيت لم يعد بيتا بما يحمله من معانى الخصوصية ، بل أصبح أشبه بمكان عام يتردد عليه الاقارب والجيران للمساعدة ، وعبء الابناء الاربعة يفوق طاقة الزوج الذى لم يدرب على أدائه ، وتغيرت الأمور أمام الزوج الذى كان يهرب من المنزل تاركا هذه الهموم لبعض الأقارب ، وكان يعود ليبحث عن الأبناء ويجمعهم من

أماكن متفرقة ، وعاش الأبناء مهملين ، وبدون رعاية وأدى ذلك الى وقوع حادث لأحد الابنــاء حيث دهمته سيارة وترتب على ذلك فقــدانه لأحد ذراعيه ٠

ثمن الغـــــربة :

وحاول الزوج الذى لا يؤدى دوره والذى تعطل عن العمل أن يقنع زوجته بالعدول عن السفر فى كل أجازة ، الا أنها كانت تصر على العودة٠ وهدد الزوج زوجته بالزواج بزوجة أخرى اذا ظلت فى عنادها ٠ ولكن كثرة أطفاله ودخله المحدود واعتماده عليها وقف حائلا أمام اقدامه على هذا السلوك أو فى تنفيذ هذا القرار ٠ وعادت الأم بعد السنوات الأربع لتجد أن الابناء الكبار قد تعثروا فى تعليمهم وتكررت مرات رسوبهم ٠ فرعاية الأب وحدها لا تكفى ٠ كما لم يتعرف عليها أبناها الصغيران اللذين تركتهما صغارا ٠

عـــــائد الهجـــرة :

لم تثمر هجرة الزوج ٠ أو زوجته بالنسبة لهذه الاسرة ٠ وكل ماحدث أن اقتنت بعض الادوات الكهربائية وبعض الحلى التى كانت تحتفظ بها الزوجة وتقدم على بيعها عندما تقع الاسرة فى ضائقة مالية ٠٠ أما الأب فقد ترك العمل وأخفق الابناء فى التعليم وعاش للاسرة ابن بذراع واحدة نتيجة للاهمال وتركه فى الشارع بدون رعاية ٠ ولم تحقق هذه الاسرة أية استثمارات أو أرصدة يمكن أن تعينها على الاستمرار بعــد عودتها من الهجـــرة ٠

●★●

الحـــالة الثانية

قيــم جديدة تسللت الى الأسرة

هذه الحالة هى لأسرة مكونة من ثمانية أفراد ، اقترب الأب من سن الخمسين والأم فى الاربعين ، ولهمــا ثلاثة أبناء من الذكــور وثلاث من

الاناث . أكبر الابناء سنا ابنة فى حوالى العشرين من عمرها ، وأصغرهم بنت عمرها ثلاث سنوات . وليس للاسرة دخل ثابت وتقيم فى بيت ريفى تمتلكه ، كما تملك الاسرة عددا من القراريط المحدودة يقل عن نصف فدان . ويعمـل الأب معظم أيام السنة لدى أفراد القـرية حتى يستطيع الوفاء باحتياجات هذا العدد الكبير من الافراد ، وتؤدى الأم العديد من الادوار الاقتصادية محاولة بذلك الاسهام فى دخل الاسرة ، فتربى الدواجن وتصنع الحصر وتبيعها وتساعد زوجها فى أعباء الاسرة .

دوافع الهجرة وملابساتها :

تطلع الأب الى تحقيق الاستقرار المادى المفقود لهـذه الاسرة ذات العدد الكبير . وكما يقول فانه يود لو يقى هؤلاء الابناء من غائلة الفقر والحرمان الذى عانى منه . فالابناء يكبرون والحياة تزداد صعوبة فى مصر والتوازن مفقود ما بين الدخل والاحتياجات الاساسية للحياة . وكلما شعر بآثار الأزمة الاقتصادية كلما ألحت عليه فكرة السفر . وأخيرا قرر الرحيل الى ليبيا مع رفيق له من نفس البلدة . ولم يتحقق له الاستقرار الا بعد عدة شهور وانقطع فترة تربو على السنوات الثلاث .

بعض الآثار التى ترتبت على السفر :

عاد الأب واستقبلته الاسرة مستبشرة ، حيث جاء محملا بالهـدايا والأجهزة الكهربائية وبالجديد وأغـدق على الأم والابنـاء ليقضى بضعة أسابيع فى اجازة ثم يعود الى السفر ، انشغلت بعـدها الاسرة فى أمور كثيرة ، فالابناء لم تعد تشغلهم الدراسة ، والأم لم تعـد تهتم بما كانت تؤديه من أدوار اقتصادية داخل المنزل . فتركت صناعة الحصر التى كانت تدر عليها دخلا وتشغل وقتها . ويتردد على البيت فى صحبة الابناء الكثير من الاصدقاء للمشاركة فى مشاهدة التليفزيون ، ونشأت علاقة بين البنت الكبرى وواحد من الشباب الذى يتردد على البيت ، وتطورت العلاقة فى غفلة من الأم وظهرت آثارها على البنت التى حملت فى شهورها الاولى . وضاقت الأم بالحياة ، وفكرت كيف تواجه زوجها عند حضوره من السفر

فتخلصت ابنتها من الجنين وطلبت من الشاب أن يتقدم للفتاة ليتزوجها ٠ ولكنه كان مازال طالبا فى التعليم ، فرفضه الأب الذى لا يعلم هذه الامور٠ ولم يهدأ بال الأم التى حاولت اقناع الأب بقبول هذا الزوج لابنته ليعيش معهم كابن سـابع لهم ٠ ولكن الزوج أبى فيكفيه ما يحيش فيه وظهـرت الخلافات بينهما ٠ أما الابناء فقد تعثر بعضهم فى التعليم وانصرفوا عنه فى النهـاية ٠

ثمار الهجرة تدنو قطوفها ثم تبتعد :

حاولت الاسرة اقناع الأب بالبقاء والعزوف عن السفر بعد ما آلت اليه الاسرة من سوء فى أحوالها وفى علاقاتها ، ولكن الأب أصر على السفر لمدة أخرى حتى يخصصها لاعادة بناء البيت الذى يسكنون فيه ٠ ولم يعرف حتى هذه اللحظة بما حدث لابنته ، اذ أن السفر فى المرات السابقة قد أنفق عن آخره على احتياجات البيت واقتناء بعض الاشياء غير الضرورية٠ وبالفعل سافر الزوج قضى عدة سنوات عاد بعدها يعيـد انشاء البيت ، ولكنه مات قبل أن يجنى الثمرة الايجابية الوحيدة من هجرته ٠

عـائد الهجـرة :

رحل الأب بعد أن أفنى كل أيامه فى محاولة لاسعاد هذه الاسرة من خلال ما سيوفره لهم من مال ، ولكنها فقدت الكثير من استقرارها وهدوئها ومزقت أوصالها ٠ واذا كانت الاسرة أعادت انشاء البيت واقتنت بعض الأجهزة الكهربائية ، فانها قد فقدت الكثير فى مقابل ذلك ٠

●★●

الحـالة الثالثـة

أبنـاء فقـدوا فى طـريق الهجـرة

هذه الحالة هى لأسرة ريفية تتكون من أحد عشر فردا ، يقرب عمر الأب فيها من منتصف العقد الرابع ، والأم تبلغ حـوالى ٢٧ سنة ولهما سبعة من الابناء : خمس من الاناث واثنان من الذكور ، أكبر الابناء سنا

عمره ١٩ سنة وأصغرهم سنتان ، بعض هؤلاء الابناء فى التعليم وبشكل خاص أولئك الذين فى منتصف الترتيب . أما الكبار فقد انقطعوا عن الدراسة لمواجهة أعباء الحياة مع ذلك الأب الكادح الذى لم يحصل من التعليم الا على قسط محدود . فهو يعرف القراءة والكتابة ، أما الأم فلا تعرفها . وتمتلك الاسرة فدانا واحدا وتقيم فى بيت ريفى مع والد الزوج ووالدته ، وتستأجر بعض القراريط الاخرى لكى تتمكن من مواجهة احتياج الاسرة من الحبوب على مدار السنة . ويقول الأب : ان الحياة كانت تسير بشكل منتظم والارض زى ماتديها تديلك وتفيض بخيرها عليك . هكذا علمنا الاباء .

الهجرة وملابساتها :

امتلأت حياة هذه الاسرة بالجهد والكفاح من الاب والام والابناء ، حيث حاول كل منهم أن يدلى بقطرات من العرق فى دلو الاسرة حتى تسير الحياة وتستمر . الا أن الخلافات كانت تدب بين الزوجة والحماة بين الحين والآخر ، وذلك بسبب انجابها لخمسة بنات وولدين فقط . وكانت دائمة التهديد لها بأنه لتعويض ذلك النقص فى عدد الذكور فلابد لزوجها من أن يتزوج بأخرى . وأفقدت هذه الهواجس الاسرة استقرارها ، والحت الزوجة على زوجها بالبحث عن بيت آخر لتعيش فيه بعيدا عن الحماة التى لا تكف عن اهانتها . وفكر الزوج فى حل لهذه المشكلة وكان السفر للعمل بالخارج هو المخرج . وكانت هجرته الى العراق برفقة أحد أبناء القرية . وانتظم فى ارسال النقود الى الأم بعد أن قضى بضعة أشهر يحاول الاستقرار . واستمر الحال كذلك لمدة ثلاث سنوات متصلة ، واستطاعت الأم أن تدخر مما يرسل اليها من نقود وتبحث عن سكن جديد وتنفصل عن والد الزوج وحماتها بالرغم من اصرارهم على بقائها معهما . وعندما أرسلت الحماة الى ابنها المسافر للحضور لحسم ذلك الامر اعتذر بعدم قدرته على المجىء ، ونجحت الزوجة فى الانفصال بأبنائها ووضع حد لعذابها مع حماتها .

اختــــلال الأدوار :

ولكنها خرجت من هذه التجربة قوية ومتسلطة ، وانعكس ذلك على علاقاتها بابنائها الذين رأوا فيها نموذجا لتلك الأم المسيطرة والمتشددة، وتقول الأم : «الزن على الودان أمر من السحر» . حيث قالت الحمــاة ووالد الزوج ان هؤلاء الابناء سوف يفسدون اذا عاشوا مع الأم . وفى أول عودة للزوج بعد ثلاث سنوات أغدق على ابنائه العطاء المادى والنفسى، حيث استمر فى أجازة لمدة شهرين كان يدلل فيهما الابناء ويغدق عليهم النقود ، وشعر الابناء ـ كما يقولون «كان ينفع يكون هو أمنا وهى أبونا، لانها طول النهار تزعق وتشخط فينا» . وبعد الشهرين سافر الأب لتعود الحياة الى طبيعتها مع هذه الأم الحريصــة والقلقة على أبنائها والتى تقسوا عليهم ولا تعطى لهم من النقود ما كان يقدمه لهم الأب .

انحــــراف الأبنــــاء :

بدأ الابن الاكبر يتمرد على سلطة الأم ويطالبها بمصروف يماثل ذلك الذى كان يعطيه الأب ، ولم تذعن الام لطلب الابن ، فبدأ يستمر لفــترة طويلة خارج البيت وانضم الى مجموعة من أصدقاء السوء ، وبدأ يسرق منها النقــود .

ثم ما لبثت الأم أن لاحظت اختفاء بعض الاشياء الثمينة من البيت . ولما بدأت الأم فى اخفاء الاشياء تحول الابن الى لص محترف يسرق بشكل منتظم من خارج البيت . ونما ذلك الى علم الأم التى واجهته وعنفتــه وصفعته على وجهه . وترك الابن المنزل ، ولم تعبأ الأم بذلك فى بداية الامر على أمل عودته ، ومضت خمسة أيام لم يعد خلالها الابن . عندئذ قلقت الأم ، وسالت فى كل مكان يتردد عليه ولكن دون جدوى . فبعثت برسالة الى الأب الغائب تطلب منه الحضور ليشاركها هموم أبنائها . بيد أن الأب رد على رسالة الأم بأن الحضور فى هــذا التوقيت أمر صعب . فلجأت الى أهل زوجها رغم ما بينهما من خلاف لمشاركتها فى البحث عن الابن الغائب الذى مضى على غيابه قرابة الشهر . وبعد أن يئست من

عودته تماما ، وجدوا رسالة تفيد أن الابن فى أحد السجون ، فقد تم القبض عليه فى حالة تلبس بسرقة أحد المحال مع رفاق السوء الذين تعرف عليهم ، وعلم الأب بذلك فعاد مسرعا .

تفكك الأسرة وانهيار بنائها :

عاد الزوج فواجهته الزوجة بتفاصيل ما حدث ، وألقت على غيابه وانقطاعه عنهم تبعة ماحدث . وثار الزوج الذى حرم نفسه من كل شىء وتحمل الغربة ولم يذق طعم الراحة ، بل كان يعمل فى اليوم الواحد أكثر من عمل مضحيا براحته حتى يحصل على أكبر قدر من النقود ليرسلها لهم . واحتدم الخلاف بينهما فتركت الزوجة بيت زوجها وغضبت الى بيت أهلها ، فتسللت أم الزوج بأفكارها الى عقل ابنها لتعيد على أسماعه موضوع زواجه بأخرى أحسن من زوجته التى لا تنجب الا الاناث . وحتى الابن الذى ولد بين الاناث موجود داخل السجن . ولم تترك الحماة ابنها الا بعد أن تزوج بأخرى ، وطلبت منه الزوجة الاولى أن يطلقها ولكنه رفض ذلك ، وعادت راضخة أمام تدخل الاقارب الى زوجها لتعيش معه ومع زوجته الجديدة .

عودة الأب وعائد الهجـرة :

قضى هذا الزوج فى الخارج ٧ سنوات ، اشترت الاسرة منزلا لتقيم فيه وامتلكت بعض الاجهـزة الكهربائيـة ، الفيديو والتليفزيون والتسجيل وغيرها ، وترك الاب العمل فى الزراعة وظل ينفق الاموال التى ادخرها وهو الان حائر فى أن يظل فى مصر بدون عمل أم يعاود الهجرة .



الحـــالة الرابعـــة

العـــائد الذى حضـــــر

هذه الحالة لأسرة مكونة من ستة أفراد : زوج فى الاربعين من عمره وأم فى الخامسة والثلاثين وولدان وبنتان . أكبر الابناء عمره ١٧ سنة ،

وأصغرهم بنت عمرها دون سن التعليم . تقيم الاسرة فى سكن مكون من حجرة واحدة . ويعمل الزوج والزوجة فى تجارة صغيرة للطيور يحصلان منها على ما يسد احتياجاتهم الاساسية . فالولدان بالتعليم والبنتان أحدهما دون سن التعليم والثانية لم تلتحق به كشأن سلوك الكثير من أسر المستويات بالطبقة الدنيا ، حيث انخرطت البنت الكبرى فى مساعدة الاب والأم فى عملهما . زادت احتياجات الابناء كلما تقدم بهم السن ، وعجزت الاسرة بدخلها المحدود عن مواجهة متطلبات الحياة .

ظروف الهجرة وملابساتها بالنسبة للزوج :

سعى الأب جاهدا الى السفر ، وتحقق له ذلك بعد أن دفع مبلغا من المال لأحد الافراد الذين ساعدوه على السفر . وترك أسرته واستمر ثلاث سنوات متصلة بالسعودية يرسل للاسرة فى كل فترة مبلغا من المال كان يكفيهم . وتركت الأم التجارة الصغيرة التى كانت تعمل فيها . أما الابناء الذكور فكانوا بالتعليم . وطلب الأب من الأم أن ترعاهم ليكملوا تعليمهم ويتغير مسار حياتهم عن تلك المسيرة الشاقة الى قطعها الأب فى حياته .

ثمار الهجرة يجنيها الأب :

بعد ثلاث سنوات عاد الأب فى أول أجازة له محملا بالهدايا للأم والابناء وأحضر لهم جهاز فيديو وتلفزيون ملون ، وبعض الاجهزة الاخرى التى اكتظت بها القرية التى يعيشون فيها . وطلبت الزوجة منه مسكنا أكثر اتساعا فاشترى قطعة أرض اقام عليها شقة وانتقلت اليها الاسرة . ثم سافر مرة ثانية ليقضى بضعة سنوات أخرى ليكمل البيت ويؤثثه ، ويعود ليجد الكثير من العثرات التى وقعت فيها أسرته .

ابناء فشلوا فى التعليم :

فقد تعثر الابناء فى التعليم،فلم يستطع الاول الانتقال من الصف الثانى الثانوى ، حيث تكررت مرات رسوبه وانقطاعه عن المدرسة . أما الثانى فقد تعثر فى الحصول على الاعدادية . وانصرفوا الى مشاهدة أفلام الفيديو . وقرر الأب عند عودته فى المرة الثانية أن يظل بين الابناء حيث

طلبت الام منــه ذلك • واكتشف الأب أن الابن الاكبر قــد استنفذ مرات الرسوب وفصل • كما لاحــظ عليه أنه يكثر من السهر بالخارج واعتــاد الكثير من أشكال السلوك السىء ، فيبدو دائما شاحب الوجه بسبب السهر وتدخين السجائر وتعاطى بعض المكيفــات الضارة • فحــرمه الأب من المصروف حتى يقلع عن هذه العادات السيئة ، وهدده بالطرد اذا لم يكف عن هذه الاشياء • ولكن الابن تمادى فى ذلك ، وفى أحد الايام اكتشف الأب سرقة مبلغ من المال كان موجودا بالمنزل ، فأبلغ الشرطة ولم تتوصــل التحريات الى السارق • وبعد فترة وجيزة تم القبض على هذا الابن متلبسا بسرقة أخرى حكم عليه فيها بالسجن •

ثمار الهجرة تجنيها الزوجة :

ضاق الأب ذرعا بأبنائه والمشكلات التى يثيرونها ، واتهم الأم بضعف سيطرتها عليهم وباهمالها • ودبت الخلافات بين الزوج والزوجة انصرف الزوج على اثرها الى البحث عن زوجة ثانية • واكتشفت الاسرة أن الأب قد تزوج من زوجة ثانية وترك أسرته التى تحملت مشقة السفر وانتظرت عودة ذلك الأب واستقراره والحياة معه ، ليعيش مع زوجة أخرى فى بيت آخر تاركا هذه الاسرة بمشاكلها التى زادت خلال هجرته ، وهاجر الأب هجرتين : هجرة الى الخارج فى البداية ، ثم هجرة الى الداخل عنــدما ترك أسرته لأسرة أخرى •

●✶●

الحــالة الخــامسة

زوج غــائب يفقــد كل شىء

هذه الحالة لأسرة نووية مكونة من خمسة أفراد ، الأب فيها يبلغ من العمر ٤٢ سنة ويعمل فلاحا فى قراريط محدودة ، تساعده الزوجة فيها من خلال بيع خضروات الحقل • تبلغ الزوجة من العمر ٢٥ عاما ، ولهمــا ثلاثة أبناء جميعهم لم يلحقوا بالمدارس ويعيشون فى بيت ريفى بسيط •

دوافــــع الســــفر :

شعر الأب بأن المخرج الوحيد من الظروف الاقتصـادية للاسرة هو السفر كما يقول : «تمنيت أن يعيش أبنائى عيشة أحسن من عيشتى» . فالاسرة أسيرة فى بضـــع قراريط وطموحاتها أسيرة فى هذه القراريط . فتطلعت أنظار الأب الى خارج هذه الحدود الضيقة لعله يجد فيها ملاذا من الضائقة الاقتصادية له ولاسرته . وساعده على السفر بعض الرفاق من القرية . وباع بعض الحيوانات التى كانت تمتلكها الاسرة (من الخراف أو الماعز) ، وشد الرحال الى العراق . وبعد وصوله بعدة أشهر بدأ يرسل لأسرته مبلغا من المال لتعيش به . واستمرت هجرته ثلاث سنوات متصلة بدون أجازات فى الوطن .

آبــــاء بالانــــابة :

ضاقت الزوجة بغربة زوجها ثلاث سنوات متصلة برغم تغير احوالها المادية ، فقد كانت تنفق كل ما يرسل لتقى أبناءها شر الحـرمان الذى عاشت هى وزوجها فيه . وتردد على البيت أفراد من الاقارب والاصدقاء للاطمئنان على أسرة الزوج الغائب . وقامت علاقة بين أحد هؤلاء الافراد وبين الزوجة وتوطدت العلاقة وفكرا فى الزواج . وساعدها ذلك الشخص على الطلاق من زوجها ، فقدمت بعض الوثائق للمحكمة تؤكد غيـاب زوجها لسنوات بعيدا عنها وأنها تطلب التطليق بسبب ذلك . وتحقق لها ما أرادت حيث طلقت من زوجها الذى دام انقطاعه عنها لأكثر من ثلاث سنوات متصلة أصابت الزوجة بأضرار نفسية لا تتحملها . وتزوجت بذلك الرجل ، وتركت الابناء مع والد الزوج ليعود الزوج بعد ذلك فيجد الابن الاكبر قد بلغ سن التعليم ولم يهتم أحد بالحـاقه بالمدرسة . كما وجـد الزوجة قد هجرته الى زوج آخر بعد أن أخذت حصيلة هجرة السـنوات السابقة كلها وتزوجت . فأصيب بحالة من الاكتئاب وانعزل عن الحيـاة والناس ، ورفض العودة الى السفر كما رفض العودة الى العمل الذى كان يعمل فيه من قبل . كما أن الزوج لم تكن لديه مدخرات عند عودته لأنه

كان يحرص على ارسالها أولا بأول الى زوجته وأبنائه ، وبذلك التصرف من الزوجة يكون كل شىء فى الاسرة تعرض للتدمير ٠

●★●

الحالة السادسة

عائد العمل الزراعى المحدود والطموحات الجديدة

هذه الحالة لأسرة محدودة الدخل يعمل عائلها بالزراعة فى قراريط محدودة تقل عن نصف فدان ، ويستأجر بجانبها نصف فدان آخر محاولا بذلك تحقيق التوازن المفقود بين أعباء الحياة والدخل ، والاسرة يبلغ عددها سبعة أفراد فهذا الأب له خمسة من الابناء : أربعة من الذكور وبنت واحدة تتراوح أعمارهم ما بين ١٣ سنة وسنتان معظم هؤلاء الابناء بالتعليم الذى يتطلع اليه الأب ، لعله بذلك يحقق مستقبلا أحسن من ذلك الذى تحقق له ٠ ذلك أن مسيرته بالتعليم لم تستمر الا سنوات محدودة وحالت ظروف أسرته دون أن يستمر ، وانشغل فى حمل أعباء الاسرة ، أما الزوجة فهى أمية هى الأخرى ٠

ظروف الهجرة وملابساتها :

كان الأب يعمل بالأجر بالاضافة الى العمل فى هذه القراريط ، والذى كانت تساعد فيه الزوجة والابناء ٠ لكن العائد الذى كان يحصلون عليه كان محدودا للغاية ٠ وانتشرت الهجرة فى القرية وسعى اليها الكثيرون وبشكل خاص من يفتقدون الفرصة لتحقيق طموحاتهم ، أو من تضيق أمامهم فرص العمل ، ففكر الزوج جديا فى الهجرة والتى كانت آثارها قد ظهرت على الكثير من الاُسر التى هاجر عائلها ٠ وساعده بعض الافراد من القرية فى الحصول على عقد عمل والسفر الى ليبيا ، لم يعد الا بعد ثلاث سنوات متصلة كان يرسل خلالها بعض الاموال لاسرته ٠

ملامح التفكك داخل الاسرة :

شعرت الأم بثقل المسئولية عليها فالابناء يحتاجون الى جهد ورعاية

وبدأت بعض المظاهر السيئة فى سلوك الابن الاكبر ٠ وبدأ يطلب من الأم المزيد من النقود للانفاق منها على شراء السجائر ، وتعثر هذا الابن والتالى له فى الترتيب فى دراستهما ٠ واستعانت الأم بمدرسين خصوصيين لمحاولة انقاذهما ، ولكن باءت المحاولات بالفشل ، وعاد الأب بعد السنوات الثلاث ليجد الابن الاكبر قد انحرف بالفعل ، ولم يستطع الحصول على الشهادة الاعدادية ٠ كما تعثر الأخ الاصغر فى الحصول على الابتدائية ٠ والأم تقف حائرة ولا تستطيع التصرف ووقف الأب حائرا هل يعزف عن السفر ويتفرغ لتربية الابناء أم يعود لمدة ثانية ، وعاد ثانية ليقضى ثلاث سنوات أخرى ٠

بعض التغيرات التى طرأت على الأسرة :

ظلت الزوجة فى السنوات الاولى للهجرة تقوم بزراعة الارض بدلا من الزوج ، وتقتنى بعض الحيوانات والطيور داخل المنزل ولكن ما لبثت أن أجرت القراريط لأحد المزارعين بالقرية وباعت الحيوانات ولم تعد تهتم بتربية الطيور واعتمدت على شراء حاجتها من السوق ٠ واستمرت الحياة هكذا الى أن عاد الزوج مرة ثانية بعد اكتمال ست سنوات فى الغربة ليجد أن هذه التغيرات التى أغضبته من زوجته واتهمها بالاهمال فى تربية الابناء والتكاسل عن مباشرة الزراعة والاسراف فى الانفاق على أمور الحياة فنشبت الخلافات بينهما وانتهت بترك الزوجة لبيتها وزوجها وأبنائها واقامتها مع والديها ٠ ولم تثمر محاولات الصلح بينهما ، فقد أصرت الزوجة على أنها قد ضحت وتحملت وأصر الزوج هو الآخر على أنه قد تحمل الغربة فى سبيلهم ٠ وأمام ذلك شد الزوج الرحال مرة ثالثة الى ليبيا وترك الزوجة فى بيت أبيها وترك الابناء مع عمهم وهناك تعرف على احدى المصريات وتزوجها دون علم من بمصر ، وظل الابناء فى انتظار كل من الأب والأم ، ولكن دون طائل ٠

عائد الهجرة لهذه الأسرة :

يكاد يكون عائد هذه الاسرة ، من الهجرة محدودا للغاية ، فلم يشتر

الزوج بيتا أو أرضا ، كل ما حدث هو اتفاق العائد على سداد الديون التى تراكمت على الزوج بسبب الاعداد للسفر وبسبب تدبير بعض النقود للأسرة لتواجه الحياة فى الايام الاولى للهجرة .

●✱●

الحـالة السـابعة

ابن مدمن وآخر يســـــرق

هذه الحالة هى لأسرة ريفية تتكون من سبعة أفراد يبلغ عمــر الأب فيها ٤٧ عاما والأم ٤٠ عاما . ولهما خمسة أبناء من الذكور والاناث ثلاثة من الذكور واثنتان من الاناث ، ويبلغ عمر الابن الأكبر ١٨ عاما والأصغر ١١عاماويعمل الأب بالأجراليومى لدى أفراد القرية ،اذ أنه عامل غيرمتخصص ومن ثم فبامكانه أداء العديد من الانشطة العادية التى يحتاجها أفراد القرية وتقيم الاسرة فى مسكن بسيط مساحته محدودة اذ تكون من غرفتين تضم كل غرفة منها بعض قطع الاثاث المتواضعة ، كما لا تعرف الأم القراءة والكتابة كشأن الكثيرات من اناث القرى التى تقع فى أطراف هذه المنطقة ، والتى يتعذر على اناثها الانتقال للحصول على قسط من التعليم من بعض القرى المجاورة التى كانت تضم المؤسسات التعليمية بالاضافة الى ميــل الاسرة الريفية واتجاهاتها السلبية نحو تعلم الفتيــات فى وقت ســابق وان كان الأمر قد تبدل فى السنوات الاخيرة حيث تحــرص معظــم الاسر من كافة المستويات الطبقية على أن يلتحق الابناء ، ذكورا واناثا ، بالتعليم مهما كلفهم الأمر .

وساعد على نمو هذا الاتجاه توفير المؤسسات التعليمية بالقرية من جانب ، ومن جانب آخر فان الاسرة بالمســتويات الطبقية الدنيا تجد فى التعليم فرصة سانحة لتخفيف وطأة المؤثرات الطبقيــة الدنيا أو بعبــارة أخرى تجــد فيه مخــرجا وممــرا لابنائها لرفع مســتواهم الاجتمــاعى والاقتصادى وتحقيق مستقبل افضل .

ظروف السفر وملابساته للزوج بهذه الأسرة :

شعر الأب أن الابناء يكبرون وتزداد احتياجاتهم كما أن طموح الاسرة فى تعليم ابنائها يكلفها الكثير من النفقات . يضاف الى ذلك عدم مواكبة الدخل للارتفاع المستمر فى الاسعار ، وعلى الجانب الآخر فقد شهد المجتمع المصرى العديد من التطلعـات التى انعكست فى أنماط استهلاكية متباينة توجد فى أرجاء هذا المجتمـــع ســواء فى الريف أو فى الحضر وأمام هذه المؤثرات شعر الأب بضيق السبل أمامه اذ أن الأجر اليومى الذى يحصل عليه نظير العمل لدى الغير لا يكفى لمواجهة الاحتياجات الاساسية لأسرته. كما أن العمل الذى يؤديه يفتقر الى الاستمرارية . فراودته فكرة السفر ، وطرق العديد من الابواب،وتعرف على أحد الافراد من أبناء القرية الذين يعملون بالسعودية وطلب منه مساعدته فى تحقيق ذلك الحلم وفى الحصول على عقـد العمل . وبعـد محاولات كان له ذلك ، وطلب منـه أن يكون جاهزا للسفر . فاستدان بعض المال لانهاء الاجراءات الخاصـة بالسـفر . وسافر فى صحبة ذلك الرفيق تاركا الابناء والاسرة لتتحمل تبعاتها الأم . وظل فى سفره لمدة ثلاث سنوات متصلة حرص فيها على ارسال مبلغ من المال الى الأسرة ، ولم يحصـل خلال هذه السنوات على أجازة ليطمئن فيها على أبنائه وأسرته .

حصاد الهجرة تجنيه الأسرة :

عند سفر الأب كان الابن الأكبر قد بلغ من العمر خمس عشر عاما وهى سنوات حرجة فى عمر الشباب . ولاحظت الأم بعد غياب الأب لعدة أشهر أن ابنها يتغب كثيرا عن المدرسة ، كما لاحظت أنه يستنفذ مصروفه الذى كانت تعطيه اياه فى أيام معدودة ، ويلح عليها فى طلب المزيد من النقود وعندما كات ترفض اعطاءه هذه النقود كان يثور ويغضب ، وبعد أشـهر أخرى لاحظت الأم اختفاء بعض الاشياء من البيت ، كما رسب الابن فى دراسته بعد العديد من الانذارات بالفصل كانت قد أرسلت الى البيت .

وزاد قلق الأم على ابنها عندما رأت أن صحته بدأت تسوء ، فكثـيرا

ما كان يقضى ساعات طويلة فى النوم ويبدو شاحب الوجه . فتقصت الأم عن أخبار ابنها من بعض زملائه الذين أفهموها أن ابنها يتناول بعض المواد المخدرة . وفى العام الدراسى التالى كثر انقطاعه عن المدرسة وأرسلت المدرسة العديد من الانذارات للأسرة بفصل الابن بسبب تغيبه ، ولكنه كان يحاول دائما اخفاءها حتى لا تعرف الأم بذلك . واشتد قلق الأم وأبلغت عم ابنها الذى حاول جاهدا أن ينقذ الابن ولكن تعذر عليه ذلك ، لأن الابن كان قد فصل من المدرسة ، كما كان الادمان قد استبد به ،وأصبح فى احتياج شديد الى العلاج ، واشتد حزن الأم عندما عرفت أن ابنها الثانى قد انضم الى مجموعة من المراهقين الذين يكونون عصابة للسرقة ، وهو أمر لم تعرفه الأم الا بعد أن قبض عليه ، وأودع باحدى مؤسسات الأحداث . كل ذلك ولا يدرى الأب فى غربته ما أصاب أسرته . وفوجىء بهذه الامور عند عودته بعد غيبة استمرت ثلاث سنوات ، وحاولت الزوجة اقناع الزوج بالبقاء مع الاسرة . ولكن الأب أجابها بأن أبناءه قد ضاعوا فلم يبقى اذن .

فأصر على العودة ليقضى ثلاث سنوات أخرى ليعود فيجد ابنته قد ارتبطت بشخص يكبرها بخمسة عشرة عاما ، وتزوجت منه على غير ارادة الأم بعد علاقة نشأت بينهما فى غفلة من الأم . وانهار الاب واتهم الأم بأنها قد أتلفت الابناء ودمرت الاسرة بسبب تهاونها وعدم وعيها بما يدور حولها، وأنها لا تستحق أن تستمر معه كأم لابنائه وكزوجة .وبعد خلافات احتدمت بينهما قرر الزوج أن يطلقها ، ولم يعد يرغب لا فى العمل ولا فى السفر ، ربما لاحساس دفين منه بأن السفر قد أفقده كل شىء .

حصيلة الهجرة :

لاحظنا أن الاسرة فقدت الابن الأكبر الذى راح ضحية الادمان ، والابن الثانى الذى أودع باحدى مؤسسات الاحداث بسبب ضعف الرقابة الأسرية أو غيابها ، وطلقت الأم بعد زواج دام عشرون عاما بينما لم تتغير الظروف المادية لهذه الاسرة .



الحالة الثامنة

اجير يتحول الى مالك

هذه الحالة لأسرة يبلغ الزوج فيها سبعة وثلاثون عاما ، وقد نشـأ فى أسرة فقيرة ، ولم يحصل من التعليم الا على قسط محدود • فهو يقـرأ ويكتب حيث لم يقض بالتعليم الا سنوات محدودة ، ثم تسرب منه والحق بالعمل الزراعى ليعين والديه وأسرته الفقيرة على مشقة الحياة• وتكاد تكون كل سنواته التى قضاها كلها فى كدح وسعى وكفاح • وتزوج هذا الابن ، وعلى غير ما يحدث بالقرية انفصل عن والديه ، واستأجر عدة قراريط يزرعها بجانب ما يبذله من جهد فى العمل اليومى المأجور • كما اختـار زوجة من أسرة تقترب منه فى مستواها الطبقى حتى يمكن أن تكون عونا له فى تحمل مشقة الحياة التى يعيشها • وتبلغ الزوجة من العمر الآن ٣٣ عاما ، وقد تزوجها منذ ١٦ سنة • وسارت بهما الحياة لسنوات رزقا أثناءها بولد وبنت ، عمر الابن ١٥ عاما ، والبنت ١٢ عاما •

ظروف سـفر الزوج :

فكر الزوج فى السفر بعد سنوات الكفاح التى قضاها ، واعتبره المخرج الوحيد من حلقة الفقر التى ورثها عن آبائه وأجداده ، وخشى أن يورثها لأبنائه من بعده • واتصل ببعض أبناء قريته الذين سافروا الى الاردن ، وساعدوه فى الحصول على عمل • ونجحت مساعيه فى السفر الى الاردن • وشد رحاله تاركا أسرته ليظل ثلاث سنوات متصلة لم تتوقف فيها زوجته عن العمل الذى كانت تؤديه فى مساعدته قبل سفره •

وبدأ الزوج فى ارسال بعض النقود لتعينها على مواجهة أعباء الحياة والانفاق على تعليم الابناء ، وكان الزوج يعمل لساعات طويلة لتحسين دخله • واستطاع أن يدبر مبلغا من المال يعود به بعد السنوات الثلاث التى قضاها • وعاد الى بلده فى أول أجازة دون أن يحمل معه الا القليل من الهدايا والأجهزة •

مدرسة الحياة أكثر جدوى من مدرسة التعليم :

عاد الأب ليجد الابنوقد تعثرت خطواته فى التعليم وتكرر رسوبه فى الشهادة الاعدادية . وحاولت الاسرة بوسائلها المختلفة أن تدفع الابن لاجتياز هذه المرحلة ولكن دون جدوى . وخلال احدى زيارات الأب لاحظ تعثر الابن تماما فطلب من الأم أن تكف عن الانفاق على هذا الابن فيما لا جدوى منه وخاصة أن الابن لا توجد لديه الاستجابة للتعليم . ورأى الأب أن يتعلم الابن فى المدرسة التى تعلم هو فيها ، وهى مدرسة الحياة . وفكر الأب فى شراء فدانين من مدخراته ليعمل فيها الابن كمالك للأرض أو ابنا لمالكها لا كأجير كما عاش الأب . وبالفعل اشترى الاب الفدانين وأبدى الابن فى البداية موافقته على موقف الأب ، وعندما عاد الأب الى السفر مرة ثانية تمرد الابن على الأم ورفض العمل فى الارض . فأرسلت الأم الى الاب تستغيث به وتطلب منه العودة . بيد أن الاب تباطأ فى ذلك ليعود بعد سنتين ليجد أن الابن قد هجر البيت والحقل وانضم الى مجموعة أصدقاء السوء .

تطلعات الزوج تفسد ود العلاقة مع زوجته :

عاد الزوج بعد سنوات الهجرة والكفاح ليباشر عمله فى أرضه ، الا أن موقف ابنه المنحرف كان يؤلمه ، وكثيرا ماكان يتهم زوجته بأنها هى التى أسهمت فى فساد هذا الابن وضياعه . ونشبت بينهما الخلافات ، وانتهز الزوج فرصة تصاعد الخلاف فى احدى المرات وذهبت الى بيت أبيها ، غاضبة ، ثم تمادى فى اهمالها ، وفكر جديا فى الزواج بزوجة أخرى ، وأقدم على ذلك بالفعل . وحزنت الزوجة الاولى التى تحملت فى صبر طويل مشقة سنوات الكفاح دون أن تجنى ثمارها ، وشعرت بالمهانة وطلبت الطلاق بعد أن شعرت بأن البيت أصبحت تسكنه زوجة أخرى ، وبعد أن هجر الابن البيت وتزوجت ابنتها من أحد أبناء القرية . وبذلك فلم يعد لها بقاء فى بيت زوجها الذى ضاق بها مع زوجته الجديدة ، وانفصلت عنه لتكمل مسيرتها فى الحياة بعد أن أصبح املها فى الاستقرار سرابا تبدد فى سماء طموحات الزوج العائد من الهجرة .

●✱●

الحالة التاسعة

ثمن الهجرة تدفعه الأسرة (الزوجة والابناء)

هذه الحالة هى لأسرة فقيرة تمتلك ١١ قيراطا ورثها الأب عن والديه . والاب فى هذه الحالة يبلغ من العمر ٤٢ عاما،أما الزوجة فعمرها ٣٧عاما. ويقيمان فى بيت مكون من غرفتين . وقد تزوجا منذ ١٨ عاما رزقا خلالها بخمسة من الابناء يبلغ أكبرهم من العمر ١٧ عاما وهو ولد . أما الثانية فى الترتيب فهى ابنة عمرها ١٤ سنة يليهما فى الترتيب ولد عمره ١٣ سنة وآخر عمره ١١ سنة ثم ابنة فى التاسعة من عمرها وجميعهم بالتعليم على الرغم من أن الأب والأم لم ينالا أى قدر من التعليم . ويقوم الاب بزراعة هذه القراريط وتساعده زوجته فى هذه المهمة بالاضافة الى القيام ببعض الاعمال المأجورة فى مجال الزراعة وأعمال الحقل لدى الغير ، وذلك حتى تتمكن الاسرة ذات العدد الكبير والمصادر المحدودة للرزق أن تواجه متطلبات الحياة . كما يشارك الابناء بجهودهم فى هذه الاعباء خلال الاجازة ، وهو أمر يميز الاسر بالمستويات الطبقية الدنيا حيث يعمل الجميع دون توقف حتى تستمر الحياة .

ظروف سفر الزوج وملابساته :

شعر الزوج بأن ما يبذله من جهد هو وأفراد أسرته لا يكفى لمواجهة أعباء الحياة ، فالأبناء يكبرون وتزداد احتياجاتهم ، والديون قد أثقلت كاهله والتطلعات تلاحقه من المحيطين به ولا يستطيع منها فرارا . فقد تحقق لغيره ممن سافروا الكثير من مظاهر التغير والانجازات المادية . عندئذ راودته فكرة السفر وشجعه الابناء والزوجة .

وبدأ البحث عن وسيلة للسفر بشكل جاد ، واتصل ببعض الافراد الذين سبقوه فى هذا المجال حيث ساعده أحدهم على السفر وتدبير عمل له . وسافر بعد أن باع بعض الحيوانات التى يملكها متجها الى السعودية ليقضى ثلاث سنوات متصلة دون ان يعود خلالها الى قريته أو أسرته . واقتصر الاتصال على بعض الرسائل التى كان يرسلها مع بعض الرفاق العائدين . كما كان يرسل بعض النقود ما بين الحين والآخر حتى تواجه به الاسرة متطلباتها . وبدأت ملامح الانتعاش تظهر على الاسرة .

وعاد الأب بعد السنوات الثلاث محملا بالهدايا لأبنائه وزوجته،وحرص الاب فى أول زيارة على أن يقتنى التليفزيون وجهاز التسجيل٠وقضى بينهم ثلاثة أشهر الى أن نفذ ما كان معه من مدخرات،ثم فكرفىالعودة مرة ثانية ومواصلة مسيرة الغربة ، الا أن الزوجة والابناء توسلوا الى الاب أن يظل معهم ويصرف النظر عن السفر ٠ ولم تنجح هذه المحاولات التى بذلتها الاسرة مع الاب الذى برر عودته الى السفر قائلا كيف يمكن لنا أن نعيش بالأجر المحدود الذى نحصل عليه مقابل العمل لدى الغير بأجر يومى وأمام توسلاتهم وعدهم بأنه سوف يسافر هذه المرة ويحرص على ادخار مبلغ من المال يعينه على اقامة مشروع عندما يعود الى مصر ٠ فالسفر فى المرة الاولى لا يحسب لأنه قد خصص لسداد الديون فحسب وتحقيق بعض الانتعاش وتعويض الحرمان الذى طالما عانت منه الاسرة ٠

وسافر الأب مرة ثانية تاركا لأبنائه الام التى زاد قلقها أمام كبر أطفالها ونموهم ، كما زادت الاعباء عليها ، فرقابتها وحدها لا تكفى ، وتعدد رسوب الابن الأكبر فى الشهادة الاعدادية وتعثر فى الحصول عليها ، وبدأ يتهرب من الدراسة ولا تعلم الام عن ذلك شيئا ٠ كما اعتاد التدخين وزادت المصروفات التى يطلبها من الام وعجزت الام عن تقويمه الى الطريق السليم ٠ كما أصاب الخلل الابنة التى تلى الابن الاكبر فى العمر ، اذ اكتشفت الام بالصدفة أنها على علاقة بأحد الشباب الذى كان يتردد على اخوتها ليشاهد التليفزيون معهم ويقضى السهرات بالمنزل ٠ كما لاحظت الام تكرار خروج الابنة متعللة بالدروس الخصوصية ٠فكانت صدمة للام التى استغاثت بالزوج طالبة منه ضرورة العودة حتى يواجه هذه المشكلات المتلاحقة التى أصابت الاسرة ٠

عاد الزوج ليواجه مشكلات أسرته دون أن يكمل المدة الثانية ، وغاضبا على زوجته التى لا تصلح لأى شىء كما اتهمها ، ولا حتى لرعاية الابناء أو توجيههم أو رقابتهم لحمايتهم مما انزلقوا اليه ٠ وبدأ الأب يقسوا على ابنه الأكبر ويضربه تارة وينصحه تارة أخرى ٠ ولكن الابن

ظل سائرا فى طريق الانحراف ، ويطلب المزيد من النقود . واضطر الاب الى طرده من البيت ، وأمام الضغوط التى واجهت الاب بعد العودة قرر السفر مرة ثانية هاربا من المشاكل التى خلقتها فترة غيـابه الطـويل عن الاسرة . وتزوج بزوجة ثانية مدعيا أن زوجته الاولى وأبناءه لا يفهمونه ولا يقدرون رحلة كفاحه ، كذلك فهم لا يستحقون منه كل هذه التضحيات التى يتحملها فى سبيلهم .

عائد الهجـــرة :

تحملت هذه الأسرة (الأم والابناء) نتائج هجـرة الزوج ، فتصدعت العلاقة بينهم ، وانحرف الابن الاكبر ، وفقدت الزوجة مكانتها مع زوجها ، واقترن الزوج بزوجة أخرى ، وانخرطت الابنة فى علاقات مع أحد الشباب . واذا كانت الهجرة قد حققت بعض العـائد المادى لهـذه الأسرة ، الا أن الخسائر التى لحقت بها تفوق أى عائد مادى مهما كان كبيرا .

●✶●

الحالة العـــاشرة

أسرة تتخلى عن أدوارها الاقتصادية فى غضون الهجرة

وتعكس هذه الحالة موقف بعض الاسر بالقرية من المستويات الطبقية الدنيا عندما يسافر الزوج الى الخارج تاركا أعباء العمل الزراعى فى مساحة الارض المحدودة التى تمتلكها الاسرة ، تؤديه الزوجة والابناء . وعندما يعود ينفر من العمل الذى ظل يؤديه طيلة سـنوات عمـره ويتحول الى عمل آخر . وهى ظاهرة تكاد تكون عامة بين نسبة كبيرة من أبناء القرية الفقراء الذين هاجروا الى الخارج .

وخلال سنوات تتخلى الاسرة عن أدوارها الانتاجية والتقليدية ، فما تلبث الزوجة هى الأخرى أن تترك العمل الزراعى وتفقد الاسرة الريفية أهم مقوماتها الانتاجية لتعتمد على المجتمع الأكبر فى تحقيـق احتياجاتها المختلفة .

وتتكون هذه الاسرة من زوج عمـره ٣٣ عاما ورث سـتة قراريط عن والديه ولم ينل من التعليم شيئا فهو أمى ، وزوجته عمـرها ٢٨ عاما · ولهما ابنة عمرها ١٢ سنة وابن عمره ٦ سنوات والابنان ملتحقان بالتعليم· وتقيم هذه الاسرة فى مسكن صغير يتكون من غرفتين وحظيرة تضم بعض الحيوانات · وظلت هذه الاسرة طوال سنوات حياتها تزرع هذه القراريط ببعض محاصيل الغذاء ، وتستأجر عليها بعض القراريط الأخرى تزرعها بغذاء الماشية من البرسيم · وكان الزوج يؤدى بعض الاعمـال الزراعيـة بالأجر لدى الاسر التى تحتـاج الى ذلك بالقـرية · وفى مواسـم زراعة الخضروات أو مواسم جمعها كان الاب والأم يشاركان فى العمل بالأجر ، كما كانت الزوجة تحرص على تربية بعض الطيور وصناعة الجبن والزبد وتسويقها لتدعيم الاسرة اقتصاديا ·

وبرغم صغر سن هذا الزوج ، الا أنه سئم الكفاح الذى تفتحت عليه عيناه منذ نعومة أظافره · فهو من أسرة فقيرة كان كل أفرادها فى سـعى دائب · وفكر فى أن يتخذ من السفر الى الخارج سبيلا لتغيير حياته، فكما يقول : «ها تعب وفى السفر تعب ، ولكن كل شىء بثمنه» · وسعى للسفر ، وساعدوه فى الحصول على عمل بالسعودية ، وقبل الرحيل باع جاموسـة الاسرة وسدد من ثمنها بعض الديون التى كانت قد تراكمت عليه ، وترك بعض النقود للاسرة حتى تستقر أموره التى لا يعلم عنها شيئا ·

واستمر فى الخارج لمدة ثلاث سنوات متصلة انتظم خلالها فى ارسـال بعض المال لأسرته وخلالها أقلعت الزوجة عن العمل بالحقل وتخلصـوا من القراريط المحدودة بايجارها لأحد الزراع بالقرية ، وعند عودة الزوج رفض تماما فكرة العودة الى العمل الزراعى ، والأكثر من ذلك ما أصاب ذلك الزوج من تطلعات حيث أصبح متعاليا على زوجته التى ارتبط بهـا الابناء أكثر من ارتباطهم بالأب ، والذى شعر أن السلطة قد انتقلت اليها ولم يعد له سلطان عليهم · وكان ذلك يثير غضب الأب على زوجته وهددها كثيرا بالزواج بأخرى اذا ظل الحال كذلك واستمر الزوج رافضا العودة الى العمل ، الى أن نفذت مدخراته عن آخرها ، واضطر الى الرحيـل مرة ثانية تاركا أسرته بمشاكلها ·

المراجع العربيــــة

١ ـ **جلال أمين والبزابيث تايلور** ، هجرة العمالة المصرية للخارج،تقرير بحثى رقم ١٠٨ ، بحوث التنمية الدولية بكندا ، يناير سنة ١٩٨٩ .

٢ ـ **سعد الدين ابراهيم** ، النظام الاجتماعى العربى ، دراسة عن الآثار الاجتماعية للثورة النفطية ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت.

٣ ـ **صلاح عبد الجابر** ، الانماط الجغرافية للمستوطنات الريفية لمنخفض الفيوم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الجغرافيـا ـ جامعـة القاهرة سنة ١٩٨٠ .

٤ ـ **عبد الباسط عبد المعطى** ، الهجرة النفطية والمسألة الاجتماعيــة ، دراسة علمية على عينة من المصريين بالكويت ، القاهرة ، مكتبـة مدبولى ، سنة ١٩٨٤ .

٥ ـ **عبد الله خورشيد البرى** ، مدخل هجرات العرب وصـلاتهم القديمة بمصر ، القبائل العربية بمصر فى القرون الأولى من الهجرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .

٦ ـ **فوزى عبد الرحمن** ، الأبعاد المؤثرة فى ظاهرة تقسيم العمل الزراعى فى مصر محاولة منهجية فى الانثروبولوجيـا الاقتصـادية ، رسـالة دكتوراه غير منشورة قسم الاجتماع كلية البنات ١٩٨٩ .

٧ ـ **كريمة كريم** ، الآثار الاقتصادية لهجرة العمالة على الريف المصرى ، فى ندوة الفلاحون والتغير الاجتماعى فى العالم العربى ، مركز بحوث الشرق الاوسط جامعة عين شمس ، ٦ ـ ٨ سنة ١٩٨٦ .

٨ ـ **محمد أبو مندور** ، الفجوة الغذائية فى مصر ، المظـاهر والأسـباب وبدائل المواجهة مجلة فكر للدراسـات والابحاث ، فبراير ١٩٨٥ ، العدد الرابع .

٩ ـ **محمد سمير مصطفى** ، بعض قضـايا التنمية الراهنـة فى ج.م.ع ، معهـد التخطيط القومى ، مذكرة خارجيـة رقم ١٤٥١ ، فبراير ١٩٨٨ .

١٠ـ **محمـد عاطف غيث** ،القرية المتغيرة ، القـاهرة ، دار المعـارف ، ١٩٦٤ .

١١ ـ **محمد عبد الشفيع عيسى** ، التغير الاقتصـادى فى الريف المصرى ،

دراسة ميدايية لقرية مصرية ، مقال بمجلة دراسات عربية ، السنة العشرون ، ١٩٨٤ ٠

١٢ ـ **نادر فرجانى** ، الهجرة الى النفط ، أبعاد الهجرة للعمل فى البلدان النفطية ـ وأثرها على التنمية فى الوطن العربى ، بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٣ ٠

١٣ ـ **نادر فرجانى** ، سعيا وراء الرزق ، دراسة ميدانية عن هجرة المصريين للعمل فى الاقطار العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢ ٠

١٤ ـ **تقارير المتابعة لوزارة التخطيط (نقلا عن سعاد عبد القادر)** تطور الاستهلاك العائلى فى ضوء بعض المتغيرات الاقتصادية الاجتماعية عن سنة ١٩٧٤ ـ سنة ١٩٨٤ ، بحث دبلوم معهد التخطيط القومى، ١٩٨٥ ٠

١٥ ـ **الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء** ، الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ، يونية ١٩٨٠ ٠

١٦ ـ **جريدة الأهرام** ، فى ١٩٧٨/٩/١٨ ٠

١٧ ـ **سجلات الجمعية الزراعية بقرية أباظة** ٠

١٨ ـ **سجلات المجلس المحلى لقرية أباظة** ٠

١٩ ـ **معهد التخطيط القومى** ، سياسات وامكانات تنشيط الصادرات من السلع الزراعية سلسلة قضايا التخطيط والتنمية فى مصر ، نوفمبر ١٩٨٥ ٠

٢٠ ـ **الاهرام الاقتصادى** ، العدد ٧١٤ ، سبتمبر سنة ١٩٨٢ ٠

المراجع الأجنبيـــة

1. Hopkins (N.) "The social Impact of mechanization" In Richard and Martin (eds) Mechanization and agriculture labour markets in Egypt, Wastiew, Dvecpress, 1983, p. 194.

2. Yong, Kate, Modes of appropriation and sexual division of labour : A case study From Qxaca, Mexicao, in Annette Kahn and Anon maire wolpe (eds); Feminism and materialism, women and modes of Production.

الفصل الثامن

حول مشكلات الاسرة فى المجتمع العربى المعاصر (*)

مقـــــدمة :

لعل كل مشتغل بالعلوم الاجتماعية ـ على اتساعها وتشعبها ـ يدرك ادراكا واضحـا ليس فى حاجة الى تدليـل أن اهتمام المفـكرين بالاسرة وخصائصها ومشكلاتها هو اهتمام يضرب بجذور عميقة فى تاريخ الفـكر الانسانى ، بل انه يكاد أن يكون قديما قدم الفكر الانسانى نفسه(١) . ذلك أن الاسرة كنظام اجتماعى قديمة قدم الحياة الاجتماعية الانسانية . وعلى امتداد التاريخ الانسانى المدون تدل الشواهد على أن موضوع الاسرة قد حظى باهتمام من جانب الأدباء والفلاسفة والمفكرين(٢) . وبدأت دراسات الاسرة تتخذ طابعا علميا فى أواخر القرن التاسع عشر تحت وطأة التغيرات الكبرى التى شهدها النظام الاسرى فى المجتمعات الغربية فى أعقاب التقدم الصناعى الهائل الذى شهدته تلك المجتمعات ، وما ترتب عليـه من آثار اجتماعية بعيدة المدى .

ولقد شغلت دراسات الاسرة حيزا بارزا من اهتمامات المشتغلين بعلم الاجتماع فى الوقت الحاضر ، حيث أفردوا لها ميدانا خاصـا من ميـادين الدراسة فى هذا العلم ، وهو «علم الاجتماع العائلى» . كما أنها قد باتت

(*) كتب هذا الفصل الدكتور حسن أحمد الخولى الاستاذ المساعد بكلية البنات جامعة عين شمس ، وقد سبق تقديم هذا العمل الى مؤتمر الاسرة العربيـة .. الواقع والمتطلبـات ، الذى نظمه المعهـد العـالى للخـدمة الاجتماعية بالقاهرة فى مارس ١٩٩٠ . وينتهز المؤلف هذه الفرصة ليتقدم بجزيل الشكر الى الاستاذة الدكتورة سوسن عثمان عميد المعهد .

تمثل ــ بالاضافة الى ذلك ــ ميـدانا مشـتركا يلتقى فيه المشتغلون بعلم الانثروبولوجيا ، وعلم النفس ، وعلم الفولكلور ، والخدمة الاجتماعية ، وعلم السكان ، وعلوم التربية ، وغيرها • وأصبحت دراسات الاسرة تمضى على نحو علمى متطور ، مستفيدة فى ذلك من التقدم الذى تحقق لعـلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى على المستويين النظرى والمنهجى • فقد تعددت المنطلقات والأطر النظرية الموجهة لهذه الدراسات ، حيث شملت النظرية البنائية الوظيفية(٣) ، والنظرية التفاعليـة الرمزية (٤) ، ونظرية دورة حياة الأسرة(٥) ، والاتجـاه المادى التاريخى(٦) ، والاتجاه الدينى الاسلامى(٧) • واتسع نطاق دراسات الاسرة ، وشهد هذا المجـال تراكما واضحا ومضطردا بمرور الوقت ، حتى أصبحت هذه الدراسات تعد بالمئات ، وتتناول الاسرة بالتحليل العلمى من زوايا متعددة ، على امتداد مناطق ومجتمعات وثقافات العالم ، وعبر فترات تاريخية مختلفة(٨) •

ولسنا بحاجة هنا لاثبات مدى أهمية الاسرة كنظام اجتماعى انسانى • وحسبنا القـول بأنها نموذج مصغر للمجتمع • اذ أنها تجسد ــ بدرجة أو بأخرى ــ النظم الاجتماعية الأخرى الهامة ، كالنظام الاقتصادى ، والنظام الدينى ، والنظـــام السياسى ، والنظـــام التربوى ، ونظـــام الضبط الاجتماعى ، •• الخ • ويتضح هذا بجلاء عندما ننظر الى الاسرة فى اطار بنـائى ، أى فى تفاعلهـا وتساندها مع باقى نظـم وأنسـاق المجتمـــع الأخرى(٩) • وعندما ننظر اليها أيضا فى ضوء الوظائف المختلفة التى تؤديها •

وفى اطار هذه الرؤية البنائية التكاملية للأسرة ، فانه لا يمكن بأى حال من الاحوال دراسة الاسرة من حيث خصائصها ، وتغيرها ، ومشكلاتها ، دون فهم لخصائص ، وتغير ، ومشكلات المجتمع الكبير الذى توجد فيه • أى أن الدراسة العلميــة للأسرة لا تستقيم بمعـزل عن السياق الاجتماعى/ الاقتصـادى/الثقـافى/الدينى/السياسى الذى توجد فيه • بل ان الدراسة العلمية الصحيحة للاسرة فى عالم اليوم ، يجب أن تنطلق من منظور دينامى أشمل واعم لا يقتصر فقط على تناول الاسرة فى ضوء الملامح والخصائص

الديناميــة لمجتمعهــا على المســتوى الاقليمى أو الوطنى (أى فى داخل الحدود) ، وانما يتجاوز ذلك أيضا ليتناولها فى ضوء ديناميات التفاعل بينها وبين العالم الخارجى ، أى على المستوى القومى العربى والمستوى العالمى بوجه عام ٠

ان الاسرة ــ أية أسرة تنتمى الى شريحة طبقية ٠ وهذه الاخير جزء من طبقة ، توجد فى مجتمــع ، هو بدوره جزء من منظــومة كبرى هى المجتمع العالمى ٠ والمجتمع العالمى المعاصر ينقسم الى دول قوية وأخرى ضعيفة ، والى شعوب غنية وأخرى فقيرة ، والى مجتمعات متقدمة صناعيا وتكنولوجيا وأخرى تعانى التخلف الاقتصــادى والتخلف العلمى ٠ وقد دأبت الكتابات التى تركز اهتمامها فى هذا المجال على تقسيم العالم الى شــمال متقــدم ومهيمن ، وجنــوب متخلف وتابع ٠ وهذه القســمة الى «شمال» و «جنوب» لا يقصد بها المعنى الجغرافى الذى يشير اليه كل من هذين المفهومين ، وانما يقصد بها التعبير عن الثنائية التى ينقسم اليهــا النظام الاقتصادى العــالمى المعاصر ٠ وهى ثنائية تجسد التناقض بأجلى صوره ومعانيه ، فالشمال والجنوب تعنى التقدم والتخلف ، كمــا تعنى السيطرة والتبعية ، حيث تكون العلاقة بين طرفى هذه الثنائية هى علاقة بين طرف مستغل (بكسر الغين) وطرف مستغل (بفتح الغين) ٠ ذلك ان النظام الاقتصادى العالمى المعاصر يتكون من الدول الرأسمالية والصناعية وهى ما تعرف «بدول المركز» (التى تمثل الشمال) ٠ ومن الدول الفقيرة المتخلفة التابعة التى تعرف «بدول الاطراف» (التى تمثل الجنــوب) ٠ وتقوم العلاقة بين دول المركز ، ودول الاطراف على نحو غير متكافىء وغير عادل ٠ اذ أن الاولى تحقق تقدمهــا وازدهارها ورفاهيتهــا عن طريق اضعاف وافقار وتعويق تقدم الأخرى ٠ وتكون المحصلة النهائية للعــلاقة بينهما هى أن يزداد الغنى غنى ويزداد الفقــير فقرا ، ويزداد المتقــدم تقدما ولا يستطيع المتخلف أن يفلت من براثن التخلف[١٠] ٠

فالأسرة اذن ليست بمعزل عن تأثير المؤثرات العالمية المختلفة ٠ ويمكن أن تصدر بعض القرارات الاقتصــادية/السياسية فى احدى عواصم الدول

الكبرى المتقدمة فتتردد أصداؤها بين الأسر فى أكثر دول العالم فقرا وتخلفا . ذلك أن كثيرا من هذه البلدان الفقيرة التابعة ترسم فى كثير من الاحوال سياستها وتشريعاتها المنظمة لحياة مواطنيها على ضوء ما يصدر من قرارات فى عواصم الدول الكبرى(١١) . كما لا تستطيع الاسرة ـ أيا كان مكانها ـ فى عالم اليوم أن تعزل نفسها عن رياح التغيير العاتية التى تهب على مجتمعها من كل اتجاه . ففى عصر تكنولوجيا الفضاء والاقمار الصناعية ، والبث التليفزيونى والاذاعى على نطاق عالمى ، وغزارة الانتاج السينمائى ، وانتشار أجهزة وأفلام الفيديو ، تصبح الاسرة فى قلب الدوامة . كما تصبح فى الوقت نفسه جزءا من عالم كبير يتجاوز الحدود المكانية الاقليمية ويمتد الى آفاق بعيدة

وهناك أحداث كبرى تقع فى بعض مناطق العالم فتهتز لها أركان المجتمع العالمى بأسره . ومن الامثلة على ذلك ، **حرب أكتوبر/رمضان** بين مصر واسرائيل فى عام ١٩٧٣ وما أعقبها من تداعيات . فقد شهد العالم ـ وربما لأول مرة ـ أزمة حادة فى الطاقة نظرا للموقف العربى الجماعى الذى فرض حظرا على امداد الاسواق العالمية بالبترول . وقد أدى هذا الحظر الى حدوث طفرة هائلة فى أسعار البترول نظرا لشدة الطلب العالمى عليه . وجاءت هذه الطفرة بمثابة فرصة العمر للدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط ، وخاصة دول الخليج ،فتضاعفت عوائدها البترولية بشكل طفرى حاد . ومع تراكم هذه الثروات الهائلة بدأت هذه الدول خططا تنموية طموحة بشكل غير مسبوق . ولما كان تنفيذ تلك الخطط التنموية يتطلب أعدادا هائلة من العمال والفنيين والخبراء تفوق امكانيات هذه الدول ، فقد فتحت الابواب واسعة أمام العمالة الوافدة من الخارج . وأصبحت عندئذ **منطقة جذب هامة** ، أو منطقة **مستوردة للعمالة**(١٢) . وشهدت هذه الدول رواجا اقتصاديا كبيرا . وارتفعت مستويات المعيشة ارتفاعا كبيرا نظرا لزيادة مستويات الدخل . وساعدت الحكومات فى هذه الدول على توفير وسائل الرفاهية للمواطنين فيسرت لهم امكانية الحصول على قطع من الارض لبناء مساكن عليها ، مع قروض مالية طويلة الأجل

لمواجهة تكاليف البناء . فساعد هذا على زيادة حركة التعمير ، وضاعف من الطلب على العمالة الرخيصة غير الماهرة . ومع انتشار **نمط الاسرة النووية** نتيجة لاستقلال الابناء بزوجاتهم وأطفالهم عن الاسرة الممتدة ، حيث يكون بالامكان توفير مسكن خاص مستقل لكل ابن(١٣) ، فقد ازداد الطلب على العمالة المنزلية ، أى الخادمات ، والمربيات ، والسائقين . وأصبحت هذه العمالة المنزلية من رموز المكانة الاجتماعية والوجاهة ، كما أصبح من المألوف أن تجد لدى الاسرة الصغيرة عددا من الخدم يساوى عدد أفراد الاسرة ذاتها ، بل ويزيد فى بعض الحالات . وقد ضاعف هذا بدوره من الطلب على هذه العمالة ، التى يمثل **النوع النسوى** جزءا كبيرا منها .

أما على الساحة العالمية ، فان الصورة قد اتخذت شكلا مختلفا : فقد أدت الطفرة الهائلة فى أسعار البترول الى زيادة تكلفة الانتاج الصناعى فى الدول الصناعية الكبرى . وقد ساعد على ذلك أيضا ارتفاع نفقات النقل العالمى ، وخاصة النقل البحرى ، نظرا لاغلاق قناة السويس واضطرار الخطوط الملاحية لاستخدام طريق رأس الرجاء الصالح . وكانت الاستجابة الطبيعية لذلك من جانب الدول الصناعية هى رفع أسعار منتجاتها بشكل طفرى أيضا . وهكذا شهد المجتمع العالمى حركة غلاء وتضخم .

ولما كانت الدول الفقيرة (دول الجنوب) تمثل السوق المستهلكة لانتاج العالم الصناعى (الشمال) ، الى حد كبير ، فانها ـ أى الدول الفقيرة ـ هى التى كانت **الضحية** ، حيث أنها هى التى دفعت ضريبة الحدث كله فى النهاية . لقد ساءت الاحوال الاقتصادية فى هذه الدول أكثر مما هى عليه . وتراكمت الديون الخارجية ، وأصبحت التزاماتها نحو خدمة هذه الديون تستهلك القسط الأكبر من الناتج القومى لكل منها . فلم يعد بمقدورها مواجهة متطلبات التنمية . وينخفض مستوى المعيشة فيها انخفاضا حادا .

ونظرا لتخلف أساليبها فى الانتاج ، فان ما يتبقى من الناتج القومى

بعد خدمة الديون لا يكفى لتوفير الحاجات الضرورية للمواطنين ، فلا يكون هناك من بديل سوى طلب المزيد من القروض ، ومن ثم الاستغراق فى المزيد من الديون ويصبح مثلها كمثل المستجير من الرمضاء بالنار . وهكذا تجد تلك الدول نفسها فى داخل الحلقة الجهنمية للفقر والتخلف والتبعية ،ويساعد فى أحكام هذه الحلقة الجهنمية زيادة مضطردة فى اعداد السكان ، وانخفاض مضطرد فى مستويات المعيشة ، فيزداد الفقر والبؤس . ويصبح المجتمع أشبه ما يكون باناء من آنية البخار ، يكاد ينفجر ما لم ينفتح صمام الامان ليخفف شيئا من الضغط . وترى حكومات هذه الدول أن صمام الامان يمكن أن يكون فتح الابواب على مصراعيها أمام الهجرة الخارجية . فتصبح عندئذ **مناطق طرد ، أو مناطق مصدرة للعمالة** .

وعلى ضوء هذه الصورة التى حاولت أن أوضح ملامحها العامة بقدر الامكان ، أعود فأركز على جانب محدد منها ، وهو منطقة عالمنا العربى المعاصر . وهى المنطقة التى تضم فى الوقت ذاته بين جنباتها كلا من النقيضين الاقتصاديين اللذين أشرت اليهما فيما سبق . أى منطقة الجذب . **المستوردة للعمالة** ، وهى مجموعة دول الخليج المنتجة والمصدرة للنفط ، ومن أهمها المملكة العربية السعودية ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، والعراق . ومنطقة الطرد ، **المصدرة للعمالة** ، ومن أبرز اقطارها جمهورية مصر العربية ، وجمهورية السودان ، وجمهورية الصومال . والهدف من هذا التركيز هى محاولة القاء بعض الاضواء على بعض مشكلات الاسرة فى عالمنا العربى المعاصر فى اطار ديناميات التفاعل والتأثير المتبادل بين هذين النقيضين المتكاملين . وهما متكاملان لأن كلا منهما يؤدى وظيفة هامة للآخر بحكم الظرف التاريخى الذى يمر به كل منهما .

وسوف يكون الاهتمام هنا منصبا على بعض مشكلات الاسرة فى ثلاثة مجالات هى : **الزواج ، وأدوار المرأة ، والتنشئة الاجتماعية** . أما زاوية

الرؤية التى يتجه منها النظر الى هذه المجالات فهى **الصراع بين المثـل الأعلى والواقع**(١٤) • والمثل الأعلى هنا أقصد به نمط السـلوك **الواجب** اتباعه ، أو **المفروض** اتباعه فى ثقافة مجتمع ما فى موقف معين من مواقف الحياة الاجتماعية • وهناك صراع دائم ومستمر بين المثل الأعلى والواقع• وكثيرا ما يكون السلوك الاجتماعى الواقعى مختلفا عن المثـل الأعلى • والاختلاف بينهما يحدث فى كل مكان وزمان بدرجات متفاوتة • غير أن درجة الاختـلاف قد تصل الى حد يتجـاوز نطاق ما هو مألوف ــ على علاته ــ وتشير الى وجود مشكلات اجتماعية تتطلب المواجهة والاصلاح •

وفيمـا يتعلق بالمادة الواقعيـة ، فقد استمدها الباحث من مصـادر عديدة ، منهـا طائفة من الاخبـاريين أصحاب الدراية بالمجالات الاسرية موضوع بحثنا • **ومشاركة الباحث فى احتفالات الافراح والزفاف** بدعوة من أصحابها ولم يقتصر دوره فيهـا على قبـول الدعوة للمجاملة وانما كان حرصه كبيرا على أن يلعب فيها دور الباحث الملاحظ المشارك • **ومناقشات الباحث وحواره** مع طلابه وطالباته خلال محـاضراته أثناء تدريسه مادة «علم الاجتماع العائلى» بالجامعة طيلة أربع سنوات متتالية فى الفترة من ١٩٨٦ الى عام ١٩٨٩ ، واجاباتهم على **أسئلة استبيانات** تدور حول عدد من المجـالات المتعلقة بالنظـام الامرى وتغـيره فى الآونة الأخيرة(١٥) • ومتابعة الباحث لعدد من المؤتمرات **والندوات العلمية** المتعلقة بالأسرة ، وذلك من خلال اطلاعه على بعض الموضوعات المطروحة بها ، وما دار حولها من مناقشات وتوصيات•وما يصدرفى الصحف والمجلات من تحقيقات ومقالات حول كثير من المشكلات الاسرية ، **والشكاوى** التى يرسلها كثـير من الناس الى الصحف وتحمل ألوانا من المعاناة فى نطاق الحياة الاسرية ، ويطلبون المساعدة بالرأى والنصح والمشورة لمواجهة تلك المشكلات •

وأما فيما يتعلق بالاطار المكانى الذى يشمله هذا البحث ، فانه يضم الدول العربية الخليجية البترولية وبخاصة المملكة العربيـة السـعودية ، والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ، كنموذج للدول العربية الغنية•

وجمهــورية مصر العربيــة كنمــوذج للدول العربية الفقيرة ٠ وقد حرص الباحث على أن تكون رؤيته للمشكلات الاسرية على مستويين ، **أولهما** ، هو طبيعة هذه المشـكلات فى اطار خصوصية كل نمــوذج من النموذجين المذكورين ، واتساقها مع ملامحه وخصــائصه وظروفه ٠ **وثانيهما** ، هو طبيعة المشكلات فى اطار علاقات التفاعل بين هذين النموذجين واتصــال كل منهما بالآخر ٠ وسوف أرمز للمجموعة التى تضم الدول الغنية بالرمز (أ) ٠ وللطرف الممثل للدول الفقيرة بالرمز (ب) من قبيل الاختصار ٠

أولا ـ مشــكلات فى مجــال الزواج

١ ـ تنظيم الاســلام للزواج :

غنى عن البيان أن الزواج هو الاساس الذى تقوم عليه الأسرة ٠ فهو الاسلوب الذى يقره الدين والمجتمع للانجاب والتناسل ٠ وتتكون الاسرة فى أبسط أشــكالها ـ وهى الاسرة النــووية ـ من الزوجين وأطفالهما أو أبنائهما غير المتزوجين ٠ ولقد نظم الاسلام الزواج تنظيما محكما ، فحدد أركانه وشروطه ، ومنها **الرضا والقبول ، والمهــر أو الصداق ، وشــهادة الشهود والاشهار** ٠ أى أن ديننا الحنيف يشترط لصحة زواج الفتاة التحقق من رضــاها ٠ ففى الحديث الشريف «لا تنكح الثيب حتى تستأمر ، ولا البــكر حتى تستأذن ، واذنها صمتها» ٠ ومن ثم يكون الزواج باطلا اذا أكرهت الفتاة على الزواج بمن لا ترضى ٠ كما يشترط دفع المهر أو الصداق للعروس قبل الدخول بها ٠ والمهر ليس فى نظر الاسلام ثمنا للعــروس ٠ ومن أجل أن يجــرد الاســلام المهــر من عنصر الثمنية المادية ، خفضــه حتى جعله رمزيا،فقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) لمن أراد أن يتزوج وليس لديه مال : «التمس ولو خاتما من حديد» ، وكان فقراء الصحابة يتزوجون بملء الكف طعاما من قمح أو شعير أو صاع من التمر ٠ وقد ذهب الاسلام الى أبعد من ذلك فى تحرير المهر من الثمنية ، اذ جعله وسـيلة لفعل الخير وعملا من أعمال البر ، كالعتق من الرق ونشر العلم والعقيدة ٠ من ذلك أن النبى (صلى الله عليه وســلم) أعتق جويرية بنت الحــارث

المصطلقية وتزوجها ، وكان عتقها من الرق مهرا لها . كذلك تزوجت أم سليم بنت ملحان أبا طلحة الانصارى ، على أن يسلم ، فاسلم ، وكان مهرها اسلامه . وزوج النبى (صلى الله عليه وسلم) امرأة لرجل لم يكن لديه مال على أن يعلمها ما يحفظ من القرآن وكان يحفظ بضع آيات منه . وفرع الفقهاء على ذلك أن العلم يصح أن يكون مهرا . ومن أجل ذلك دعا الاسلام المهر «صداقا» لاشعار الزوج بصدق رغبته فى الزواج ، ودعاه «نحله» (بكسر النون وتسكين الحاء) وهو العطاء بغير عوض . وفى ذلك يقول تعالى «وآتوا النساء صدقاتهن نحله» (النساء : ٤)»(١٦) . وفى مجال الحث على عدم المغالاة فى المهور ، قوله صلى الله عليه وسلم : «خير المهر أيسره» ، وقوله : «أعظم الزواج بركة أيسره مئونة» .

ولقد نظر الاسلام الى الزواج على أنه رباط بين الزوجين يحقق المودة والرحمة والطمأنينة والألفة وحسن المعاشرة . فقال تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» . وقال (صلى الله عليه وسلم) : «انما النساء شقائق الرجال» ، وقال «استوصوا بالنساء خيرا» ، وقال «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» ، وقال «اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» .

تلك هى نظرة الاسلام للزواج . وهى المثل الأعلى الذى يتعين على المجتمع أن يتمثله فى مجال السلوك الاجتماعى الخاص بالزواج .

٢ ـ مشكلات الزواج فى المنطقة (أ) :

هناك تأكيد على أن الزواج كان فى الماضى ميسرا وبسيطا ، كما كان بوسع الشباب أن يتزوجوا فى سن مبكرة متى رغبوا فى ذلك . فقد أجمع الاخباريون على هذا ، كما أكده (٩١٪) من الطلاب و (٨٢٫٤٪) من الطالبات . ويرجع ذلك الى بساطة الحياة الاجتماعية بوجه عام فى اطار المجتمع التقليدى ، وقبل حدوث التغير المفاجىء والسريع الذى شهده المجتمع فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ . لقد كان المهر فى متناول اليد ،

ولم تكن مظاهر الاحتفال تتطلب نفقات كثيرة ، حيث لم يكن هناك مجال للبذخ والاسراف .

أما فيما بعد عام ١٩٧٣ ، فقد شهدت المنطقة (أ) تغيرات بعيدة المدى على نحو ما ذكرنا من قبل . وامتدت آثار هذه التغيرات فأصابت موضوع الزواج(١٧) . «ولقد كان المأمول أن ينعب التغير الاجتماعى والثقافى فى المجتمع دورا فى تغير بعض مظاهر العادات والتقاليد ، الا ان انتقال الافراد فجائيا من المجتمعات التقليدية الى المدن ، وارتفاع المستوى المادى للأفراد ، وغياب الوعى بينهم ، ومحاولة البعض محاكاة البعض الآخر ، أدى الى انتكاس الوظيفة الفعلية للتغير الاجتماعى والثقافى . فبدلا من أن تحد من بعض العادات والتقاليد القديمة ، نجد ازديادها بذخا وتفنينا فى الاسراف . بل واختفت صور التعاون التى كانت تتم بين أفراد المجتمع ، المتمثلة فى الرفد والقود»(١٨) .

ويمكن ايجاز أهم ملامح التغير التى شهدها موضوع الزواج خلال تلك الفترة فيما يلى :

(أ) **ارتفعت المهور ارتفاعا كبيرا** لدرجة أصبح معها من الصعب على كثير من الشباب امكانية تدبير المهر . وذلك من قبيل المباهاة والتفاخر من جانب أولياء أمور الفتيات ، حيث لايزال المهر يعد مؤشرا على المكانة الاجتماعية لأهل الفتاة . كما لايزال المهر يتحدد بالقياس الى المهور المدفوعة لفتيات أخريات فى المحيط القرابى وفى محيط الجيرة . وقد بلغ مقدار المهر فى المتوسط ما بين مائة ومائة وخمسين ألف ريال .

(ب) ازدادت تكاليف ونفقات الزواج الأخرى ، حيث يشترط أهل العروس اقامة حفل الزفاف بأحد قصور الافراح ، ويبلغ متوسط أجره فى الليلة خمسين ألف ريال . وشراء مصوغات من الذهب والمجوهرات للعروس ووالدتها وأخواتها تبلغ قيمتها فى المتوسط ما بين سبعين ومائة ألف ريال . وهدايا عينية مثل الملابس وقطع القماش الفاخرة للعروس وجميع أفراد أسرتها ، وتبلغ قيمتها فى المتوسط عشرين ألف ريال . ذبائح

وتكاليف عشاء للمدعوين والمشاركين فى حفل الزفاف ، وعلب من الحلوى ، تبلغ قيمتها عشرين ألف ريال . مغنية لاحياء حفل الزفاف وتتقاضى فى المتوسط أجرا يصل الى ثلاثين ألف ريال . مبلغ من المال هدية لأم العروس كمقابل لتربيتها للعروس وهويالتحديد عشرون ألف ريال تتسلمها أم العروس من العريس قبل أن يغادر «المنصة» (الكوشة) هو وعروسه وهو ما يعرف «بحق النقــول» ، أى مقــابل انتقال العــروس من بيت أهلها الى بيت العريس . مبلغ عشرين ألف ريال تتسلمها العروس من يد العريس عندما يدخلان غرفة نومهما كشرط لتمكينه من الدخول بها ، ويسمى هذا المبلغ مقابل «فك الوزرة»(١٩) .

(جـ) **أدى انتشار التعليم** بالنسبة للاناث ، والتحاق الكثــيرات منهن بالجامعة ، الى تأخير سن الزواج بالنسبة للشباب من الجنسين . بل أن كثيرا من الشباب يعرضون عن الزواج بالجامعيــات ، حيث تتهم الفتــاة الجامعية بالغرور . وكلما ارتفع المستوى التعليمى للفتاة ، قلت فرصتها فى الزواج .

(د)وقد ترتب على ذلك ظهورمشكلاتكان ضحيتها الشباب منالجنسين: **فبالنسبة للشباب** ، ظهرت موجة من **الاعراض عن الزواج** ، وذلك نظــرا لضيق ذات اليد وعدم القدرة على تدبير المهر والنفقات الأخرى الباهظة . ومن يبادر الى الزواج فانه يضطر الى الاستدانة . ومن الطريف أن بعض الأقوال التى اتخذت شكل الامثال العامية التى أفرزها الوضع ، ما يتردد على الألسنة فى الوقت الحاضر بين الشباب حيث يقولون «ما تزوج رجل الا استدان» . وبالنسبة للفتيات ، ظهرت مشكلة **«العنوسة»** . كما ظهر فى محيطهن اتجاه سلبى نحو التعليم وخاصة فى مراحله العالية(٢٠) .

(هـ) أفرزت هذه المشكلات عددا من أنماط السلوك التى تشــير الى تغير فى انساق القيم فى محيط الشباب ، ومنها : اقدام كثير من الشــباب على **الزواج بفتيات من خارج المجتمع السعودى** ، وخاصة من المجتمعات العربية الفقيرة التى يمكنهم الحصول على زوجات منها بأيسر التكاليف .

وهذا مما يضاعف من تفاقم ظاهرة العنوسة بين الفتيات السعوديات . ودأب كثير منهم على **السفر الى الخارج** ، حيث يجدن فى السفر مآرب أخرى تغنيهم عن الزواج المستحيل . وظهر اتجاه جديد ـ وهو اتجاه ايجابى فى نظرى ـ **لاقتران الشباب بفتيات من دور الرعاية الاجتماعية** ، حيث يكون الزواج بهن ميسورا وغير مكلف(٢١) . ومن الطريف أن ظاهرة جديدة قد بدأت فى الظهور مؤخرا ، وهى ظاهرة **«الزواج عن طريق الاعلان»** ، حيث استحدثت بعض الصحف خدمة صحفية جديدة لقرائها ، وهى الاعلان عن رغبتهم فى الزواج مع ذكر بعض المواصفات العمرية ، والتعليمية ، والمهنية ، والجمالية عنهم(٢٢) .

(و) ومع تفاقم المشكلات فى مجال الزواج ، بادرت الدولة على المستوى الرسمى باصدار التوجيهات الى أمراء المناطق للتنسيق مع شيوخ القبائل والاهالى من أجل ابرام وثائق اتفاق للحد من غلاء المهور وتكاليف الزواج ، بحيث يتيسر للشباب الاقبال على الزواج(٢٣) . كما بادرت الجمعيات الخيرية التطوعية من جانبها بالمساهمة فى مواجهة تلك المشكلات ، وذلك بتقديم المساعدات للمحتاجين المقدمين على الزواج(٢٤) .

٣ ـ مشكلات الزواج فى المنطقة (ب) :

(أ) تبرز مشكلات الزواج بالمنطقة (ب) فى القطاع الحضرى ، وفى محيط الطبقة الوسطى ، على نحو أوضح . ففى المدن هناك أزمة حادة فى الاسكان ، وبات الحصول على مسكن للزواج أمرا عسير المنال بالنسبة للغالبية من الشباب(٢٥) . ولا تبدو المشكلة بنفس الدرجة من الحدة فى المناطق الريفية بوجه عام ، أو بين الشرائح الطبقية العليا والدنيا فى المدن . فالمناطق الريفية لا تعانى أزمة الاسكان على النحو الموجود بالمدن . والشرائح العليا والدنيا فى المدن . فالمناطق الريفية لا تعانى أزمة الاسكان على النحو الموجود بالمدن . والشرائح العليا فى المدن هى وحدها التى تستطيع التغلب على هذه المشكلة عن طريق شراء شقق لأبنائها ، أو توفير المسكن لهم فى حالة تملك العقارات(٢٦) . أما الشرائح

الدنيا فى المدن فان مطالبها وتطلعاتها بالنسبة لنمط المسكن محدودة ، ويمكن أن يؤدى الجهد المبذول من جانبها فى نهاية الأمر الى مواجهة المشكلة على نحو أو آخر . ولكن المشكلة فى محيط الطبقة الوسطى بالمدن تتخذ بعدا آخر . ذلك أن هناك اعتبارات نفسية ، اجتماعية ، ثقافية لاتزال ترسم نظرة أبناء هذه الطبقة للحياة والمواقف المختلفة . اذ يتعين أن تكون «الشقة» ذات مواصفات ومقاييس معينة لا يجب التنازل عنها . وهكذا يكون الأمر أيضا بالنسبة للاثاث ولوازم المعيشة . يضاف الى ذلك مواصفات معينة يتطلبها الشباب والفتيات عند الاختيار للزواج فى محيط هذه الطبقة ، مما يزيد من تعقيد المشكلة .

(ب) ومن جهة أخرى ، **فان انخفاض مستوى المعيشة** قد أصبح يمثل قاسما مشتركا أعظم بين غالبية المجتمع ، وذلك فى أعقاب الانفتاح الاستهلاكى خلال العقدين الاخيرين . وساعد على ذلك ازدياد السكان بشكل مضطرد ، وارتفاع الاسعار وزيادة تكاليف المعيشة ، نظرا للتضخم المضطرد ، وعدم زيادة الدخل الفردى بما يتناسب مع زيادة تكاليف المعيشة .

(جـ) وفى ظل مناخ الانفتاح الاستهلاكى ، وظهور **«شركات توظيف الأموال»** ، وابتلاع أجهزة الدولة الرسمية الطعم ووقوعها فى الشرك الذى نصبته لها تلك الشركات ، ساهمت الحملات الاعلامية وفنون الدعاية والاعلان فى الهاب روح التطلع ، والرغبة فى الاستهلاك ، والرغبة فى الحصول على المال فى أسرع وقت من أقصر طريق . وأصبح **المعيار المادى** هو المعيار الاساسى للتقييم .

(د) **فى ظل هذا المناخ ، برزت ظاهرة زواج المصريات بأجانب** ، وكان السواد الاعظم منهم من أبناء المنطقة (أ) . وقد ساعد على ظهور تلك الظاهرة الظرف التاريخى الذى تمر به كل من المنطقتين (أ) و (ب) . فقد جعل كلا منهما تجد حاجتها لدى الأخرى . كما ساعد على ظهورها أيضا ذلك **التقصير الشديد** من جانب الجهات الرسمية بالمنطقة (ب) فيما يتعلق

برعاية حقوق المرأة فيها ، وصيانة مصالحها ، وضمان مستقبلها ، وعدم تعريضها للاستخدام كسلعة رخيصة سهلة المنال · ذلك أن **القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٧٦** الذى ينظم زواج الاجانب من المصريات لا يصلح مطلقا لضمان حقوق المرأة المصرية ومستقبلها فى حالة زواجها بأجنبى · بل ان هذا القانون بشكله الراهن يمثل ـ فى نظرى ـ صيغة للاضرار بها وامتهان كرامتها · وانى أناشد رجال التشريع فى مصر ، والجمعيات النسائية ، والجامعات ومراكز البحوث ، ونقابة المهن الاجتماعية ، أناشدهم جميعا أن يبادروا باتخاذ الخطوات الكفيلة باعادة النظر فى هذا القانون ، صونا لأعراضنا ، وصونا لكرامة المرأة المصرية ، بل والمجتمع المصرى بأسره[٢٧]·

٤ ـ مشكلات الزواج المختلط بين المجموعتين (أ) و (ب) :

يمكن أن أوجز بعضا من المشكلات ، وذلك فيما يلى :

(أ) عدم استقرار الزواج المختنط ، وذلك لأن «الزوجة الاجنبية» غالبا ما تكون غير مقبولة فى المحيط الاجتماعى بالمنطقة (أ) · وتدل الشواهد الواقعية وشهادات الاخباريين ، على أن مصير هذا الزواج غالبا ما ينتهى بالطلاق · اذ أن اختلاف العادات والتقاليد ومعايير السلوك بين الزوجين كثيرا ما تكون وراء الفشل فى عملية التوافق الزواجى بينهما ·

(ب) تقضى النظم المعمول بها فى المنطقة (أ) فيما يتعلق بمنح الجنسية للزوجة الاجنبية بأنه يشترط لذلك : مرور خمس سنوات على الزواج تقضيها الزوجة فى داخل اقليم المنطقة (أ) · كما يشترط تنازلها عن جنسيتها الاصلية · وهناك حالات لم يصرح فيها للزوجة بالحصول على الجنسية نظرا لوفاة الزوج قبل مرور خمس سنوات · وهنا تبدأ مرحلة من المعاناة الشديدة حيث يكون أطفالها من مواطنى المنطقة (أ) بحكم جنسية والدهم ، فى حين أنها تبقى «أجنبية» · ويترتب على هذا الوضع ما يمكن أن نطلق عليه «مأساة» بالنسبة لها ، حيث تواجه بالكثير من العقبات فى مجال السفر ، والمعاملات ·

(جـ) وفى حالة وقوع الطلاق ، تبدأ سلسلة من المشكلات فيما يتعلق

بالأطفـال وحضانتهم ٠ وتدخل عنـدئذ دوامة النزاع والاختصـــام أمام المحـاكم ٠ ولا شك أن الاطفـال هم أيضـا يكونون ضحايا فى مثل هذه الظروف ٠

لقد كان التركيز فيما سبق ــ كما يبدو ــ منصبا على موضــوع المهــر وتكاليف الزواج ٠ أى على الجانب الاقتصادى أو المادى ٠ غير أن الجانب النفسى أو المعنوى فيه ، وهو شرط الرضا والقبول،رأيت أن أعرض له هنا أيضـا لأنه يمثل موضوعا جوهريا بالنسبة للمرأة بوجه خاص ٠ ذلك أن الفتـاة لا تتزوج الا من خلال «ولى» يتولى أمرها ٠ وهو الشخص الذى يكون بيده «عقدة النكاح» ٠ ويقضى الشرع بأن تستأذن الفتاة عن طريق وليها ، وان تبدى موافقتها على الزواج بمن يتقدم لخطبتها والزواج منها ٠ كما يحرم اكراه المرأة على الزواج بمن لا ترغب ٠

غير أن السلوك الواقعى يختلف اختلافا بينا عن المثل الأعلى أو المعيار الشرعى ٠ فقد قرر (٦٢٪) ممن أجبن على أسئلة الاستبيان ، اللاتى مررن بخبرة الزواج (أى المتزوجات ، والمطلقات ، والأرامل) ، أنهن لم يبدين موافقتهن على الزواج ، وانما كان أولياء أمورهن يوافقون نيابة عنهن ويقومون باتمام عقد القران ٠ ويلاحظ أن هذا السلوك نفسه يصـدر عن كثير من أولياء الامور فى المنطقة (ب) ، وخاصة فى الريف ٠ كما يلاحظ أنه يقل كلما ارتفع المستوى التعليمى للفتاة ، والعكس صحيح ٠ وهو سلوك يصدر عن أولياء الامور من باب رؤيتهم لصالح فتياتهم ، وحرصهم على تأمين مستقبلهن ٠ غير أنه ــ مهما حسنت النوايا ــ يعد انتهاكا لحق من حقوق المرأة التى كفلها لها الشرع الحنيف ٠

ثانيا ــ مشكلات متعلقة بأدوار المرأة

تعـد المشـكلات الاجتماعية بوجه عام افرازا للواقع الاجتماعى الذى تظهر فيه ٠ فالمشكلات التى تظهر فى مجتمع معين قد لا تكون هى بعينها فى مجتمع آخر ٠ وهناك مشكلات عامة تشترك فيها المجتمعات المختلفة ، غير انها تختلف فى عمقها وتفاصيلها وملابساتها وفقا لخصوصية كل مجتمع

وكل ثقافة . ومن ثم فان المشكلات المتعلقة بأدوار المرأة تتخذ طابعا مميزا فى كل من المنطقتين (أ) و (ب) يتسق مع خصوصية كلا منهما .

١ ـ المشكلات المتعلقة بادوار المرأة فى المنطقة (أ) :

(أ) هنـــاك رأى عام ســائد يرى ان الدور الاساسى للمرأة ، والذى لا يعلو عليه أى دور آخر ، **هو دورها كزوجة وأم وربة بيت** . وأنه يجب عليهــا ، لكى تؤدى هذا الدور عــلى نحو ســليم ، أن تخلص فى طاعة زوجها ، وأن تحفظ ماله ، وأن تحافظ على نفسها اذا غاب ، وأن تربى أطفاله تربية صالحة . أى أن البيت هو عالمها ومملكتها التى تحقق فيهــا ذاتها وتثبت وجودها ، وما عدا ذلك يعتبر استثناءا(٢٨) .

(ب) ويرتبط هذا الرأى العام الغالب ، بطبيعة **النظرة الى المرأة** . وقد عبرت احدى الكاتبات المثقفات عن هذه النقطة بقولها : «لازال البعض يحتقر المرأة ولا يعترف بقدراتها ولو بلغت من العلم والثقافة ما لم يصــله هو .. ولو نالت منصبا متميزا فهى فى نظره مجرد امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة .. لقد حسم الدين الاسلامى هذا الامر ، وأعطى المرأة حقوقها كاملة ، بدءا بتحــريم وأدها تحت التراب صغـيرة فى مهـدها الى أن تصبح زوجة وأما .. ولازال البعض يرى أن المرأة جنس ضعيف ، هش ، قاصر التفكير ، غير قادر على القيام بأكثرية الاعمال الصعبة ، وأن الرجل هوالقادر دائما ،والناجح دائما ،والذى يتصدر الانتصاراتوالمبادرات»(٢٩).

وعلى الرغم من انتشار التعليم ، وخاصة بين الاناث ، وحصول أعداد كبيرة منهن على مؤهلات جامعية عليا فى مختلف التخصصات ، فان كثيرا منهن لا يزاولن أعمالا بعد تخرجهن فى الجامعة . ومن أسباب ذلك : أن المرأة المتزوجة لا يمكن لها أن تعمل خارج النطاق المكانى لأسرتها . كمــا لا يفضل أن تمارس عملا تضطر فيه الى التغيب عن منزلها ليلا (كعمــل الطبيبة مثلا) . وهناك أعمال تلقى قبولا عاما من المجتمع اذا التحقت بها المرأة ، حيث لا تمارســها فى وجود الرجال ، كالتــدريس بمدارس البنات ، والعمل كأخصائية اجتماعية . ومن ثم فان مجالات العمل بالنسبة

للمرأة تعد محدودة ، نظرا للقيود التى يفرضها المجتمع والثقافة فى المجـال .

(د) ونظرا لسهولة الحصول على الخادمات والمربيات الاجنبيات ، فان الاعمال المنزلية لم تعد تشكل عبئا على كاهل المرأة . وأصبح لديهـا وقت فراغ طويل . حتى أن **ظاهرة الفـراغ** قد باتت من المشـكلات التى تعانيها المرأة بشكل حاد ، حيث ترتبط بمشاعر الملل والضيق والتوتر .

٢ ــ المشكلات المتعلقة بأدوار المرأة فى المنطقة (ب) :

(أ) اذا كانت مشكلة الفراغ هى واحدة من المشكلات التى تعانيهـا المرأة فى المنطقة (أ) ، فان العكس صحيح بالنسبة لأغلبيــة النســاء فى المنطقة (ب) . اذ أن القيــود المفروضة على عمل المرأة وأدوارها خارج المنزل فى المنطقــة (أ) لا وجود لهــا بنفس الصرامة والتشدد فى المنطقة (ب) . وهنــاك دراســات عديدة تناولت أدوار المرأة فى الريف والحضر بالمنطقة الأخيرة(٣٠) . وأثبتت هذه الدراسات أن المرأة قد تحملت مئونة القيام بأدوار الزوج فى حالة غيابه . وأنها قد استطاعت أن تدير عجـلة الحياة وأن تتخذ القرارات التى لم تكن تتخذها من قبل . وهذا دليل ناصع على أن المرأة قوة عاملة وفعالة ، يمكن أن تساهم فى دفع عجلة التنمية بقوة وعزم ، جنبا الى جنب مع الرجل .

والملاحظ هو أن الاسرة المصرية قد شهدت حالة من «التأنيث» ، على نحو ما يرى البعض ، فى معرض حديثة عن نتائج هجرة العمالة المصرية للخارج . من ذلك ، مثلا ، ما ذهب اليه سعد الدين ابراهيم ، بقوله :

«من بين الآثار الجانبية المذهلة لهجـرة العمالة هو ما يمكن تسميته «بتأنيث الاسر المصرية» . اذ يقدر أن حوالى نصف المصريين المتزوجين النازحين الى البلدان العربية ، يتركون زوجاتهم وأطفالهم فى الوطن الأم . وهذا ما يؤدى الى أن الزوجة غالبا ما تتولى بنفسها ادارة الاسرة بصورة كاملة ، بما فى ذلك تربية الاطفال ، فى أخطر سنوات نشأتهم . ان جيلا

كاملا من ناشئة مصر ، ينمو الآن في ظل عائلات وحيدة الوالد . فالوالد الآخر لا يعدو كونه ، زائرا يفد الى العائلة بين فترة وأخرى»(٣١) .

(ب) ولم يقتصر تأثير الهجرة الخارجية على ذلك فحسب،بل انها قد تركت آثارا أبعد مدى أيضا ، حيث دخلت المرأة من المنطقة (ب) ميدان الهجرة الى المنطقة (أ) . فقد بلغ عدد النساء المصريات اللائى تعاقدن للعمل فى المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٩ ، ٧٨١٧ ، هذا بخلاف الزوجات اللائى يصحبن أزواجهن . وبهذا شكلن حوالى ٦٪ من مجموع المصريين المتعاقدين للعمل فى المملكة العربية السعودية فى تلك السنة (البالغ مجموعهم ١٣٦٨٥٥) وفقا لبيانات الكتاب الاحصائى السنوى لعام ١٩٧٩ الصادر بالرياض عام ١٩٨٠(٣٢) . واللافت للنظر أن حالات كثيرة من هؤلاء المهاجرات اما أنهن غير متزوجات أو متزوجات دون صحبة أزواجهن.أى ان الهجرة المنفردة قد شملت المرأة أيضا.وهذه ظاهرة جديدة على المجتمع المصرى.وأيا كان الأمر ، فانه يمكن النظر الى هذه الظاهرة على أنها **مظهر آخر من مظاهر زعزعة استقرار الاسرة المصرية** بسبب المال النفطى .

ثالثا ـ مشكلات فى مجال التنشئة الاجتماعية

أن الاسرة ، كنظام اجتماعى ، هى أهم نظام بالنسبة للانسان ، وخاصة فى المراحل الاولى من عمره . فالفرد يولد ويترعرع ويشب فى نطاق الاسرة . كما أن سلامة الفرد الذهنية والعقلية تعتمد اعتمادا تاما على كيفية عمل الاسرة ، وعلاقة الوالدين بالطفل ، وعلاقاتهما مع بعضهما ، خاصة فى السنوات الاولى من حياة ذلك الطفل . وتضطلع الاسرة بالدور الرئيسى فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل . ولا يقتصر دورها على الميلاد البيولوجى له ، وانما يمر الطفل فى اطار الاسرة بما أطلق عليه العالم الألمانى «رينيه كونيج» «الميلاد الثانى» . بمعنى أن الميلاد البيولوجى للفرد ليس هو الأمر الحاسم فى وجوده واستمراره ، وانما العامل الحاسم هو الميلاد الثانى ، أى تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمى الى مجتمع بعينه وتدين بثقافة بذاتها . والأسرة هى صاحبة الفضل فى تحقيق هذا الميلاد الثانى(٣٣) .

وتختلف عملية التنشئة باختلاف الاسر بعضها عن بعض ، ولذا فاننا نرى فى الحياة أشخاصا يتصرفون اجتماعيا بطريقة مختلفة عما نتوقعه . لأن توقعاتنا هى خبرتنا وتصرفاتهم هى خبرتهم . وعندما يشب الاطفال فانهم يحملون خبرات أسرهم معهم . هذه الخبرات محملة بما تحدده الاسرة منذ البداية حول ما هو الشعور (الايجابى) ، وما هو الشعور (السلبى) . فقبول السلطة أو الخروج عيها ، وقبول التعاون مع الآخرين أو الانغماس فى الفردية ، والسيطرة على الشعور السلبى كالغضب أو الحسد أو الغيرة ، أو عدم السيطرة على مثل هذا الشعور ، كل ذلك يرضعه الطفل من أسرته فى سنواته الاولى . واذا كان ثمة انحراف سلوكى للطفل فى المستقبل فانه يتكون تحت سمع **الوالدين** وبصرهما ، أو بسبب سلوكهما .

ويبدون الانضباط الشخصى الذى يلعب **الأب** دورا مهما فى تلقينه للطفل ، وتحديد خريطة ما هو مقبول وما هو ممنوع ، لا يستطيع الطفل أن يكون علاقات جيدة مع السلطة فى المجتمع عندما يكبر . فالأوامر والنواهى الاجتماعية ان لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك ، حيث كانت كل طلباته مجابة ، وكل ما يفعله مقبولا . فهو لا يقبل بعد ذلك أى تحديد لهذا السلوك ، وعند ذلك فانه يقاوم أى سلطة تريد أن تحد من شهواته . والخطورة لا تكمن هنا فقط . فعندما يوضع وهو رجل فى موضع يحتاج فيه الى ممارسة الانضباط ، سيجد ذلك صعبا . فالسلطة مطلوبة ، **بحب وبحزم** ، من الوالدين تجاه الطفل . والطفل الذى يعامل بهذه «التوليفة» يشب قادرا على اتخاذ القرار بعد الحوار حوله . وعندما يتخذه ، **يقوم** بتطبيقه بجدية . وهذا هو المطلوب فى السلوك السوى(٣٤).

ومن هنا تأتى أهمية الوظيفة التربوية التى تقوم بها الاسرة . حيث تكون الاسرة هى الجسر أو المعبر الذى يربط بين الفرد والمجتمع . ولكى تنجح الاسرة فى أداء هذه الوظيفة الهامة ، يتعين أن تكون نموذجا مترابطا متكاملا ، يؤدى فيه كل من **الوالدين** دوره على نحو صحيح وبعيدا عن الصراع والتوتر .

هذا هو المثل الأعلى لعملية التنشئة الاجتماعيــة فى محيط الاسرة ٠ غير أن عملية التنشئة الفعلية التى تقوم بهــا الاسر ، لا تتطابق مع هذا النموذج المثالى فى أغلب الحالات ، وانما تختلف معه بدرجات متفاوتة ٠ واذا زادت درجة الاختلاف عن حد معين ، فان الأمر عندئذ يدخل فى باب المشكلات الاجتماعية ٠

١ ــ فى مشكلات التنشئة الاجتماعية بالمنطقة (أ) :

(أ) من أبرز المشكلات بالمنطقة (أ) فى مجال التنشئة الاجتماعية هى مشكلة الاعتماد على المربيات والخادمات الاجنبيات اعتمادا أساسيا فى تربيــة الاطفــال ٠ وقد ثار جدل كبــير حول هذه المشكلة(٣٥) ٠ ولاتزال الانتقــادات والآراء التى تكشف عن سلبيات هذه الظــاهرة تتردد عــلى صفحات الجرائد وفى المجالس المختلفة ٠ ومكمن الخطورة فيها هو أن أغلب الخادمات والمربيات غير مسلمات وغيرعربيات٠ومن ثم يكون تأثيرهن السلبى كبيرا على الاطفال فيما يتعلق بالعقيدة وسلامة اللغة لديهم بمرور الوقت ٠ خاصة وأن الاطفال يكونون أكثر ارتباطا بهن فى سنوات عمرهم الاولى ٠ ويضاعف ذلك من الآثار السلبية حيث يتعرض الاطفال فى تلك السن المبكرة لقيم وأنماط سلوكية متباينة ، كمــا يتعرضون لكثــير من الصراعات الداخلية ، مما يؤثر على شخصياتهم ٠ ويمتد التأثير السلبى الى أبعد من ذلك ، فيشمل **النظرة الى المرأة :** اذ أن الطفــل ، بحــكم احتكاكه الاطول بالمربية الاجنبية ، يتأثر بها تأثرا شديدا ٠ فهى تطيعه ، وتحاول ارضاءه ، فهى «شغالة أو خادمة» ٠ وهذا يؤثر على تصوره للمرأة وادراكه لها ، حيث لا يراها الا خادمة له ، عاملة داخلالمــنزل ، **الأمر الذى يعمق نظرة متخلفة الى المرأة عموما»(٣٦)** ٠

(ب) ومن المشكلات التى تترك آثارا سلبية على الاطفال أيضا ، ظاهرة **الفيديو** ٠ اذ أن تعلق الاطفال بأفلام الفيديو ، وولعهم الشديد بها ، قد ضاعف منه وساعد عليه انتشار محلات توزيع وبيع أشرطة وأفلام الفيديو ، ونشرها لكثير من أفلام الجريمة والعنف ، والاثارة ٠ وعلى المدى الطويل ،

فان سلوك الاطفال يتميز بالسمة العدوانية ، كما انهم يصبحون اكثر ميلا للعنف(٣٧) .

(جـ) وتعتبر ظاهرة السفر الى الخارج ، وخاصة الى البلدان الاوروبية والامريكية وجنوب شرق آسيا ، من العوامل التى يتاثر بها الصغار ، نظرا لما يتصلون به فى تلك البلدان من ثقافات وقيم وسلوكيات متحررة ، تترك عليهم آثارا سلبية .

(د) وبالاضافة الى ما سبق ، فان المنطقة (أ) ـ شأنها فى ذلك شان الثقافة الكبرى فى الوطن العربى بعامة ـ لاتزال تعلى من شأن الاطفال الذكور ، وتتحيز لهم على حساب البنات . ومن الاقوال التى تتردد على مسامع الأم والأب عندما يرزقان بمولودة أنثى : «الله يعوض عليك بالصبى» . وفى حالة وجود الاطفال من الجنسين لدى الاسرة ، فان المعاملة التى يجدها كل منهما تكرس دائما فى نفسه أن الذكر مفضل على الانثى . ويبدو هذا بوضوح فى التدليل الزائد للأولاد ، والاغداق عليهم بالمال ، وتلبية كافة رغباتهم التى تصل الى حد شراء سيارة خاصة لكل منهم . ومن ثم فانه يرتب نظرته الى الطرف الآخر ومواقفه منه على هذا الاساس . ويتمثل كل منهما تلك النظرة طوال مراحل حياته بعد ذلك : فالذكر يشعر بالتفوق والافضلية والسيادة على الانثى والانثى تشعر بالتخلف والدونية والتبعية للذكر . وكل منهما يتوقع من الآخر سلوكا مبنيا على هذه النظرة . وهكذا تسهم عملية التنشئة أيضا فى **تكريس النظرة المتخلفة للمرأة** .

٢ ـ فى مشكلات التنشئة الاجتماعية بالمنطقة (ب) :

(أ) من المشكلات التى تواجهها الاسرة فى المنطقة (ب) فى السنوات الاخيرة ، ظاهرة **«الأب/الزوج الغائب»** . وهى ظاهرة ترتبت عليها ظاهرة أخرى جاء ذكرها من قبل ، وهى ظاهرة «تأنيث الاسرة» . واذا كانت الزوجة تتحمل مسئوليات جديدة ، وتضاف الى أدوارها التقليدية أدوار أخرى جديدة ، عندما يهاجر الزوج سعيا وراء الرزق فى المنطقة

(أ)(٣٨) ، فان غيابه يخلف آثارا سلبية على الاطفال اذا كان المهاجر أبا ٠ فكل طفل له والدان يمثل كل منهما نصف المجتمع ٠ وفى الواقع العملى نجد أن بعض الآباء يقللون من خطورة دورهم ، أو يقدرونه تقديرا أدنى مما هو جدير به من اهتمام ٠ فنراهم يقصرون فى آداء هذا الدور ٠ وقد عبر العالم الألمانى ميتشر ليش Mischer lich عن هذا الوضع بمصطلح «الأب المحتجب » The unseen Father (٣٩) ٠ والأب المهاجر ينطبق عليه هذا المفهوم ، على الرغم من أنه ربما يكون قد اتخذ قرار الهجرة مضطرا ، أى أنه يكون «محتجبا» لظروف دفعته الى ذلك دفعا ٠ وأيا كان الأمر ، فان غياب الأب يمثل فى حقيقة الأمر خللا وقصورا فى تربية الاطفال وتنشئتهم ٠ اذ يفتقدون فى هذه الحالة عنصر التوجيه والقدرة والضبط والحزم فى الأسرة ٠ ويزيد من حدة المشكلة هنا أن الأم ، المثقلة بالاعباء والالتزامات ، والتى قد تكون فى حالة معاناة صراع الادوار ، لا تستطيع ملء هذا الفراغ ٠ وهنا تمضى عملية التربية بشكل متراخ لا يؤدى الى تكوين شخصية سوية ٠ وحينئذ تطفو على السطح كثير من مظاهر الخلل فى عملية التنشئة ، كالتخلف الدراسى ، وعدم القدرة على التوافق ، والميل الى الجنوح والادمان ٠

(ب) وهناك مشكلات تتعلق بالتنشئة الاجتماعية يفرزها الواقع الاجتماعى الخاص بالمنطقة (ب) ٠ ذلك أن هناك تناقضات كثيرة تعتمل فى نفس الطفل ، تكون من محصلتها اصابته بالاحباط ، وافتقاد المعايير الموجهة للسلوك السوى ٠ فالطفل ينبهر بالدعاية والاعلانات التليفزيونية التى تثير الرغبة فى الاستهلاك والاستحواذ على الاشياء ٠ وهو لا يستطيع فى الأغلب الأعم أن يحصل عليها ، اما بسبب الفقر ، أو عدم توفر هذه السلع فى حالة القدرة على شرائها ٠ ويضاف الى ذلك ، أن التناقضات الاجتماعية التى يدركها الاطفال فى محيطهم وبيئتهم الاجتماعية ، كثيرا ما تترك فى نفوسهم جروحا يندر أن تندمل ٠ ففى الشارع ، وفى المدرسة ، يجتمع الطفل المدلل ، المرفه ، المتخم ، ابن الاسرة الغنية ، والطفل البائس ، الشقى ، الجائع ، ابن الاسرة الفقيرة ٠ وغنى عن البيان أن نظرة كلا منما للآخر لا تكون منبعثة عن شخصية سوية ٠

(جـ) ومن المعروف أن الطفل يتكون لديه وازع وضـابط ذاتى يوجه سـلوكه الاجتماعى ، وهو ما يعرف «**بالضمـير**» ، خلال مراحل تنشئته المبكرة • وذلك من خلال تعلمه كيف يميز بين الحلال والحرام من الوجهة الدينية • وكيف يميز بين المقبـول والمستهجن من الوجهة الاجتماعية ، وكيف يمـيز بين الفضيلة والرذيلة من الوجهـة الاخلاقيـة ، •• الخ • وهذا «الضمـير» نسبى ويختلف من فرد الى آخر تبعـا لنـوع التنشئة الاجتماعية التى مر بها ، ونمط الاسرة التى قامت على تنشئته واكسابه ذلك الضمير • فالضمير يكتسب بالتعلم ، **والاقتداء بالمثل الأعلى وهوالأب،** والتفاعل مع أفراد الاسرة والجماعة القرابية المحيطة ، والتأثر بها • وكلما كانت الاسرة متكاملة البناء ، يؤدى فيهـا الوالدان أدوارهما فى تعـاون وتفاهم ومودة ، فان المناخ الأسرى يساعد فى هذه الحالة على أن يكتسب الطفـل ضميره بشـكل سـليم يجعله يسلك سـلوكا معيـاريا فى محيطه الاجتماعى • ولما كانت الاسرة فى المنطقة (ب) لا يتوفر لهـا ــ فى ظل الظرف التاريخى الذى يمر به المجتمع ــ عنصر التكامل والاستقرار ، فان هذا ينعكس بدوره على عملية التنشئة الاجتماعية ويجعلها تتسم بكثير من السمات السلبية • ومن أهم هذه السمات هو اخفاق الاسرة فى تهيئة المناخ الملائم أمام الطفل لاكتساب الضمير •

خاتمـــة

نخلص مما تقدم ، الى ما يلى :

١ ــ أن الاسرة فى عالمنا العربى بوجه عام ، تشهد فى الآونة الاخيرة تغيرات تشمل البناء والوظائف وتقسيم العمـل وتوزيع الادوار ، وذلك بفعل عوامل تغيير لا تقتصر على النطاق المحلى والداخلى فقط ، وانما تتجاوز ذلك الى النطاق العربى والعالمى •

٢ ــ ان عالمنا العربى يمثل كلا متكاملا • فهو يضم دولا غنية مستقطبة للعمالة ، ودولا فقيرة مصدرة لها • وكل من هذين النمطين يكمل حاجة ضرورية للآخر •

٣ ـ ان المشكلات الاجتماعية ، وبخاصة مشكلات الاسرة ، تتخذ طابعا معينا يعكس الملامح الخاصة التى يتميز بها كل من النمطين المذكورين فى ضوء الظرف التاريخى الذى يمر به . ففى النمط الاول تعانى المرأة **مشكلة الفراغ وانحسار الدور** نتيجة لليسر والغنى . بينما تعانى المرأة فى النمط الثانى **مشكلة الصراع بين الادوار** الكثيرة الملقاة على عاتقها نتيجة لهجرة الزوج سعيا فى طلب الرزق . وفى النمط الاول لا يستطيع الشباب أن يتزوج نتيجة للمبالغة الواضحة فى قيمة المهور وتكاليف الزواج . فى حين أن الشباب فى النمط الثانى لا يستطيع أن يتزوج نتيجة لأزمة المساكن فى المقام الاول . وبينما يكون الغنى والرفاهية من عوامل افساد عملية التنشئة الاجتماعية للاطفال فى النمط الاول ، نجد أن الفقر وما ينجم عنه من غياب للآباء المهاجرين هو من عوامل افساد تلك العملية فى النمط الثانى . وبينما يلاحظ أن غياب الأب فى أسرة النمط الاول يكون بهدف السفر الى الخارج بقصد السياحة والترفيه فى كثير من الاحيان ، نجد أن غياب الأب فى أسرة النمط الثانى يكون اضطراريا ، وسعيا وراء لقمة العيش . وبينما يكون التدليل المفرط وتلبية كافة الرغبات أيا كانت وراء فشل الكثير من النشىء فى النمط الاول ، نجد أن الفقر والحرمان وعدم امكانية الحصول على الضروريات وراء فشل الكثيرين فى النمط الآخر ..

٤ ـ أن هناك اختلافا كبيرا بين المثل الأعلى والواقع . ويتضح ذلك فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاسرية . على الرغم من أن المثل الأعلى فى كثير من المجالات والمواقف يكون هو الدين . والأمر هكذا يستوجب أن يقوم الازهر الشريف ورجال الدعوة الاسلامية باعداد الخطط اللازمة لمواجهة هذا الاختلاف والحد من آثاره السلبية على الفرد والاسرة والمجتمع .

٥ ـ أجدنى هنا مدفوعا لأن أنوه بعدد من التوصيات التى خرجت بها ندوة التنمية الاجتماعية فى أقطار الخليج العربية ، والتى عقدت بدولة

الامارات العربية المتحدة ، فى الفترة من ١١ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٨٨م ، ومنهـا :

■ التركيز على تكثيف الدراسات الواقعية الميدانية الهادفة لتشخيص هموم الأسرة العربيـة ٠٠ تشخيصا دقيقـا بهدف وضع الحلول ووصف العلاج ، وهى مسئولية الباحثين الاجتماعيين ، وصانعى القرار ٠

■ توجيه عملية التربية والتنشئة الاجتماعية بالشكل الذى يمكنها من اعداد المواطنين المشاركين فى تنمية المجتمع العربى ٠

■ الاهتمام بدور الجمعيات الاهليـة التطوعية فى مجالات التنميـة الاقتصادية والاجتماعية ٠

■ اشراك المرأة ، والحرص على أن تأخذ دورها فى التنمية ٠

٦ ـ اتفق مع د٠عبـد الله الخـريجى ، وأنوه بمـا يقترحه لمواجهـة مشكلات الاسرة والزواج فى المجتمع العربى السعودى على المدى البعيـد والمدى القريب ، وذلك بانشاء مركز يهتم بدراسة شئون الاسرة فى المملكة العربية السعودية وبحث مشكلاتها وايجاد الحلول لها ٠ وانشـاء جهـاز تربوى يتولى وضع الخطط التربوية اللازمة لاعداد النشىء عـلى أسس دينية(٤٠) ٠

٧ ـ ومن باب الحرص على المصلحة العامة المتبادلة بين أجزاء وطننا العربى الواحد ، من جهة ، ومصلحة المرأة المصرية بوجه خاص ، من جهة أخرى ، أناشد الجهات التشريعية فى المنطقتين (أ) و (ب) ، وفى سائر أجزاء الوطن العربى ، وجامعة الدول العربية ، اتخـاذ التدابير اللازمة للتنسيق بين الاقطار العربية بعضها وبعض فى مجال التشريعات الخاصـة بالأحوال الشخصية ، وبمختلف شئون الاسرة ٠

●✱●

الحـــواشى والمراجـــع

(١) علياء شكرى ، **الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨١ ، ص ١٥ .

(٢) انظر حول هذه النقطة: مصطفى الخشاب، **دراسات فى علم الاجتماع العائلى** ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨ .

(٣) من رواد هذه النظرية فى مجال الانثروبولوجيا : **مالينوفسكى** وراد كليف براون ، ومن روادها فى مجال علم الاجتماع تالكوت بارسونز . انظر :

— Radcliffe-Brown, **Structure and Function in primitive Society**, Cohen and west, London, 1952.

— Talcott Parsons, **"The Social structure of the family"** in : Ruth N. Anshen (ed.), **The Family. Its Functions and Destiny,** Harper and Brothers, N. Y., 1959.

— Talcott Parsons, and R. E. Beals, **Family, Socialization and interaction Process,** The Free Press of Glencoe. 1955.

(٤) انظر :

— Herbart Blumer, **Symbolic Interactionism : Prespective** and Method, Englewood Cliffs, Prentice-Hall, N. Jersey, 1969.

(٥) انظر: علياء شكرى، **الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة** ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ والصفحات التالية ، وانظر المراجع المشار اليها هناك .

(٦) انظر : فريدريك انجلز ، **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة** ، دار التقدم ، موسكو ، بدون تاريخ .

(٧) انظر : محمد أحمد فرج السنهورى، **الاسرة فى التشريع الاسلامى**، وزارة الارشاد القومى ، مراقبة الشئون الثقافية ، القاهرة ، بدون تاريخ. (وقبل هذا ، **القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة**) .

(٨) انظر مثلا حول هذه النقطة : علياء شكرى ، **الاتجاهات المعاصرة**

فى دراسة الاسرة ، مرجع سابق ، قائمة ببليوجرافية بأهم مراجع دراسة الاسرة ، ص ص ٢٩١ ــ ٣٣٧ ٠

(٩) انظر : أحمد أبو زيد ، **البناء الاجتماعى ٠ مدخل لدراسة المجتمع ، ج ٢ الانساق** ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية، ١٩٨٧م٠

(١٠) يمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة فى :

■ جاك لوب ، **العالم الثالث وتحديات البقاء** ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (١٠٤) ، أغسطس ١٩٨٦ ٠

■ رمزى زكى ، **التاريخ النقدى للتخلف : دراسة فى أثر نظام النقد الدولى على التكوين التاريخى للتخلف بدول العالم الثالث** سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (١١٨) أكتوبر ١٩٨٧ ٠

■ عبد الخالق عبد الله ، **العالم المعاصر والصراعات الدولية** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت (١٣٣) يناير ١٩٨٩ ٠

■ والتر رودنى ، **أوروبا والتخلف فى أفريقيا** ، ترجمة أحمد القصير ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (١٣٢) ديسمبر ١٩٨٨ ٠

■ اسماعيل صبرى عبد الله : **نحو نظام اقتصادى عالمى جديد دراسة فى قضايا التنمية والتحرر الاقتصادى والعلاقات الدولية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ٠

(١١) تأمل ، على سبيل المثال ، الضغوط التى يمارسها البنك الدولى وصندوق النقد الدولى على الدول الفقيرة من أجل تعديل سياستها المالية والاقتصادية وفق ما يراه الصندوق ، كشرط لتمويل وتدعيم اقتصاد هذه الدول ، مما يؤثر تأثيرا مباشرا على مستوى معيشة مواطنيها واشباع احتياجاتهم الاساسية اليومية ٠ ومن المفارقات العجيبة ، مثلا ، ان بعض الدول الكبرى الغنية تتخلص من كميات هائلة من فائض منتجاتها الغذائية بالقائها فى قاع المحيط حتى تحتفظ بمستوى معين من الاسعار لهذه السلع فى السوق العالمية، هذا فى الوقت الذى يتضور فيه الملايين من مواطنى الدول الفقيرة جوعا ، بل ان الجوع يفتك بالآلاف منهم فى كل عام ! ٠

(١٢) وقد حظى موضوع العمالة الوافدة الى منطقة الخليج باهتمام كبير من جانب الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمى فى الوطن العربى ٠ انظر : بحوث ومناقشات **الندوة** الفكرية التى نظمها مركز

دراسات الوحدة العربيـة بالتعاون مع المعهد العربى للتخطيط بالكويت بعنوان : **«العمالة الاجنبية فى اقطار الخليج العربى»**، فى يناير عام ١٩٨٣ بالكويت ، ونشرها مركز دراسات الوحدة العربيـة فى أغسطس من نفس العـام ٠

(١٣) وقد ساعد على اسـتقلال الابناء أيضا وانفصـالهم عن الاسرة الممتدة أن كثيرا منهم قد تحرروا من تبعيتهم الاقتصـادية لها ، وحققوا لأنفسهم استقلالا من الناحية الاقتصـادية ، حيث استطاعوا أن يؤسسوا لأنفسهم مشروعات تجارية خاصة ، بقروض يحصلون عليها من البنوك ٠ كما أن منهم من التحق بوظائف حكومية ويتقاضى راتبا شهريا الى جانب ذلك ٠ وكثيرا منهم استطاع أن يجمع ثروة كبيرة فى زمن قياسى عن طريق بعض الأساليب الجديدة لجمع المال التى استحدثتها ظروف الطفرة ، مثل السمسرة فى مجال الاراضى ، وما يعرف بظاهرة «الكفيل» ٠ حول موضوع الكفيـل ، راجع : سـعد الدين ابراهيم ، **النظـام الاجتماعى العـربى الجـديد ٠ دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية** ، مركز دراسـات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، يناير ١٩٨٢ ، ص ص ٣١ ـ ٣٤ ٠

(١٤) راجع هذه النقطة فى : علياء شكرى ، **الاتجاهات المعـاصرة فى دراسة الاسرة** ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ ٠

(١٥) وقد بلغ مجموع من أجابوا على أسئلة هذه الاستبيانات ٨٧٩ طالبا وطالبة ، منهم ٥٦٥ من الطلاب و ٣١٤ من الطالبات ، وجميعهم من المنتسبين بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ٠ وتتضمن هذه الاستبيانات تفاصيل حول خصائص هؤلاء الطلاب والطالبات من الناحية العمرية ، والمهنيـة ، والاسرية ، والاقتصـادية ، والانتماء المكانى ، والخـبرات الشخصية والاسرية فى مجالات الزواج ، والطلاق ، والترمل ، والعنوسة (بالنسبة للاناث) ، والعلاقات القرابية ، والتنشئة الاجتماعية ٠٠٠ الخ ٠ وجدير بالذكر أن أعمار هؤلاء الطلاب والطالبات تتراوح بين ٢٠ ، ٤٥ عاما ٠ وأنهم قد مروا بخبرات شخصية فى مختلف المجالات المذكورة نظرا لأن غالبيتهم من كبار السن (٧٠٪ منهم تتراوح أعمـارهم بين ٣٥ و ٤٥ سنة) ، كما أن معايشتهم لها عميقة فى اطار العـلاقات وصور التفـاعل الاجتماعى سواء فى المحيط العائلى والقرابى أو فى خارجه ٠ وجدير بالذكر أنهم لا ينتمون فقط الى مدينة جدة وانما ينتمون الى مناطق مختلفة أيضا تشمل الانماط الحضرية والريفية والبدوية ٠

(١٦) عبد السـلام الترمانينى ، **الزواج عنـد العـرب فى الجاهليـة والاسلام** ، عالم المعرفة ، الكويت ، أغسطس ١٩٨٤ ، ص ٢٠١ ٠

(١٧) عرفت الفترة التى أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحتى منتصف الثمانينات «بفـترة الطفـرة» وقد شهدت المنطقة (أ) خلالها تغيرات مثيرة ، أوقد شرارتها الاولى التراكم الكبير فى عوائد النفط وتحسن الاوضاع الاقتصادية ، وهناك تحليلات عميقة تتناول هذه الفترة بالتقويم ، وابراز جوانبها الايجابية وجوانبها السلبية ٠ كما عقدت ندوات ومؤتمرات عديدة حول هذا الموضوع الى جانب العديد من الكتب والمؤلفات ٠ انظر :

ـ سعد الدين ابراهيم ، **النظام الاجتماعى العربى الجديد** ٠٠ مرجع سابق ٠

ـ ندوة : **تأثيرات حقبة النفط على أوضاع المرأة العربية** ، القاهرة ، ٢٧ ـ ٢٨ مارس ١٩٨٨ ٠

ـ ندوة : **توظيف العوائد النفطية فى الثمانينات** ، القاهرة ، ١٢ ـ ١٤ ابريل ١٩٨٨ ٠ وقد نشرت الباحثة هويدا على رومان تقـريرا حول هذه الندوة فى مجلة **السياسة الدولية** ، **السنة ٢٤** ، **العدد ٩٣** ، **يوليو ١٩٨٨** ، ص ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ٠

ـ ندوة : **التنمية الاجتماعية فى أقطار الخليج العربية** ، دولة الامارات العربية المتحدة ، ١١ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ ٠

ـ **مؤتمر تقسيم العمل الدولى الجديد فى الشرق الاوسط** ، امستردام ، ٢٨ ـ ٣٠ يناير ١٩٨٨م ٠

(١٨) عبد الله الخريجى ، **علم الاجتماع العائلى ٠ مع دراسة للاسرة فى الاسلام** ، دار الشروق ، جدة ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص ٤١٤ ٠

(١٩) «حق النقول» و «فك الوزرة» فى سبيلهما الى الاختفـاء الآن بعد أن شنت الصحافة حملات مكثفة تنتقد فيها مثل هذه العادات مستعينة فى ذلك برجال الدين والدعوة والارشاد ٠ وقد لفت الانظار الى خطورة تلك العادات ما نشرته الصحف ذات يوم حول عريس اضطر الى تطليق عروسه أمام المدعوين بقصر الافراح وهو يهم باصطحابها لمغادرة القصر بعد انتهاء الحفل ٠ فقد منعته والدة العروس من مغادرة المكان قبل أن يدفع لها عشرين ألف ريال ٠ ولم تفلح محاولات العريس وتوسلاته أمام

اصرارها وتصميمها ٠٠ فلم يجد أمامه من سبيل الى الخروج من المازق سوى الطلاق ٠

انظر : جريدة عكاظ ، العدد ٨٣٨٧ ، ٣٠ يونيو ١٩٨٩ ٠

(٢٠) أرى أن ذلك يعتبر ضربا من ضروب الظلم الذى يقع على المرأة فى مجتمعنا العربى ، وهناك مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ضمن موضوعات أخرى يمكن متابعتها فى المرجع التالى : حسن أحمد الخولى ، **دراسات فى الاسرة والمرأة فى المجتمع العربى المعاصر** ، تحت الطبع ٠

(٢١) وقد وجد هذا الاتجاه تأييدا وتشجيعا من قبل وزارة الشئون الاجتماعية بالسعودية ، وأعلنت ترحيبها واستعدادها بقبول طلب من يتقدم للزواج باحدى فتيات دور الرعاية الاجتماعية ، بشروط هى :

ـ أن يكون المتقدم للزواج سعودى الجنسية ٠

ـ ألا يزيد سنه عن ثلاثين عاما ٠

ـ ألا يكون قد سبق له الزواج ٠

ـ ألا يقل دخله الشهرى عن ثلاثة آلاف ريال ٠

ـ أن يكون حسن السيرة والسمعة والسلوك ٠

راجع : جريدة عكاظ ، العدد ٨٠٠٣ ، ٦ يونيو ١٩٨٨ ٠

(٢٢) راجع جريدة عكاظ ، العدد ٧٥٧٣ ، ٢٣ مارس ١٩٨٧ ٠

(٢٣) انظر ، كمثال على هذه الوثائق ، وثيقة الاتفاق التى وقعها أمير منطقة المدينة المنورة ، الامير عبد المجيد بن عبد العزيز ، فى مقر الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية بالمدينة المنورة ، مع ٩٧١ شخصا من أعيان المنطقة ، يوم ٩ رمضان عام ١٤٠٧ هـ (يوليو ١٩٨٧) ، وقد اتفق فيها على ما يلى :

أولا : تشجيع اقامة حفلات الزواج فى البيوت ليحصل بذلك الاشهار المطلوب شرعا أمام الجيران ، ويستفاد مما يقدم فى هذه الحفلات من مأكل ومشرب على الوجه الصحيح ٠

ثانيا : الغاء العادات التقليدية السيئة والتى لا تستفيد منها الزوجة ولا يستفيد منها الزوج مثل : الحفلة العامة للشبكة وما يتبعها ، كالعربة ،

والحلاوة ، وقيلة الحناء ، وحفلة الصبيحة ، والموجب .. لما فيهـا من اسراف .

ثالثا : اذا علم شخص أن هناك وليا لديه بنات ويقف أمام تزوجهن لأهداف شخصية ، كأن تعمل لديه ، أو من أجل مرتبها ان كانت موظفة ، أو من أجل أن يتزوج بها شغارا ، أو يزوج ولده بهـا (بدلا) ، فيوصى المجتمعون بابلاغ المسئولين عنه بالجمعية لاتخاذ ما يرى مناسبا بحقه شرعا عند عدم استجابته للنصيحة .

رابعا : بعد دراسة الحالة الاجتماعية والاقتصادية السائدة ، ومستوى الدخل للفـرد ، وما يتطلبه بيت الزوجية الجـديد من مستلزمات وأثاث لمواجهة تكوين أسرة مستقرة ، ولتيسير سبل العيش فى ظل حياة سـعيدة وهانئة للزوجين باذن الله ، فقد اتفق المجتمعون الا تتجاوز تكاليف الزواج بما فيها المهر فى أى حال من الاحوال ٣٥ ألف ريال سعودى ويشمل كافة متطلبات الزواج . وأنه لا يحق لولى المرأة أن يستولى على شىء من المهر لخاصته أو للاقرباء ، علما بأن المهر لا يزيد عن ٢٠ ألف ريال سـعودى والباقى للتكاليف الأخرى .

خامسا : تقرر الا تزيد الذبائح لوليمـة الزواج التى تكون لمرة واحدة عن خمس ذبائح من الغنم .

هذا ما تم الاتفاق عليه ، والله ولى التوفيق .... (التوقيعات)

المصدر : نص الوثيقة المذكورة ، تحت يد الباحث .

(٢٤) راجع : **عكاظ** ، العدد ٨١٤٢ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٨٨ .

(٢٥) وقد أدى هذا الى ظهور نمط جديد للاسرة الحضرية ــ وخاصة بالمدن الكبرى ــ هو «نمط الاسرة الممتدة المعدلة» ، حيث يضطر الشباب والفتيات الى الاقامة فى منزل أسرة التوجيه . وكثيرا ما نجد أن العروس تقيم مع زوجها بعد الزواج فى منزل أسرتها ، كما يقيم العريس وعروسه فى منزل والديه . انظر :

آمال عبد الحميد ، **نمط الاسرة الممتـدة المعـدلة الحضرية** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) اشراف د. علياء شكرى ، كلية البنات ــ جامعة عين شمس ، ١٩٨٦ .

(٢٦) أقصد بالشريحة العليا هنا ببساطة «للاغنياء» أى «المقتدرين»

ماليا بصرف النظر عما اذا كان هذا المعيار الاقتصادى وحده يؤهلهم لأن يصنفوا هكذا على نحو صحيح ٠

(٢٧) انظر التحقيق الصحفى الذى نشره محمد صلاح الزهار حول هذا الموضوع بجريدة **الاخبار** ، بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٧م ٠

(٢٨) هذه النظرة لدور المرأة صاحبت التغير الذى شهده المجتمع منذ بداية عهد التنمية ، فقد كانت المرأة قبل ذلك – أى فى اطار المجتمع التقليدى – تقوم بالأنشطة التقليدية المختلفة خارج المنزل ٠ولكنها دخلت الى البيت وانحصر دورها فى داخله بمجىء الاجانب ٠ راجع :

علياء شكرى ، **بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى** ، **القاهرة** ، ط ١ ، ١٩٧٩ ٠

(٢٩) فوزية الجار الله ، **جريدة عكاظ** ، العدد ٧٩٥٤ ، ١٣ ابريل ١٩٨٨ ٠

(٣٠) انظر :

– علياء شكرى ، وآخرون ، **المرأة فى الريف والحضر** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ٠

– محمد أبو مندور ، وآخرون ، **بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية لهجرة الزوج على وضع الاسرة وأدوار الزوجة الريفية : دراسة ميدانية فى قريتين بمحافظة الجيزة** ، المستقبل العربى ، العدد ١٢٠ ، فبراير ١٩٨٩ ، ص ص ١١٤ – ١٣١ ٠

(٣١) سعد الدين ابراهيم ، **النظام الاجتماعى العربى الجديد** ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ٠

(٣٢) المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها ٠

(٣٣) علياء شكرى ، **الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة** ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ ٠

(٣٤) محمد الرميحى ، عرض كتاب بعنوان :

Families and how to survive them

مجلة العربى ، الكويت ، العدد ٣٦ ، سبتمبر ١٩٨٧ ٠ ص ص ٨ – ١٨ ٠

(٣٥) راجع : جهينة سلطان العيسى ، **«التاثيرات الاجتماعية للمربية**

الاجنبية على الاسرة» فى : ندوة ــ **العمـالة الاجنبية فى أقطـار الخليـج العربى** ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٩ ــ ١٩٣ ، والتعقيب والمناقشات ، ص ص ١٩٤ ــ ٢٠٩ .

(٣٦) عبد الباسط عبد المعطى ، المرجع السابق نفسه ، ص ١٨٧ .

(٣٧) للوقوف على كثير من التفاصيل حول هذه النقطة ، وخاصـة بعض التجارب التى أجريت على الاطفـال لاختبـار مدى تأثرهم بافلام وبرامج العنف ، انظر :

محمد عماد الدين اسماعيل ، **الاطفـال مرآة المجتمع (النمو النفسى الاجتماعى للطفل فى سنواته التكوينية)** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، (٩٩) مارس ١٩٨٦ ، ص‌ص ٣٣٤ ــ ٣٣٨ .

(٣٨) انظر : نادر فرجانى ، **سعيا وراء الرزق : دراسة ميدانية عن هجرة المصريين للعمل فى الاقطار العربية** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٨ .

(٣٩) علياء شكرى ، **الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة** ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٤٠) عبد الله الخريجى ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٨ ــ ٤١٩ .

تم بحمـــــــد الله

محتـــويات الكتـــــاب